نام کتاب: شرح دعای صباح

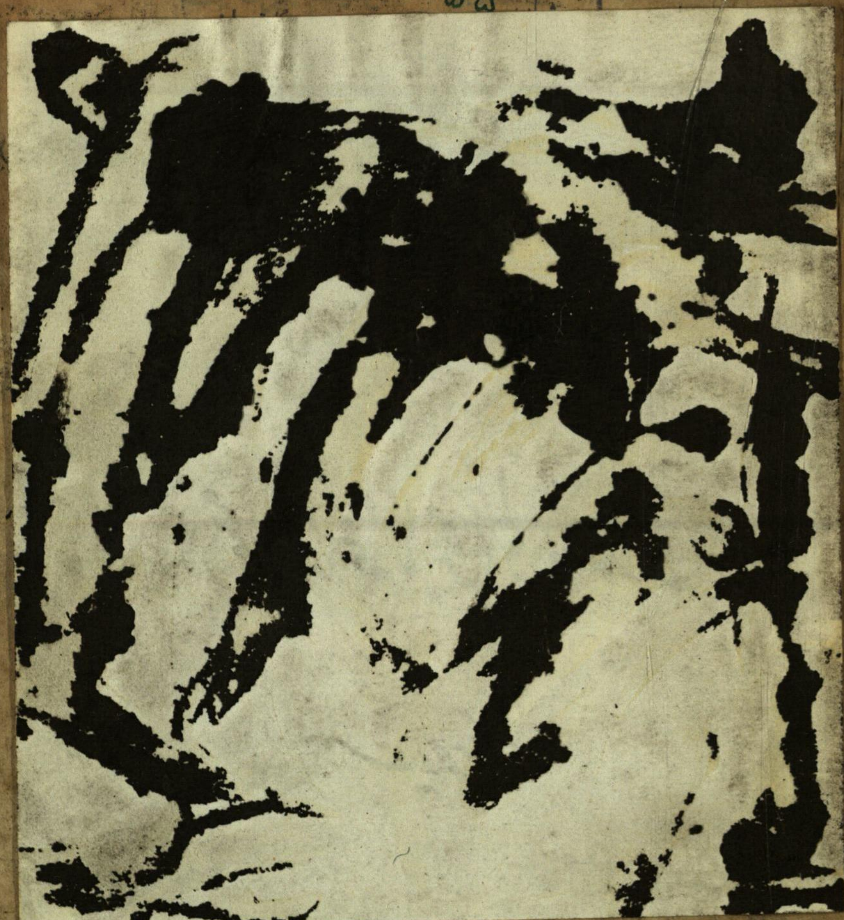
مؤلف: محمد اسماعیل بن حسین مازندرانی خواجوئی

شمارهٔ کتاب: ۵۵ مشکوة

اندازه: ۲۱x۱۴

تاریخ تصویربرداری: شهریور ۱۳۸۹

مما من الله علي به وانا العبد الآبق ١
محمد بن محمد المدعو بالصادق



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من ذهب الليل مظلما بقدرته وجاء بالنهار مبصرا
برحمته ونصلي على اشرف بريتك محمد واله وعترته وخاصة على
محرم ضميرته وواقف سريرته وصاحب كريمته اخيه صاحب السيف
والقلم معدن الجود والكرم اسد الله الغالب مظهر الغرايب والعجايب
علي ابن ابي طالب اشرف الانبياء والمرسلين ما خلا محمد خاتم
النبيين صلوة متجددة بتجدد الاصباح متكررة بتكرر الارواح
وبعد فيقول العبد الحقير الانس بمولاه الجليل محمد ابن الحسين ابن محمد
رضاء المشهور باسماعيل عفى الله عن جرائمهم بمحمد واله وقائمهم
هذا الدعاء الشريف الموسوم بدعاء الصباح الموصوف بمفتاح

الفلاح

الفلاح ومصباح النجاح قد اشتهرت نسبته الى جناب الحضرت
المقدسة والساحة المطهرة نور الثقلين ومجمع البحرين ابي
الحسنين امير المؤمنين وسيد الوصيين سلام الله عليهم
اجمعين ونحن وان لم نجده بسند صحيح متصل الى ذلك الجناب
المستطاب لكن نقل بعض الاصحاب انه وجد باسانيد صحيحة
وروايات صريحة متصلة اليه عليه السلام ومع قطع النظر
عن ذلك فعباراته الشافيه وكلماته الوافيه ومضامينه
العاليه ونظمه الغريب واسلوبه العجيب اجل دليل واعدل
شاهد على صدوره من ذلك المصدر الاعلى تبارك مصدره
ولقد حسن من قال واصدق ان كلامه بابي وامي صلى الله
عليه فوق كلام المخلوق دون كلام الخالق فلا اشتراك فيه
ولا اشتباه بل حيثما كان ممتازا امتياز قائله عن قائل
حيث بلغ بصفاته العليا مبلغا لم يبلغه غير واحد بل هو هو
كما سماه راسه بل نفسه فقصدت مع قصور الباع واختلال
الاوضاع ان اشير الى جملة ما في فقراته وعمدة ما في كلماته
اجابة للالتماس من ينبغي اجابة التماسه وتشهيدا للدعاة
ما في محل التباسه فانه بحر عميق وكلام دقيق صدر من مصدر

التحقيق وقد شاع وذاع فى هذا الازمان قراءته فى كثير من اهل الايمان
وكادان يكون قراءة اغلبهم مجرد تحريك اللسان لعدم وقوفهم بمعانيه
المقصودة منه فيحتاجون الى البيان لكيلا يكون حالهم حال مصروع
تكلم بشيء ولم يخطر معناه بالجنان وبالله الاستعانة للصواب وعليه
الثقة والتكلان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى الاسم الاعظم من سواد
العين الى بياضه الرحمن الرحيم صفتان مبنيتان للمبالغة من رحم كالغضبان
من غضب والعليم من علم والرحمة من رقة القلب وانعطاف اى ميل روحاني
يقتضى التفضيل والاحسان واذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها
غايتها اى التفضيل والاحسان لان الرقة من الكيفيات المزاجية البالغة
للتاثير والانفعال والله سبحانه منزه عنها وهو اما من باب المجاز المرسل
بذكر السبب وارادة المسبب اذ الرحمة والرقة سبب التفضل والاحسان
واما على طريقة التمثيل بان شبه حاله تعالى بالقياس الى المرحومين
فى ايصال الخير اليهم بحال الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم فاصابهم
بمعروفه وانعامه فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانيه للاولى من غير
ان يتجوز فى شيء من مفرداته وعلى ذلك فقس سائر النفوس الصفات التى لا يصح
اتصافه تعالى بها سواء كانت انفعالات كالرحمة والحيا والغضب او لا
كالاستهزاء والمكر والخداع ونحوها قيل ان صفات الله التى على صيغة

المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها فان المبالغة
يكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله تعالى منزهة
من ذلك وفيه ان صيغ المبالغة قسمان قسم يحصل المبالغة فيه بحسب
زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها
لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة وعلى هذا
تنزل صفاته نعم ويرتفع الاشكال هذا وقد ورد فى بعض الروايات
الرحمن العاطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه وان
انقطعوا عن طاعته والرحيم بعباده المومنين فى تخفيفه عليهم طاعته وبعبادة
الكافرين فى دعائهم الى موافقته والرحمن اسم خاص لصفة عامة والرحيم
اسم عام لصفة خاصة والرحمن ابلغ من الرحيم لدلالة زيادة المبانى على زيادة
المعانى فعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكمية نظرا الى كثرة افراد المرحومين
يقال يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لشمول رحمة الدنيا للمومن والكافر واختصاص
رحمة الاخرة بالمومن وعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكيفية وهى جلالة
الرحمة ودقتها بالنسبة الى مجموع كل من الرحمتين يقال يا رحمن الدنيا والاخرة
ورحيم الدنيا لجلالة رحمة الاخرة باسرها بخلاف رحمة الدنيا وباعتبار
نسبة بعض افراد كل من رحمة الدنيا والاخرة الا بعض يقال يا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيمهما لان بعضا من كل منهما اجل من بعض وبعضا من كل منهما

ادق وقد ورد كل ذلك فى الادعية الماثوره عنهم عليهم السلام يامن
دلع الصباح بنطق تبلجه يوجد فى بعض النسخ اللهم يامن دلع فيكون عطف
بيان جئ به للمدح كما يجئ الصفة كذلك لا للايضاح فان الله على الاصح
علم للذات الواجب الوجود الخالق لكل شئ فلا ابهام فيه ولا اشتراك
ليحتاج الى ايضاح واحتمال البدليه لذلك غير جيد والتاكيد غير مناسب
مقدمة صفة الذات ما يكون الذات بذاته كافية فى تحققه والاتصاف به
لانه اما عين الذات كما هو الحق او لازمة على القول بالزياده بخلاف صفة
الفعل اذ الذات بذاته غير كافية فى تحققها والاتصاف بها بل هو باعتبار
كونه مبداء الفعل من الافعال يكون منشا لتحققها والاتصاف بها والفرق
بينهما من وجوه فان صفات الذات واجبه قديمه غير مقدورة لا يمكن
الاتصاف بها وبمقابلاتها بخلاف صفات الفعل فانها ممكنة حادثه مقدورة
يمكن الاتصاف بها وبمقابلاتها والضابط ان كل شئ متضادين وصف الله تعالى
بهما وهما فى الوجود فهما من صفات الفعل كالعفو والانتقام والرضاء والسخط
فانه يقال عفى عمن تاب وانتقم عمن اصر ورضاه عمن اطاعه وسخط على من عصاه
وصفات الذات لا يجوز وصفه تعالى بها وبضدها فلا يجوز ان يقال هو عالم
وجاهل وقادر وعاجز وبالجمله كل صفة توجد فيه سبحانه دون نقيضها
فهى من الصفات الذاتيه وكل صفة توجد فيه ونقيضها فهى من الصفات

الفعليه

الفعليه والمراد بصفات الجلال السلبيه وبصفات الجمال الثبوتية
او المراد بالاول صفات الغضب كالقهاريه وبالاخر صفات
الرحمة كالغفاريه والرزاقيه وبعد تقديم هذه الجمله اقول لما كان
من شرايط اجابة الدعا تقديم المدحة لله والثناء عليه قبل المسئلة
كما ورد فى الخبر اذا طلب احدكم الحاجه فليثن على ربه وليمدحه فان
الرجل منكم اذا طلب الحاجه من السلطان هيئا من الكلام احسن ما يقدر عليه
وفى كتاب صاحب الدعاء امير المؤمنين سلام الله عليه ان المدحة قبل
المسئلة ذكر عليه السلام قبل ان يطلب منه تعالى حوائجه صفات عديدة
ذاتيه وفعلية جمالية وجلالية تدل على مدحه وثنائه تعالى مع رعايته
مناسبة تلك الصفات لتلك الحاجات قضاء لحق العبارة وجريا فى مقام
الفصاحة والبلاغة وهو الذى قد بلغ فى الفصاحة غايتها وتجاوز فى البلاغة
نهايتها وقد قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع بما يناسبه من اسمائه
الحسنى والامثال العليا وجعل تلك الصفات المادحة جملة فعليه علما
عن جملته الدوام والثبات ايماء على ان التجدد اولى بالاعتبار فى المقام
من الثبات والدوام لدلالته على ان تلك الاثار العجيبه وهذه الافعال
الغريبه متجدده شيئا فشيئا ومنصرفة وقتا فوقتا فلا تخلو المحدثة من انعام
جديد ومزيد للاحسان غب مزيد ثم لما كانت الافلاك مرتفعة عنها الحيوة

على ما دل عليه بعض الاخبار وصرح به بعض الاخبار مدعيا عليه اجماع
المسلمين وكانت مدبرة مسخرة لله تعالى والملائكة الموكلون بتحريكها مط
مطيعين لله لامره لا يعصونه ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون صح اسناد الت
والتسبيح وما شاكل ذلك اليه نعم وتوصيفها بها والا ففي الحقيقة هذه الافعال
من الافعال المنتمية الى الافلاك والمتسببة من حركاتها ومن جزئيات بركاتها فالاسناد
مجاز عقلي من حيث انه سبب امركقولهم بنى الامير المدينة وقطع الامير اللص قال
سيدنا المرتضى علم الهدى قدس سره في بعض مسائله لا خلاف بين المسلمين
في ارتفاع الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة
وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه واله ضرورة انتهى وذكر
نحو ذلك في ملحقات الغرر والدرر وقيل وللبحث في دعوى الاجماع والعلم
بذلك من الشريعة مجال اقول لا مجال له وكثير من الاخبار الصحيحة والموثقة
وغيرهما المذكورة في العقيدة وغيره صريحة فيما ادعاه السيد وقد ذكرنا شيئا
منها في بعض رسائلنا مع ايمائنا هناك الى انها غير قابلة للصرف والتاويل
فليطلب من هناك وكذلك الامر لو بني على قانون الفلاسفة قيل ان الافلاك
باجمعها حية مطيعة لمبدعها وغرضها من حركاتها التشبه بجنابه والتقرب
اليه جل شانه فان افعالها لما كانت مضمحلة في فعله تعالى وارادتها
مستهلكة في ارادته جاز وصفه بذلك كما مر لما مر ويقال انه اشارة الى

مقام

مقام توحيد الافعال بان لا مؤثر في الوجود الا الله كما ذهب اليه قوم منهم
الحكماء القائلون بان الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لجميع الممكنات وان ما عداه
بمنزلة الشرائط والالات كما فهمه من كلماتهم بعض المتاخرين والفضل للسابق
كما ان القصور في المتاخر هذا وان كلمة يا من بين حروف النداء الموضوعة
للنداء البعيد على ما نقل عن الزمخشري وابن هشام مع انه سبحانه اقرب اليه
من حبل الوريد هضما لنفسه واستبعادا لها عن مظان الزلفى ورعاية لقانون
الادب الذي هو داب السالكين وطريقة العاشقين فان طريق العشق
كلها اداب او تعظيما وتبعيدا للحضرة المقدسة والساحة المطهرة عن قرب
الداعي المتكدر بالكدورات البشرية والمنغمس بالانغماسات الهيولانية
او تنبيها على شدة حرصه وقوة رغبته على اقباله كانه امر بعيد وعلى ما ذهب
اليه الشيخ ابن الحاجب من انها نعم القريب والبعيد لانها لطلب الاقبال
مطلقا فلعل الوجه في ايثارها ان ما عداها يقتضي قرب المكان او بعده
بخلافها فانها لا يقتضي شيئا منهما وفيه ان التعميم لا يقتضي ذلك غاية
الامر انها جنس منحصر في النوعين فلا بد من وجوده في ضمن احدهما فالحق
انها موضوعة للنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة
البعيد اما لعظمته او لغفلته او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه
وهذا ايضا يصلح ان يكون وجها اخر لايثارها هنا قال ابن المنير واصلها

صوت يهتف به لمن كان بعيدا منك ثم استعمل في كل نداء وان قرب المنادى
كانك تنبه المخاطب ساهيا عليك وكفى بالغفلة بعدا فتوسطه بذل الصوت
من سنة السهو ثم تؤذنه بخطابك وان كان مصغيا بان الامر الذى بعده
مهم عندك وكانه في غفلة عنه فترده في لفظه الى لفظه بالتصويت ثم قال
فان قلت فقد استعمل هذا الحرف في الدعاء وقد علم ان الله تعالى لا يجوز
عليه السهو ولا الغفلة ولا البعد فانه اقرب الى الداعي من حبل الوريد
قلت استعمالها بالاتساع صارت مودته باهتمام المتكلم بالمقصود الذى
ياتي بعدها اعم من كون الساهي غافلا او حاضرا او اظهارا للاهتمام بالحاجة
من قبيل الضراعة والحاح المطلوب في الدعاء وقال الزمخشري وقول الداعي
في جؤاره يا رب ويا الله مع كونه اليه اقرب من حبل الوريد استقصار
منه واستبعاد لها من مظان الزلفى وهو اقناعي لان الداعي يقول في دعائه
يا قريبا غير بعيد وربما قال يا من هو اقرب الي من حبل الوريد فاين هذا
من الانتصاب في مقام البعد انتهى كلام ابن المنير واجيب عنه بان هذا
الكلام من الداعي غير مناف لانتصابه في مقام البعد ولا بعيد منه لان
المراد استقصار نفسه واستبعادها مما يقربه الى رضوان الله انتهى و
ليس المراد بندائه تعالى اقباله وتوجهه بوجهه او بقلبه على زعم المجسمة
والمشبهة ومن يحذو حذوهم تعالى عن ذلك بل المراد بكونه مطلوب الاقبال

كونه

كونه مسئول الاجابة او الاقبال منا كناية عن الاعتناء والاكرام لان من اعتنى باحد
واكرمه التفت اليه واقبل بوجهه عليه فلا حاجة الى القول بان ندائه تعالى مجاز
لتشبيهه بما له صلوح النداء اذ القول بانه غير صالح للنداء بعيد مع ان القول
بالتشبيه ايضا غير مناسب والموصول من بين المعارف ليحكى من اجزاء تلك
الصفات عليه فيكون ادل على غرض المسوق له الكلام لانه تعالى لما كان قادرا
على تلك الافاعيل العجيبة والاثار الغريبة كان قادرا على انجاح مآربه واسعاف
مطالبه التي سياتي عقيب ذلك وليشير به الى ان مدعوه ومناواه انما يمكن
ان يعرف بواسطة تلك الصفات والصلوة على ما هو وضع الموصول او ليتنبه
على ان تلك الصفات والصلاة معلومة الانتساب اليه فلا يذهب منها وهم
الى غيره اذ العلم بثبوتها ونسبتها اليه فطري بل بديهي حاصل لكل احد من الموحدين
والمشركين والمقرين والمنكرين ولذا جيء ما قال خليل الرحمن ان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب لم يمكنه معارضته ومجادلته لعلمه بان القادر على
ذلك ليس الا هو ولذلك سكت وبهت كما اخبر الله سبحانه عنه بقوله فبهت
الذي كفر وليشعر بان الباعث له على دعائه انما هو اتصافه بتلك الصفات
والصلوات وقوله عم دلع فيه التفات من الخطاب الى الغيبة واطناب بالايضاح
بعد الابهام تفخيما لشان المبهم وتعظيما له والدلع الاخراج ومنه انه كان يدلع
لسانه للحسين اي يخرجه حتى يرى حمرته فيهش اليه دلع وادلع ومنه الحديث

ان امرئت ذات كليا فى يوم حار قد ادلع لسانه من العطش ومنه يبعث شاهد
الزور يوم القيمة مدلعا لسانه فى النار وفى القاموس دلع لسانه كمنع اخرجه
كادلعه فدلع كمنع ونصر دلعا ودلوعا وانما عبر عن ظهور ضوء الصبح وبيانه
وابتداءه بدلع لسانه لانه انصداع ظلمة عن نور ولهذا يسمى بالصديع وكان
الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا
من النور وبعبارة اخرى انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطير وهو انتشار
ضوء الصبح يرى كانه جدول ماء صاف يسيل فى بحر كدر بحيث لا يتكدر
الصافى بالكدر ولا يختلط الكدر بالصافى فذلك الجدول هو المعبر عنه
بلسان الصباح وقد يقال له عمود الفجر والمراد انه تعالى فلق الظلمة فانشقت
عن ضوء يستضئ به ما كان كمدا فى نفسه كثيفا فى جوهره كالارض واجزائها
المتصلة والمنفصلة واللسان فى الاصل معناه الفصاحة ومنه اللسن اى
الفصيح وانما سميت الجارحة لكونها الة لايضاح المعانى وايضاحها واضافته
الى الصباح اضافة اللجين الى الماء فى قوله والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الاصيل على لجين الماء حيث قدم المشبه به على المشبه واضيف اليه
اى اصيل كالذهب على ماء كاللجين وكذا الكلام فى ينطق تبلج على ما سيأتى
وعلى هذا فليس فى الكلام استعارة بل فيه تشبيهان فقط ويحتمل ان يكون
الاضافة فيه لامية كما سنشير اليه انشاء الله تعالى وبما قررناه ظهر ان لا حاجة

الى

الى القول بالتجريد بان الدلع عبارة عن اخراج اللسان من الفم فهو على طريقة
لسقيل الله ماء وسبحان الذى اسرى وفى لسان الصباح براعة استهلال
لان هذا الدعاء لما كان موضوعا لان يطلب به الداعى خير صباحه فذكره
فى مقام الوصف والثناء براعة لا يخفى والصباح اول النهار واذا جاء
ضيائه وهو الفجر ومثله الصبح وقد يطلق على منتصف الليل الى الزوال
كما نقله ابن الجواليقى عن العرب والجمع اصباح والمراد به هنا اول النهار وهو
ضوء الشمس يظهر فى جانب المشرق قبل طلوعها لانها اذا قربت من الافق
الشرقى مال مخروط ظل الارض عن سمت الراس وقربت الاجزاء المستضيئة
فى حواشى الظل من البصر وفيه ادنى قوة فيدركه البصر وكلما ازدادت
الشمس قربا من الافق ازداد ضوء نهايات الظل قربا من البصر الى ان يطلع
الشمس ومظهره اما كرة البخار القابل للظلمة والنور او ما يقارب الافق من
الاجزاء البخارية المختلطة بالهواء القابلة بالضوء بكونها متلونة فى الجملة
فيحقق شرط التكليف بالضوء وكلام فيه وفيما فيه يطلب من موضع اخر ثم
الظاهر ان المراد بالصباح هنا الفجر المستطير المسمى بالصادق لان الاطلاق
منصرف منساق الى الذهن لا المستطيل المسمى بالكاذب وان كان كل
منهما يطلق عليه الصباح كما ورد فى الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا
حتى يطلع الفجر المستطير ولان الصادق والكاذب من الصباح وان كان

ولكل منهما لسان مدلع ونطق والا لم يتصور ههنا صدق والكذب
الا ان التبلج والاشراق مما يلائم الصدق بل هو نفسه لان الضوء عند
قرب الصباح يظهر مستدقا ضعيفا مستطيلا كالعمود ويشبه بذنب
السرحان لدقته واستطالته ويبقى وجه الارض على ظلامه لظلمة ثم
يزداد الضوء الى ان ياخذ طولا وعرضا فينبسط في عرض الافق كنصف
دائرة وهذا اول التبلج والاسفار فتامل نطق ونطق ينطق من باب ضرب
يضرب تكلم بصوت وحروف يعرف بها المعاني ويقال نطق اللسان كما يقال
نطق الرجل والنطق يطلق على الظاهري الذي هو اللفظ والباطني الذي
هو ادراك الكليات وعلى القوة التي هي مصدر ذلك الفعل ومظهر هذا
الانفعال اعني الناطقة والمراد به هنا الاول على وجه الاستعارة
والباء فيه اما بيانية او القسمية او سببية واضافة الى التبلج اضافة الذهب
الى الاصل حيث شبه التبلج الذي هو السبب لكشف الصدق الستر بالنطق
الذي هو السبب لظهور ما في الضمير ثم قدم عليه واضيف اليه وكما ان
النطق اللازم للسان المتكلم وكذا التبلج اللازم للسان الصباح الاشراق او لامية
او فيه بيانية وفي تبلجه لامية والضمير فيه يعود الى الصباح والتبلج الا
والاضاءة يقال بلج الصبح ويبلج وابلج اذا اشرق واضاء واسفر والبلجة
بالضم والفتح ضوء الصبح وفي الحديث ليلة القدر بلجة اي مشرقة ومنه

ما نقل عن السيد الحميري في رد الشمس على صاحب الدعاء عليه السلام
ردت عليه الشمس لما فاته الى وقت الصلوة وقد غربت للمغرب حتى
تبلج نورها في وقتها للعصر ثم هوت هوى الكواكب وقد عرفت ما في
الكلام من التشبيه ولك ان تقول تشبيه الصباح في النفس بالشخص
المتكلم الجامع الاظهار والكشف اذ الصباح كاشف الستر كما ان المتكلم
كاشف الضمير استعارة بالكناية واثبات اللسان له تخييل وهذه الاستعارة
وقرينة الاستعارة الاولى كالاظفار للمنية في قوله واذا المنية انشبت اظفارها
لان المكنية والتخييلية على مذهب صاحب الايضاح ومن يرى رايه متلازمتان
لا يتحقق احدهما بدون الاخرى اذ التخييلية على هذا المذهب يجب ان
يكون قرينة المكنية كما انها يجب ان تكون قرينة التخييلية النسبة الى النطق اما
ترشيح او تخييل وفي مدلع استعارة تبعية او هو محمول على حقيقته وانما قلنا
على هذا المذهب لان صاحب الكشاف والمحققين من شراح كلامه يقولون
ان المكنية قد توجد بدون التخييلية وان قرينتها قد تكون تحقيقية تصريحية
كاستعارة النقض لابطال العهد في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه حيث استعار الحبل للعهد وهي مكنية وقرينة عليها بذكر
النقض الذي هو ابطال تاليف الجسم وهي استعارة تحقيقية تصريحية
حيث شبه ابطال العهد به واطلق اسم المشبه به على المشبه وهذا

معنى قوله في الكشاف شاع استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم
العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا
ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك
وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم
يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس لم يقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع و
العالم بانهما اسد وبحر انتهى كلامه قال العلامة التفتازاني استفدنا منه
ان قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب ان يكون استعارة تخييلية بل قد يكون
تحقيقية وقال صاحب الكشاف دل كلامه من غير تكلف على ان المراد فالكوني
به قد يكون مما لا يستقل ولغرض منه التنبيه فقط كما في مخالب المنية وقد
يكون ما يستقل وان تفرع على الاول كالنقض والاعتراف للابطال والانقطاع
وغير ذلك تابعه انتهى فهنا انه يصح ان يقال استعار الصباح للشخص
المتكلم وهي مكنية ونبه عليها بذكر اللسان الذي هو آلة الافصاح والافصاح
وهي استعارة تصريحية حيث شبه انصداع الصباح واظهاره الاشياء بعينه
باللسان ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه فتامل فيه وحاصل المعنى انه ادعو
نادى الذي اخرج لسان الصباح بان جعله مشرقا مضيئا للعالم معربا لما فيه من

الاشياء

من الاشياء كالنطق الذي هو معرب لذات الصدور وباظهار نوره و
اعتراض ضوئه ان ضياء ضوء الصباح انما هو من ضياء الشمس قطعا وبيان ذلك
على ما حرره ارباب الهيئة ان المستضيء بالشمس اكثر من نصفها والا لانها اعظم منها
ومتى استضائت كرة صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من الصغرى اكثر من نصفها
والمظلم اقل ويكون ظلها مخروطيا فظل الارض على هيئة مخروط يلازم راسه مدار
الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم النهار حتى كون المخروط تحت الافق والليل
مدة كونه فوقه فاذا ازداد قرب الشمس من شرقي الافق ازداد ميل المخروط
الى غربيه ولا يزال كذلك حتى يرى الشعاع المحيط به واول ما يرى منه هو
الاقرب الى موضع الناظر لانه اصدق رؤية وهو موضع خط يخرج من بصره عمودا
على الخط المماس للشمس والارض فيرى الضوء مرتفعا عن الافق مستطيلا وما
بينه وبين الافق مظلما لقربه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك
عن الناظر وهو الصبح الكاذب ثم اذا قرب الشمس جدا يرى الضوء معترضا
منبسطا وهو الصبح الصادق ومنهم من قال انما سمي الاول كاذبا لانه معقب
بالظلمة بناء على فناء ظهوره وزواله بخلاف الثاني وفيه ان الضوء لا ينتفي بل
يختفي لغلبة الضوء الثاني عليه كما ان ضوء المصباح يختفي في جنب ضوء الصباح
هذا وهذا لا ينافي كونه تعالى فالقه كما ان وجود النهار بطلوع الشمس لا ينافي
كونه تعالى خالقه والفخر الرازي اراد ان ذلك بقدرة الفاعل المختار ونفى كون

الصبح لضوء الشمس بل لا يكاد يميزهما وكلاهما خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة
فكانت ساقطة عن درجة الاعتبار ذا القدر عند اولى الابصار تذنيب الصبح
علامة شرعية يعرفان بها قال سيدنا الصادق عليه السلم وقت الغداة اذا
اعترض الفجر فاضاء حسنا واما الفجر الذي يشبه ذنب السرحان فذلك الفجر الكاذب
والفجر الصادق هو المعترض كالقباطي في القاموس القبط بالكسر اهل المصر واليهم
ينسب الثياب القبطية بالضم على غير قياس والجمع قباطي وقال عليه السلام الفجر
هو الذي اذا رايته كان معترضا كانه بياض نهر سوراء في القاموس سوراء
كطوبى موضع بالعراق وهو من بلد السريانيين وموضع من اعمال بغداد
وقد يمد وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تجلبه معطوف على دلع وما فيه
من رعاية محسنات الوصل بعد تحقق مجوزاته غير خفي اما الاولى فلتناسب
بهما في الفعلية والفعليتين في الماضوية واما الثانية فلاتحاد المسند اليه
والمناسبة الظاهرة بين المسندات وتسريح الماشية اساحتها يقال سرحت
الماشية اي افشيتها واسمتها وارسلتها للرعي وسرحت هي بنفسها
رعيت وهو من الافعال اللازمة والمتعدية وسرحتها بالتفعيل مبالغة وتكثير
والمراد بالسرح هنا التخلية وعدم المنع كما يسرح الماشية في المرعى وهو استعارة
تبعية او مكنية كما سبق وتسريح المرأة تطليقها ومنه فامساك بمعروف او تسريح
باحسان وفيه ايماء لطيف الى ان تلك القطع متعلقة بعقال مشتبه وفي ذهابها

وايابها

وايابها وطلوعها وافولها مؤتمرة باوامره فاذا امر الملك الموكل بتحريك الفلك
ان يحرك حركته الى ان ينقضي تلك القطع بحذافيرها وبذلك يدلع لسان
الصباح ولو امره بتسكينه سكنه فبقي سكان هذا العالم على ظلامه قل
ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله
ياتيكم بضياء افلا تسمعون والقطع جمع قطعة وفي الارض قطع متجاورات
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما والليل هو الزمان الذي
يقع ما بين غروب الشمس وطلوعها عند اهل اللغة وما بين غروبها
وطلوع الفجر الصادق عند اهل الشرع وقد سبق انه عبارة عن مدة
كون مخروط ظل الارض فوق الافق وبعبارة اخرى اذا كان مركز الشمس
تحت الافق الحقيقي فهو زمان الليل والعامة يعتبرون جرمها وضوئها
واذا كان جرم الشمس بتمامه غائبا عن النظر لا لمانع كان زمان الليل و
في عرف المتشرعة ابتداء الليل عند اهل السنة من زمان مجاوزة جرم
الشمس بتمامه عن افق الغربي وعند الامامية على المشهور من زوال
الحمرة المشرقية وظهور الظلمة في ذلك الجانب وقيل علامة استتار القرص
ولا عبرة بالحمرة وفيها كلام يطلب من كتب الفروع وانتهاؤه بالاتفاق عند
طلوع الصبح ولما كان الليل عبارة عن الزمان المذكور وكان الزمان من
الكميات المتصلة القابلة للقسمة بدا انها كانت له اجزاء وقطع والظاهر ان

ان المراد بقطعه ساعاته واناته ودقائقه وثوانيه وثوالثه وروابعه
الى غير ذلك من المقادير المذكوره فى كتبهم فانهم قسموا اليوم بليلته على اربعة
وعشرين قسما متساويه وسموا كل قسم ساعة وقسموا كل ساعة بستين قسما
وسموا كل قسم دقيقه وسموا الساعات المذكوره مستويات لتساويها
فى المقدار ابدا طال كل من الليل والنهار ام قصر لكنها تختلف فى العدد
بحسب طول كل منهما وقصره وقد يقسمون كل يوم وكل ليلة باثنى
عشر قسما متساويه ويسمونها الساعات الزمانيات والمعوجه لعدم
تساويها فى المقدار وان استوت فى العدد فان مقدار كل ساعات
يزيد وينقص بحسب الطول كل من الليل والنهار وقصره لكنها لا تختلف
فى العدد فهى عكس المستويات فهذه الدقايق والساعات هى المراد
هنا بالقطعات والمراد بها طلوع قطعه من القوس التى بين نقطتى المشرق
والمغرب تحت الارض من دائرة بدائرة الشمس اعنى طلوع قوس الليل شيئا
وافولها كذلك والظلمه ماخوذه من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرويه وغياهب تلجلجه نظير ينطق بتلجه والغيهب الظلمه
والشديد السواد من الخيل والليل يقال فرس ادهم غيهب اذا اشتد
سواده وليل غيهب مظلم والجمع الغياهب ومنه ما قيل ارعى الكواكب
وارمق الغيهب والتلجلج والتلجلج التردد فى الكلام فهو وصف المتكلم

اذا ثقل لسانه فلم يقدر على مرامه ويخرج كلامه اما لدهشة او خشيه او ما شاكل
ذلك ومنه قولهم المنكر ما يصدر عن الكافر من التلجلج عند سوال الملكين
وقولهم فى المثل السائر الحق ابلج والباطل لجلج اى الحق ظاهر والباطل متردد
وقريب منه الحديث المشهور خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون فى صدر
المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتكون الى صواحبها فى صدر المؤمن
فتشبيه قطع الليل بقطع الماشيه استعارة مكنية واثبات التسريح لها تخييل
او ترشيح ونفى شرح باعتبار ضمير الفاعل باستعارة تبعية اذ الغرض منه
تمثيل حاله تعالى فى ارساله واذهابه قطع الليل شيئا فشيئا بحال الراعى
فى تسريحه قطع الماشيه مكانا فمكانا الا انه لم يصرح فى جانب المشبه
ما بازاء المشبه من الالفاظ الا بكلمة سرح فان مدلولها هو العمدة فى هذا
الهيئه وما عداه تبع ملاحظ فى ضمن الالفاظ منويه فلا يكون لفظ سرح
استعارة ويمكن جعله من قبيل التمثيل للمفرد بان يشبه ذات الله تعالى
عن ذلك بالراعى ويشبه قطع الليل بقطع الغنم وارساله اياها بتسريحه
اياها الى غير ذلك من الاعتبارات ولعل الاول اولى بالاعتبار عند
اولى الابصار وانما اضاف التلجلج اليه باعتبار ان الاشياء الواقعة
فيه لا يمكن تشخيصها ولا تمييزها كما ان من له التلجلج لا يمكن تمييز كلامه و
فهم مرامه فالليل كالحيوان الصامت والانسان الابكم فى انه لا يمكن

ان يفهم غرضه من صوته او بصعب والنهار كالحيوان الناطق الفصيح لمفهوم غرضه
من صوته واضافة الغياهب الى التبلج اضافة المشبه الى المشبه به او العكس
والباء فيه للملابسة والمراد انه دعى من اذهب قطعة تدريجا في حال
تلبسها بالظلمات المشبهات بالتبلج تذنيب تقديم الاولى على الثانية
والنظم الطبيعي يقتضي العكس اما للاهتمام ببيان الصباح وغاياته او
للاستعار بتقديم النور على الظلمة والقول بان الظلمة هي الاصل والنور طار
عليها يسترها ثم الاستدلال عليه بقوله تعالى اولم ير وان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما اى كانتا مظلمتين ففتقهما الله باظهار النور فيهما
اذ لا يكون مع الرتق الا الظلام فهو سابق على النور وبما قد ثبت ان
القيمة لا يقوم الا نهارا فدل على ان ليلة النوم السابقة على نهارها اذ كل يوم
له ليلة فكان الليل قبل النهار بل فيه قول الرضا عم ان طالع الدنيا السرطان
والكواكب في مواضع شرفها زحل في الميزان والمشترى في السرطان والشمس
في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع
في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل انتهى وللايماء الى انه وجودي والظلمة
عدمية اذ هي عدم النور عما من شانه ان يصير مستنيرا والملكات اصل
بالنسبة الى الاعدام قال صاحب الكشف الظلمة عبارة عن عدم النور وهذا
هو المطابق للغة وعليه المحققون وزيادة عما من شانه النور غير مسموعة

انتهى

انتهى قال السعد التفتازاني اذا اجرى عدم النور على اطلاقه كان بين النور
والظلمة تقابل الايجاب والسلب وان قيد عما من شانه فبينهما تقابل الملكة
والعدم وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي النور فبينهما تقابل التضاد
انتهى وهي على هذا وجوديه وعلى الاولين عدميه والمناقشة بان الظلمة
مرئيه ولا شيء من الاعدام كذلك واهيه اذ لا نجد فرقا بين اغماض العين في الظلمة
الشديدة وفتحها كما تشهد له التجربة واتقن صنع الفلك الدوار في معارج
تبرجه اتقن الامر احكمه والمراد انه جعله محكما قوى الخلق ثابتا لا ينهدم
من حيث الاركان ولا يؤثر فيه الزمان وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
السماء سقفا محفوظا والصنع بالضم مصدر قولك صنع اليه معروفا
وصنع به صنيعا قبيحا اى فعله كذا قال الجوهري في الصحاح وتبعه صاحب
القاموس فقال صنع اليه معروفا فعل صنعا قال الله نعم صنع الله الذى
اتقن كل شيء انتهى والفرق بين صنع الشيء وخلقه ان الصنع عبارة عن
اخراجه من العدم الى الوجود والخلق عبارة عن تقديره على مقتضى الحكمة اخرجه
الى الوجود ام لا فكل ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى تقديره اولا
والى ايجاده على وفق التقدير ثانيا والى تصويره بعد الايجاد ثالثا كالبناء
المحتاج الى تقدير ما لا بد منه في وجوده من الخشب واللبن ومساحة الارض
وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس ثم يحتاج الى بناء

بتوالا الاعمال التي عند ها تحدث اصول الابنيه ثم الى من يتبعش ظاهره
ويرتب صورته هذا في غير افعاله تعم فاما فيها فان ذاته بذاته هو الخالق
والصانع والمصور من حيث ترتبته صور المصنوعات احسن الترتيب المشاهد
او اضافة الصنع الى الفلك اضافة الجرد الى القطيفه والاختلاف الى الثياب
اى الفلك المصنوع المخلوق والفلك فعختبى مدار النجوم سمى بذلك
تشبيها له بفلك الدولاب والمغزل لمشابهته لهما في الدوران قال ابو ريحان
ان العرب والفرس سلكوا في التسميه السماء مسلكا واحدا فالعرب سموه
فلكا تشبيها له بفلكة الدولاب على محور ذو قطبين والفرس سموه اسمان
تشبيها له بالرحى فكان اسمى بلغتهم الرحى وما ن دال على التشبيه اقول فكما
ان فلكة الدولاب الخسيس محتاج في وجوده ودورانه الى موجد توجده
ومدبر يدبره ومدير يديره كذلك هذا الدولاب الشريف الاعظم
المصنوع بحكم تقصر فيها اذهان البشر يحتاج الى موجد يوجده ومدبر يدبره
ومدير يديره هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن فهو اول دليل
على وجود صانعه وقدرته وعلمه وحكمته اذ الضروره قاضيه بان فاعل
هذا الامور المشتمل على لطائف الصنع وبدايع النظم والترتيب عالم لطيف
خبير والمراد بالفلك جنسه او الالف واللام فيه للاستغراق فيشتمل
الافلاك الكليه والجزئيه باسرها والدوار من ابنيه المبالغة من دار يدور

اذا

اذا طاف حول الشئ واذا عاد الى الموضع الذى ابتداء منه والعرب
قد بنت مثال المذكور والفعل على فعّال فقالوا الكثير السوال سال والاستناد
الحقيقي في اللغه والعرف هو ما يكون من حق الاستناد ان يسند اليه سواء
كان علة حقيقيا او علة قابليه فان اهل العرف يسندون الافعال الى تلك
الاسباب ولا بد تقوون فيها الدقيقات الكلاميه فاسناد الدوران اليه
لا ينافي ما ورد ان الله وكل بالفلك ملكا معه سبعون الف ملك
فهم يديرونه فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه ومخالفته
لقوانين الفلاسفه غير مضر لانها نظريات لم يثبت برهان فالقول بها وهمي
لا يعارض النصوص الشرعيه ولا سيّما اجماعهم كما سبق قال قياس الدين
منصور قدس سره الذى يستفاد مما افاده القدماء من الحكماء ان
كلّ فلك كلي شخص واحد فكل من الكليات التي للسبعات والسبع شخص له
قلب هو كوكبه واعضاء هي افلاكه الجزئيه وبدن هو الفلك الكلي والنفس
الفلكيه تتعلق اولا بالقلب الذى هو الكوكب ثم بغيره من الاعضاء وهذا
كالشخص الانساني فان نفسه اولا تتعلق بروحه الحيواني الذى في القلب
ثم بسائر اعضاءه والاراده النفسيه في الكوكب فالنفس بالاراده الكوكبيه
تحرك البدن وسائر الاعضاء على ما شاء واراد كما ان كل انسان وحيوان
يحرك بدنه واعضائه على ما اراد انتهى وقد قرر اصحاب الارصاد

بمقتضى ما ادت ارصادهم ان كل نقطة تفرض على مقعر الفلك التاسع تتحرك
فی عشر عشر سبع ساعة مستوية احد وسبعين الف فرسخ وثمانمائة وست
فراسخ واستنبطوا منه انه فی مدة ما يتلفظ به الانسان بلفظ واحد تتحرك
الفا وسبعمائة واثنين وثلثين فرسخا فالوجه فی مبالغته انه كما وكيفا
ظاهر ثم لو كانت للارض حركة وضعية من المغرب الى المشرق وكانت الحركة
السريعة من المشرق الى المغرب وهی اليومية مستندة اليه والبطيئة
المختلفة من المغرب الى المشرق وهی الخاصة مستندة الى الفلك كما زعمه قوم لما
صح وصفه بالدوار حول الارض ففيه دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه الا
ان يقال لا منافاة بين البطوء فی الحركة والمبالغة فی الدوران بحسب
العبرة بمعنى صدور هذا الفعل عنه مرارا كثيرة بحسب طول المدة نعم بينهما
منافات بحسب الشدة فتامل ايضاح ذهب اكثر الفلاسفة الى ان الافلاك
باجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها واكثرهم على ان غرضها
من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقرب اليه جل شانه وبعضهم على ان
حركاتها لورود الشوارق القدسية عليها آنا فآنا فهی من قبيل الطرب
والرقص الحاصل له من شدة السرور والفرح وذهب جمع منهم الى
انه لا ميت فی شیء من الكواكب ايضا حتى اثبتوا لكل منها نفسا تحركه حركة
مستديرة على نفسه وابن سينا فی الشفا مال الى هذا القول وجزم فی

الاشارات

فی الاشارات وقال العلامة البهائی قدس سره فی الحديقة الهلالية لم يرد
فی الشريعة المطهرة ما ينافی ذلك القول ولا قام دليل عقلی على بطلانه فلو
قال به قائل لم يكن مجازفا ثم قال واذا جاز ان يكون لمثل البعوضة والنمل
فما دونها حيوة فای مانع من ان يكون لتلك الاجرام الشريفة ذلك وتبعه فی ذلك
كلمه القاسانی قدس سره فی تعليقاته على هذا الدعاء وقال ما قال ثم زاد
عليه ابيات فارسية حيث قال وانشد بعضهم از ملك تا فلك جو كردا انست
فلك اندر تن ملك جانست عرش وكرسی جو همه ذرات كمتر است
از بهایم حشرات خنفساء مگس حمار و قبان همه با جان مهر و مه بی جان
اقول قول ابن سينا واضرابه باعترافهم ليس بحجة يركن اليها الديانون
فی امثال تلك المطالب ولا سيما اذا كان مجرد دعوى عرية عن الحجة
والبرهان مخالفا لما انعقد عليه اجماع المسلمين كما نقله السيد السند
الجليل المرتضى علم الهدى كما سبق وكفى به ناقلا اذا قالت حذام فصدقوها
فان القول ما قالت حذام حيث قال الاختلاف بين المسلمين فی ارتفاع الحيوة
عن الفلك وما اشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك
معلوم من دين رسول الله ص ضرورة مع انه مخالف لما رواه محمد بن مسلم
عن الباقر ع قال سألته عن ركود الشمس فقال ان الشمس اذا طلعت جذبها
سبعون الف ملك بعد ان اخذ بكل شعاع منها خمسة الاف من الملئكة

من بين دافع وجاذب حتى اذا بلغت الجو وجازت الكو تلقتها ملك النور
ظهر البطن الحديث كذا في الفقيه وفيه عن سيد العابدين صلوات الله
عليه وعلى ابائه وابنائه الطاهرين ان الله وكل بالفلك ملكا معه سبعون
الف ملك فهم يديرون الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر
والنجوم معه فنزلت في منازلها التي قدرها ليومها وليلتها الحديث ولي
نظائر كثيرة في الاخبار المنقولة عن الصادقين الاخيار والى هذا اشار
السيد بقوله وانها مسخرة مدبرة واما تاويل تلك الافلاك بنفوس الافلاك
وقواها وخاصة على القول بان لكل كوكب نفسا بحركه فغير جائز فان تاويل
الظواهر انما يجوز اذا دلت القواطع على خلافه وههنا ليس كذلك بل ليست
لهم على ذلك شبهة فالواجب الاعراض عن التاويل فانه جاز اكثر المذاهب
الباطلة والاديان العاطلة والتعرض له انما ينشاء من التعصب المبرئ
عنه اهل الحق وكانا قد ذكرنا الكلام في ذلك واوضح من ذلك في بعض رسائلنا
فليطالع من هناك هذا وفي مقادير بتوجه متعلق باتفق ولفظة في لفظ فيه
مدخولها بشيء اعني حلول الشيء فيه حقيقة او مجازا وظاهر ان المقادير
ليست ظرفا بالاتفاق فامتنع حمل اللفظ على حقيقته فيكون على طريقة
الاستعارة على قياس زيد في نعمة بان تشبه الهيئة المنتزعة من الاتفاق
والمقادير ومصاحبته احدهما الاخر بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف و

واصطها

واصطحابها فيكون في الكلام الاستعارة تمثيلية تركب كل من طرفيه لكنه لم
يصرح ما بازاء المشبه به من الالفاظ الا بكلمة في فان مدلولها هو العمدة
في تلك الهيئة وقد مر تصنيع فتذكر والتبرج اظهار الزينة يقال تبرجت
المرآءه اذا اظهرت زينتها للرجال ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ولعل
المراد باتفاقه في مقادير التبرج انها جعلت ثابتة دائمة غير متغيرة ولا
متفاوتة بمرور الشهور وكرور الدهور فان البروج الاثنى عشر مثلا
منها شمالية دائما مشتملة على ثلثة ربيعية وثلاثة صيفية وست اخرى
جنوبية دائما مشتملة على ثلثة خريفية وثلاثة شتوية وكذلك الكواكب
بعضها ثابت لا يفارق في سيره مركوزه من الفلك ولا يسير الا مجتمعا بعضها
يتنقل من برج الى برج ويفترق في سيره ولكل منهما حركتين مختلفتين عامة
من المشرق الى المغرب وخاصة من المغرب الى المشرق وهذه الهيئات
المختلفة والاوضاع المتفاوتة الموروثة للتبرج وتزيينه للناظرين مستمرة
على نهج واحد ونظام مشاهد ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها
للناظرين تذنيب قال السيد قياس الدين منصور قدس سره المستفاد
من ارباب الارصاد الروحانيات والنبوات والانبياء واعاظم الحكماء
ان الافلاك تسعة لا غير وهي منحصرة الا في سبع سموات وكرسي وعرش و
قال الشيخ الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة الشرع والبرهان تطابقا

على ان الافلاك تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات ثم الكرسي والعرش
الناموس الالهي قالوا وهي اجسام كرويات متسعات بجوفات مركبة بعضها
في جوف بعض واكثرها يشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة
مضيئة مركوزة في اجرام الافلاك وما بيننا ليس من الكواكب الا القمر
ويسمى فلك القمر والسماء الدنيا وهو محيط بالهواء من جميع الجهات احاطة
قشر البيضة بياضها والارض في جوف الهواء البيضة في بياضها ومن
وراء فلك القمر فلك العطارد وليس فيه من الكواكب غيرها ومن وراءه
فلك الزهرة وليس فيه غيرها ومن ورائه فلك الشمس وليس فيه غيرها
ومن ورائه فلك المريخ وليس فيه غيره ومن ورائه فلك زحل وليس فيه
غيره وهذه السبعة الكواكب يقال لها السيارة ومن وراء فلك زحل
فلك الكواكب الثابتة وهو يشتمل على ما سوى السبعة المذكورة من الكواكب
ويسمى فلك البروج وفلك الثوابت لكونه مكانا لها وتسميتهم كواكبه بالثوابت
اما لبطوء حركتها فلا تحس واما لثبات بعضها من بعض فانا نجد دائما وضعا
معينا بين النسر الطائر والنسر الواقع ويسمى في الشرع بالكرسي ومن ورائه
فلك المحيط لاحاطته بجميع الافلاك ويسمى فلك الافلاك والفلك الاعظم
والفلك الاطلس لانه غير مكوكب اما لخلوه عن الكواكب او لعدم ادراكنا لما فيه
منها ان كان وهو المسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع وهذا الفلك دائم

اوضاع

الدوان

الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض وبالعكس
تحتها في كل يوم وليلة دورة ويدير سائر الافلاك والكواكب معه كما قال
عز اسمه وكل في فلك يسبحون وسائر الافلاك يدور كل منها بحركة تخصه
به من المغرب الى المشرق فوق الارض وبالعكس تحتها بدليل ان الهلال
يرى في الليلة الاولى في مكان وفي الثانية ينتقل الى مكان اخر اخذا الى
جهة الشرق وهكذا الى اخر الشهر حتى يتم فلكه الدورة وهي ان يعود الى النقطة
التي كان عليها اولا فكان لكل من الافلاك الثمانية دوران الذاتية وهي التي
من المغرب الى المشرق وقسرية وهي التي من المشرق الى المغرب وشبهوا ذلك
بنملة على رحى والرحى تسعى الى جهة اليمين مثلا والنملة الى جهة اليسار
فللنملة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تعسر
الافلاك وتديرها الى غير جهة حركتها الذاتية عكسا وهذه الحركة هي التي
يرى بها الشمس كل يوم في شروق وغروب ولا فلكها لا يتم الدورة
الا في قريب من سنة اذا عرفت هذا فالمراد بالفلك الدوار في عبارة الدعاء
اما الفلك الاعظم وانما عبر عنه به لكثرة دورانه كما سبق او جميع الافلاك
عموما كما او ما انا اليه والسيارات السبع خاصة انما اريد بالدوران وللمبالغة
فيه ما يعم الذاتي والقسري وهو الانسب بعبارة الناموس الالهي لان الاول
مع انه لا مناسبة قوله في مقادير تدبيره وان ناسبه وصفه بكثرة الدوران لكن
لا يسمى بالفلك بلسان الشرع وقد عرفت حقيقة الحال وحقيقة المقال فقد

لاصل

ثم اعلم انه لم يتبين من الاوائل والاواخر كمية عدد الافلاك على ما هي عليه
لا عقلا ولا نقلا فان الذي دل عليه ظاهر القران ان الله سبع سموات
لكن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزايد روى ثقة الاسلام في كتاب
الروضة بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال
لي ليلة وانا عنده ونظر الى السماء يا باحمزة هذه قبة ابناء ادم عليه السلام
ان الله تعالى سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين و
لم نظائر اوردنا منها في هداية الفواد واشبعنا الكلام فيه فيها من
من هناك وشعع ضياء الشمس بنور تاجه الشعع والشعاع والشعشعاني
الطويل ومنه قال ابن ابي الحديد في قصيدته المشهورة في وصف سيف
صاحب الدعا امير المومنين سلام الله عليه وحب الوميض الشعشعاني
فانقض من المصدر الاعلى تبارك مصدرا فليس سواء بعد ذا تعظم ولا ائ
مسجود الها او مغفرا والشعاع الخفيف والمتفرق والضوء والنور مترادفان
لغة وقيل هو اقوى من النور فهو فرط الانارة وقد تسمى تلك الكيفية ان
كانت من ذات الشيء ضوء وان كانت مستفادة من غيرها نورا اخذا
من قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقال صاحب الكشاف
والتحقيق ان الضوء فرع النور يطلق على الشعاع المنبسط والنور يطلق على
ما للشيء في نفسه كالنور القائم بنفس الشمس ولهذا يقع على الذوات
الجوهرية بخلاف الضوء وقال الراغب النور الضوء المنتشر الذي يعين على

الابصار

على الابصار وهو ضربان دنيوي واخروي فالدنيوي ضربان معقول
بعين البصيرة وهو ما انتشر من الانوار الالهية كنور العقل ونور
القران ومنه قد جاءكم من الله نور ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر
من الاجسام النيرة كالقمرين والنجوم النيرات ومنه هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا ومن النور الاخروي قوله تعالى يسعى نورهم بين
ايديهم انتهى والمشهور ان ضياء الشمس ذاتي قائم بها غير
مستفاد من غيرها يستفيد منها ساير الكواكب انوارها المزيلة للظلام
حتى قال صاحب الهياكل ان رخش وعني به الشمس قاهر الغسق رئيس
السماء فاعل النهار صاحب العجايب عظيم الهيئة الذي يعطي جميع الاجرام
ضوئها والمعروف من الاخبار ان ضوئها مستفاد من نور العرش ففي
كتاب التوحيد عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله بعد كلام فتاتيها جبرئيل بحلة ضوء
من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله وقصره وما بين ذلك
فتلبس تلك الحلة كما تلبس احدكم ثيابه ومخالفة لقواعد الفلسفة كما لا يخفى
وهم في حقيقتها مختلفون فقال بعضهم هي فلك اجوف مملو نار الرقم
بجسم هذا الوهج والشعاع وقال اخرون هي سحابة ولون هو جسم
زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال اخرون هو
هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال اخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة

من النار ولحزون هو جوهر خامس سوى الجواهر الاربع والتاج تلهب
النار ومنه قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
واللهب بحركة اشتعال النار اذا خلص من الدخان اولهبا لسانها
والاضافات ثلاثها لامية والباء سببية تشبيه الضوء بالنار مكنية
واثبات التاج واللهب له ترشيح والضمير اما عايد الى الشمس ولم يؤنث
رعاية للسابقات وموافقة لسائر الفقرات او الى الضياء والمراد
ان للضياء شعل ولسان وللشعلة ولسانه نور خالص ليس كانوار سائر
الشعل كالكبريت وما شاكله فان شعلته ولسانه اما لا نور له او له نور
غير خالص والمعنى انه تم طول ضيائها بسبب نور لسانه وشعلته والمراد
انه قدر بلطف حكمته ولا تنها حول الارض فاذا كانت فوقها نفذ ضوءها
في اجزاء الهواء الى وجه الارض فيستضيء به اجزاؤها فكانه بذلك جعل ضياءها
طويلا ممتدا بالغا واصلا الى وجه الارض وجميع ما فيه عالم الانام صح
او لعل مراده انه جعل ضوءها متفرقا منتشرا ممتدا كالرماح ونحوها ويعبر
عنه بالخطوط الشعاعية وهو مبني على ما ذهب اليه جماعة من الاوائل
من كونها اجساما دقاقا تنفصل من المضيء وتتصل الى المستضيء
ولما انجر الكلام منه عم من نوع وصف الى اجزاء اعاد ذكر الموصوف
جل شانه وثناه ثانيا بقوله يا من دل على ذاته بذاته الدال لا له الهداية

والارشاد والدليل الهادي والمرشد والذات يطلق في الاصطلاح
على عين الشيء جوهرا كان ام عرضا واما في اللغة فيطلق على حقيقة الشيء وقد
يستعمل بمعنى صاحب وتجمع على الذوات وتثنيته ذواتا افنان كما في التنزيل
ذواتا افنان وقد يراد بذات الشيء ماهيته باعتبار وجودها الخارجي
اذ المعدوم لا ذات له ولا حقيقة فلا يقال ذات العنقاء ولا حقيقتها بل
ماهيتها وقد يقال على الحقيقة وعلى الهوية الخارجية وهذا هو المراد هنا
وقد يراد بذات الله تعالى ما يضاف اليه سبحانه من الاوامر والنواهي والحدود
والاحكام كجنب الله في قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومنه قوله
ص ان علينا الاخيشن في ذات الله وفيه شاهد على استعمال الذات
بهذا المعنى ورد على من انكر قال ابو التمام ويضرب في ذات الاله فيوجع
والمراد انه عليه السلم شديد التصلب والتشدد في الامور الالهية
لا يداري فيها ولا يداهن ولا تاخذه لومة لائم لان الاخيشن تصغير اخشن
افعل تفضيل من خشن خشونة ضد لان قال في الاساس ومن المجاز فلان
خشن في دينه اذا كان متشددا فيه والتصغير هنا للتعظيم كقوله دويهية
تصفر منها الانامل ومنه حديث اخر ان عليا ممسوس في ذات الله
والمراد انه صلوات الله عليه لتشدده وتصلبه في الامور الالهية وعدم
ملاحظته للومة لائم او رعاية جانب شبيه بالمجنون الذي لا يبالي

لما يقال فيه من لوم او مدح مثل اذا الممسوس الذى به مس من جن قال فى
الاساس ورجل ممسوس مجنون وقد يطلق الذات على ما يقابل الوصف
ويستعمل استعمال النفس والشئ ولذا يجوز تذكيره وتانيثه ومنه قوله
تعالى واصلحوا ذات بينكم قال صاحب الكشاف والاحوال الملابسة للبين
قيل لها ذات البين كقولهم اسقنا ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب و
قوله تعالى بذات الصدور وهى مضمراتها وبذاته متعلق بدل والباء فيه
كما فى قولك دل فلان بهذا على ذاك اى جعله دليلا عليه ومعرفا له فذاته
تعالى دليل على ذاته ومعرف لها لا غيره والا لزم كون المعرّف اخفى من المعرف
كيف لا وهو سبحانه اعرف الاشياء واظهرها عند العقل لانه ظاهر بذاته
ومظهر لغيره فظهوره ذاتى وظهور غيره عرضى حاصل بانتسابه اليه
واستناده له فمعنى دلالته ذاته على ذاته انه ظاهر بذاته لا يحتاج الى دليل
يدل عليه بخلاف غيره فانه خفى بذاته وانما يظهر به فهو دليل عليه
لا ذاته ولذا لما سئل النبى صلعم بماذا عرفت ربك قال بالله عرفت الاشياء
اى لظهوره وخفائها من حيث الذات والصفات يعنى انى نظرت الى
الاشياء فوجدتها مدبرة مسخرة قائمة بالغير به قوام ذاتها وظهور اثارها
وصفاتها فعرفت اولا ان لها ربا صانعا صنعها وجعلها مبداء الاثار وقومها
ثم عرفتها بقيامها به وانتسابها اليه فبهذا النظر بالله عرفت الاشياء وحاصله يؤل

الى

الى الاستدلال بوجود العلة الى وجود المعلول فان من نظر الى وجوده
تعالى من حيث انه وجود واجب قائم بذاته يظهر له انه اظهر الامور وبه ظهرت
الاشياء كلها فينتقل منه اليها ويجعله وسيلة للمعرفة انها موجودة قائمة
لا بذاتها بل بغيرها ومن هنا يقال ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله او معه
وعن بعض الصادقين صلوات الله عليهم اجمعين تعرفت الى فى كل شئ فرايتك
ظاهرا فى كل شئ فانت الظاهر لكل شئ وعنه عم منك اطلب الوصول اليك
وبك استدل عليك وقال فكيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر
اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى
غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هى
التى توصل اليك ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى دل باثار ذاته وبما خلقه
فى الافاق والانفس على معرفة ذاته او صفات ذاته او وجود ذاته الذى
هو عين ذاته فحذف المضاف فى الموضعين للعلم به وظهوره فيكون اشارة
الى الاستدلال بالمعلول على العلة والى نفى الاولوية الذاتية والخارجية فان
دلالة وجود الممكن على وجود الواجب انما تتم وتثبت بعد نفى تلك الاولوية
اما بدلالة البرهان عليه او بدعوى الضرورة واشار العقول الله وكان
الاول اظهر لفظا واقوى معنى الا ان معرفته بهذا الوجه كانها متعذرة او متعسرة
للعوام بل لاكثر الخواص بخلاف الثانى فان من له ادنى بصيرة اذا تفكر فى خلق

في خلق السموات واختلاف الليل والنهار ونظر الى الاشياء من حيث ان
لها ماهيات لا يمكن ان توجد بذاتها عرف ان لها صانعا صنعها ومدبرا
دبرها ولذا قال علي عليه السلام البعرة تدل على البعير وآثار القدم
تدل على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف
الخبير حكى ذو النون المصري قال سمعت شخصا قائما في وسط البحر وهو
يقول سيدي سيدي انا خلف البحور والجزائر وانت الملك الفرد بلا حاجب
ولا زائر من ذا الذي انس بك فاستوحش ام من ذا الذي نظر الى آيات
قدرتك فلم يدهش اما في تسبيك السماء ذات الطرائق ورفع الفلك
فوق رؤوس الخلائق واجرائك الماء بلا سائق وارسالك الريح بلا عائق
ما يدل على فردانيتك اما السموات فتدل على صنعتك واما الفلك
فيدل على احسن صنعتك واما الرياح فتنشر من نسيم بركاتك واما الرعود
فتصوت بتعظيم آياتك واما الارض فتدل على عظيم حكمتك واما الانهار
فتجري بعذوبة كلمتك واما الاشجار فتخبر بجميل صنائعك واما الشمس فتدل
على تمام بدائعك وهنا احتمال آخر وهو ان الحكماء ذهبوا الى ان العلة
الفاعلية للمعرفة تصورا كان او تصديقا بديهيا كان او نظريا شرعيا كان
او غيره انما يفيض من الله على الذهن بعد حصول استعداد له بسبب احساس
او تجربة او استماع او نظر او فكر او غير ذلك فهذه الامور معدات والعبد

كاسب

كاسب للمعرفة لا موجد لها والظاهر من اكثر الاخبار ان العبد انما كلف بالانقياد
للحق وترك الاستكبار عن قبوله واما المعارف فانها باسرها مما يلقيه الله في
قلوب عباده بعد اختيارهم الحق ثم يكمل ذلك شيئا فشيئا بقدر اعمالهم وطاعاتهم
حتى يوصلهم الى درجة اليقين فالمراد انه تعم دل بذاته على معرفة ذاته بان
القاها على قلب من شاء من عباده بعد اختيار الحق وافاضها عليه بعد استعداده
لها ويدل على الاول حسنة محمد بن حكيم قال قلت لابي عبد الله عم المعرفة من صنع
من هي قال من صنع الله ليس للعباد فيها صنع واعلم ان طرق دلالته وارشاده
سبحانه الى معرفة ذاته وان كانت لا تحصى جهاتها كثرة الا انها تنحصر في اقسام ثلثة
تندرج تحت كل قسم مراتب غير محصورة احدها طريق الدلالة بحسب فطرته تبارك
في سلوكها العوام ايضا اذ ما من احد الا ويعلم ان له صانعا صغره ومدبرا دبره
بحسب فطرته الاصلية لما ركب فيه من العقل الذي هو الحجة الاولى وان انكر
وجوده منكر فانما هو لغلبة شقاوته المكتسبة المبطلة لاستعداده الفطري
وهو مع ذلك يعترف به حال الاضطرار كما هو الوارد في الاخبار الثاني الطريق
الحاصل بالانظار والاستدلال بالآثار وهذه الطريقة يشترك في سلوكها
جميع الخواص المستدلين من العالمين حتى الانبياء والمرسلين وان كانوا فيه
على تفاوت مراتب عقولهم الا ترى انك تستدل بملكوت السموات وحركات
الكواكب وبزوغها وافولها على صانعها ومدبرها كما استدل بها خليل الرحمن

لا يحصل لك من ذلك الا علم ضعيف لا يكاد يسمى زجرا ايقانا بل والايمان
حتى لو وقعت فى ادنى بلية تلون وبكل من يتوهم انه يخلصك والذى حصل لهم
كان علما ثابتا ويقينا جازما حتى قال له الروح الامين وقد رمى بالمنجنيق فكان
فى الهواء مائلا الى النار الك حاجة قال اما اليك فلا فاعراضه عنه فى مثل
الحالة والتجائه الى ربه ليس الا لانه راى ما سواه مفتقرا اليه خاضعا لديه
بين يديه بل لم ير موجودا سواه ولا ملجأ الا اياه الثالث الطريق الحاصل بالرياضة
والمجاهدة الموصل الى حق اليقين بل عين اليقين وهذه الطريقة لخواص الخواص
الذين يعرفون الحق بالحق وهذه الفقرة الشريفة ممكنة الانطباق على جميع هذه
الطرائق اما على الثالث منها فظاهر لما عرفت ان خواص الخواص انما يعرفون
الله بالله ثم به يعرفون الاشياء واما على الاول والثانى فبعد اعتبار حذف
المضاف كما سبق بان يقال انه تعالى دل على معرفة ذاته وصفاته باثاره التى
منها افاضة المشاعر الظاهرة التى هى عين ذاته والباطنة واعطائه المعقول
النظرية ونصب الامارات الانفسية والافاقية المرشدة الى ذاته وصفاته التى هى
عين ذاته كما قال عز من قائل سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد هذا ولك ان تجعل الباء فى بذاته هى الداخلة
على المعقول كما فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم الطيبات والمراد انه
تعالى دل باثار ذاته على ذاته لاجل ذاته فيكون اشارة الى انه سبحانه وتعالى

باعتبار

باعتبار ذاته علة غائية لافعاله لانه الفاعل بذاته فهو الغاية بذاته اذ الفاعل بذاته
هو ما لا يكون فاعلا بامر ولا امر غير ذاته فذاته هى الغاية وهو الغاية بذاته ولذلك
قيل انه تعالى ما احب شيئا بالذات غير ذاته المقدسة وان احب غيره فانما
احب بتبعية محبة ذاته لانه من توابعها فكل ما هو اقرب اليه كان احب عنده فرجع
محبته لما سواه الى محبته لذاته كما يدل عليه ما ورد فى الحديث ان الله جميل يحب
الجمال فلا نظر له الى غيره من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس
فى الوجود الا نفسه وافعال نفسه وصنائعه واثاره وكلها راجع اليه وهو غاية
كل شىء فالايجاد من محبة ذاته وتابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا الايجاب الا
ذاته فذاته هى الغاية وهو الغاية بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته تبعد تعالى
تنزه تنزيها اذا ابعد وتنزيها لله تبعيده عما لا يجوز عليه من النقائص وكلمة عن المجانسة
والمجانسة المشاركة فى الجنس والاتحاد فيه بان يكون جنس واحد مشتركا بين الواجب
وبين مخلوقاته كاشتراك الحيوان بين الفرس والانسان وذلك واضح البطلان اما
اولا فاستلزامه التركيب المنافى للوجوب الذاتى لان كل جنسية مبهمة محصلة بفصلها فى ذاتها
فالفصل علة لتحصلها وتعينها وانطباقها على حقيقة واحدة من الحقائق المندرجة تحتها
وهذه الاجزاء لا تكون واجبة لذاتها فتكون ممكنة فالمحتاج اليها اولى بان يكون
ممكنا وهذا فى نفى التركيب الخارجى تام واما نفى التركيب الذهنى فبان يقال وجود
الجنس والفصل واحد لصحة الحمل فهما متحدان فوجودهما لا يكون عينهما وقد ثبت

ان وجود الواجب عينه فلا يجوز كونه مركبا واما ثانيا فلاستلزامه ان يكون
الواجب علة لمخلوقاته المشارك له في ذلك الجنس وذلك لما تقرر ان الطبيعة
الواحدة لا يمكن ان يكون بعض افرادها علة لبعض اخر لذاته لانه لو فرض
كون نار مثلا علة لنار فعلية هذه ومعلولية تلك اما لنفس كونها
نارا فلا رجحان لاحدهما في العلية وللاخرى في المعلولية بل يلزم ان
يكون كل نار علة للاخرى بل علة لذاتها وهو محال وان كانت العلية
لانضمام امر اخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل العلة ح ذلك الامر فقط
لعدم الرجحان في احديهما للشرطية والجزئية ايض لاتحادهما من جهة المعنى
المشترك وكذلك لو فرض المعلولية لاجل ضميمة فثبت ان جاعل الشيء
يستحيل ان يكون مشاركا له وبه يعرف ان كل كمال وكل امر وجودي
يتحقق في الموجودات الامكانية فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى
ولكن يوجد له ما هو اعلى واشرف منه اما الاول فلتعاليه عن النقص
وكل مجعول ناقص والا لم يكن مفتقرا الى جاعل وكذا ما يساويه في المرتبة
كاحاد نوعه وافراد جنسه واما الثاني فلان معطي كل كمال ليس بفاقد
له بل منبعه ومعدنه وما في المجعول رشحه وظله واما ثالثا فلان كل
ممكن زوج تركيبي حادث زائدة صفاته على ذاته وهو اما جوهر او عرض
والواجب بخلاف ذلك فانه بسيط حقيقي واحد من جميع الجهات قديم

صفاته

صفاته عين الذات ومنه يعلم انه ليس بجوهر فانه مهية اذا وجدت
في الخارج لا في موضوع فوجوده زائد على ذاته ويحتمل ان يكون المراد
بالمجانسة هنا المماثلة اذ الجنس قد يطلق على ما يعبر عنه في المنطق بالنوع
واهل اللغة يسمونه ايضا جنسا وقد يطلق على ما يطلق الكثير والقليل
كالماء الذي يقال على القطرة والبحر وقد يقال على نفس الحقيقة
ومفهوم المسمى من غير اعتبار ما صدق عليه من الافراد كما يقال جنس
الرجل افضل من جنس المراة فيكون الغرض نفي وجدانه تعم بالتمثيل
وذلك لان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته لان المثلية
اما ان يتحقق من كل وجه فلا تعدد لفقد لان التعدد يقتضي المغايرة
بوجه ما وذلك ينافي المثلية والاتحاد من كل وجه واما ان يتحقق
من بعض الوجوه وح ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها او امر خارج
عنها فان كان الاول لكان ما به الامتياز عرضا للحقيقة لازما او
زائلا لكن ذلك باطل لان المقتضي لذلك العرض اما المهية فيلزم ان
ان يكون مشتركا بين المثلين لان مقتضى المهية الواحدة لا يختلف
فيما به الامتياز لاحد المثلين عن الاخر حاصل للاخر او غيرها فيكون
ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما يميزها عن غيرها الى امر خارجي
واما ان كان ما به التماثل والاتحاد جزء من المثلين لزم كون كل منهما

مركبا فبقى ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين
لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج عن
حقيقته لاستلزام اثبات الصفة الخارجة عنه له تشبيه وتركيبه واما
ثانيا فلان ذلك الامر الخارجي المشترك ان كان كمالا للذات واجب الوجود
فواجب الوجود مستفيد للكمال من غيره وان لم يكن كمالا كان نقصانا لان
الزيادة على الكمال نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب لذاته
وهذه الاحتمالات على تقدير ابقاء المجانسة على معناها الاول وهو الاتحاد
فى الجنس لا الاتحاد فى النوع لان المثل فى اللغة يقال لاى مشارك
كانت كما خرج به الراغب ولما لم يكن الله تعالى داخلا بحسب جنس لبرائته
من التركيب المستلزم للامكان ولا تحت نوع لافتقاره الى التخصيص
بالعوارض الى غيره لا جرم لم يكن له مثل كيف ولو كان للواجب مثل لكان
ممكنا معلولا لامتناع تعدد الواجب لا يمكن ذلك لامتناع احد المثلين
اذ العلة لا بد ان يكون اقوى من المعلول فانه ظل للعلة والقول بجواز
كون ذلك المثل معلولا لمعلوله لا معلوله بلا واسطة مقدوح اذ المحذور
ح الفحش كما لا يخفى وبالجملة وجوب الوجود يدل على سر مدية الواجب ونفى
الزائد والشريك والمثل والتركيب بمعاينة والضد والتحير والحلول والحوادث
فيه والحاجة والالام مطلقا واللذة المراجحة والاحوال والصفات الزائدة

وامكان

وامكان الوجود على خلاف ذلك فكيف تتصور المشاركة الجنسية والحال
هذه بين الوجوب والامكان الذاتيين هذا والخلق فى الاصل مصدر
بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم المسقاء اذا قدرته قبل القطع ثم
استعمل فى ايجاد الشيء والشائى على غير مثال سبق فقيل خلق الله الاشياء
خلقا باعتبار الايجاد على وفق التقدير الذى حبسه الحكمة ثم اطلق
على المخلوق من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا وفى هذه
الفقرة ايماء لطيف الى فساد عقيدة قوم قالوا انه تعالى جسم يجلس على
العرش ويزيد عليه من كل جانب ستة اشبار بشبر نفسه وانه ينزل
فى كل ليلة جمعة على حمار وينادى الى الصباح هل من تائب هل من
مستغفر وحملوا ايات التشبيه كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى
والسموات مطويات بيمينه خلقت بيدى يد الله فوق ايديهم بل يداه
مبسوطتان يوم يكشف عن ساق يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله
والارض جميعا بقبضته يوم القيمة وجاء ربك والملك صفا صفا
كل شئ هالك الا وجهه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الى غير ذلك
من الايات على ظواهرها والسبب فى ذلك حمقهم وقلة تميزهم اذ الضرورة
قاضية بان كل جسم ينفك عن الحركة والسكون وقد ثبت انهما
حادثان وان ما لا ينفك عن الحادث حادث فيلزم حدوثه تعالى عن ذلك

وكل حادث محتاج الى المؤثر فيكون الواجب محتاجا اليه فلا يكون واجبا
وقد تمادى اكثرهم فى الغى الى ان قالوا انه تعالى يجوز عليه المصافحة
وان المخلصين فى الدنيا يعانقونه وقال بعضهم اعفونى عن الفرج
واللحية واسالونى عما وراء ذلك وقال ان معبوده ذو لحم ودم و
جوارح واعضاء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته
الملائكة لما اشتكت ومن المشبهة من قال انه تعالى نور متلالأ كالسبيكة
البيضاء طوله سبعة اشبار بشبر نفسه ومنهم من قال انه على صورة انسان
فمنهم من قال انه شاب امرد جعد قطط ومنهم من قال انه شيخ اشمط الراس
واللحية تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومثل هؤلاء قوم اثبتوا له
تعالى صفات زائدة على ذاته قديمة هى العلم والقدرة والارادة و
الحيوة والكلام والسمع والبصر والتكوين والبقاء والوجود الموصوف به
واخرون اثبتوا له احوالا اربعة هى العالمية والقادرية والحيية و
الموجودية وزعموا انها ثابتة مع الذات فى الازل وزاد بعضهم خامسة هى
علة للاربعة مميزة للذات هى الالهية واخرون جوزوا ان يكون الله تعالى
محلا للحوادث وهذا كله منهم كذب بحت وتشبيه منه تعالى بمخلوقاته
كما يدل عليه العقل والنقل منه ما رواه فى الكافى بسند كاد ان يكون صحيحا
فان محمد بن عيسى بن عبيد اليقطينى وان ضعفه قوم الا انه وثقه النجاشى

وهو

وهو يروى عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم عن ابى جعفر ع انه قال
فى صفة القديم انه واحد صمد احدى المعنى ليس بمعانى كثيرة مختلفة
قال قلت يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذى يبصر ويبصر
بغير الذى يسمع قال فقال كذبوا والحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك
انه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع قال قلت يزعمون انه بصير على
ما يعقلونه قال فقال تعالى الله انما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله
كذلك ومنه قوله عز وجل عن ملائمة كيفياته جل يجل جلالا فهو جليل
عظيم والجليل والحقير ضد والملائمة المجامعة والموافقة يقال لام
ولأم بين الشيئين اذا جمع بينهما ووافق وتلائم الشيئان والتأما بمعنى
وفى حديث ابن مكتوم لى قائد لا يلائمنى اى لا يوافقنى ويساعدنى
والكيف عرض لا يقتضى لذاته قسمة ولا لا قسمة ولا نسبة واقسامه
اربعة مشهورة المحسوسة والاستعدادية والنفسانية والمختصة بالكم
واضافة الكيفيات الى الضمير العائد اليه تعالى لادنى ملابسة وهو علاقة
العلية والمعلولية اى الكيفيات التى صنعها وخلقها وفيه دليل على
المدعى لان تلك الكيفيات لما كانت من مصنوعاته تعالى فكيف تلائمه
وتناسبه والمصنوع لا يلائم الصانع بل بينهما مباينة كلية والكيفية
منسوبة الى الكيف اى الحال المنسوبة وهو الاستفهام عن الحال والتاء

باعتبار الحال التى هى مؤنث سماعية والمراد انه تعالى اجل واعظم من
ان يجامع كيفية من كيفياته بان يكون موضوعا ومعروضا لكيفية
من الكيفيات الامكانية الخلقية الحادثة لامتناع كونه محلا للحوادث
ولما سبق فى الفقرة السابقة ولو كانت تلك الكيفيات ازلية والازلى
عندهم لا يكون اثر المختار لزم استنادها الى الذات على وجه الايجاب ولذا
قال سيدنا الصادق ع ان الله لا يوصف بالكيف وكيف اصفه بالكيف
وهو الذى كيف الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف
ولكن فى حديث الزنديق الذى اتاه عليه السلام وسئله عن مسائل التوحيد
انه قال فله كيفية قال ع لا لان الكيفية جهة الصفة والاحاطة ولكن
لا بد من الخروج عن جهة التعطيل والتشبيه لان من نفاه فقد انكره
ودفع ربوبيته وابطله ومن شبهه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين
المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية ولكن لا بد من اثبات ان له
كيفية لا يستحقها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره
الحديث وهو ان له تعالى كيفية ذاتية هى نفس ذاته المجردة البسيطة
ولا يدركها غيره ولا يكون كالكيفيات الامكانية الحادثة ولعلهم
الى ذلك اشاروا بقولهم ان اللذة ادراك الملائم من حيث هو ملائم
فمن ادرك كمالا فى ذاته التذ كما شهد به الوجدان وكماله اجل الكمالات

وادراكه

وادراكه اقوى الادراكات فوجب ان يكون لذته اقوى اللذات هذا
ما ذهب اليه الفلاسفه واما المتكلمون فقد اطلقوا القول بنفى اللذة
عنه تعالى اما لاعتقادهم نفى اللذات العقلية او لعدم ورود ذلك فى
الشرع ويرد على الفلاسفة انهم ان ارادوا ان الحالة التى يسمونها اللذة
هى نفس ادراك الملائم فغير معلوم وان ارادوا انها حاصلة عند ادراك
الملائم فهما يختص ذلك بادراكنا دون ادراكه تعالى فانهما مختلفان قطعا
والحق ان اللذة ليست ادراك الملائم نفسه بل هى حالة مترتبة عليه
لظهور ان السرور وليس نفس تخيل المحبوب بل مترتب عليه وايضا قد يبقى
ادراك الملائم على حده ولا يبقى اللذة على حدها بل يضعف ويفنى كما فى
ابصار الوجه اذا تكرر واستمر فاللذة ليست نفس الادراك فتعريفها
به مسامحة هذا وقيل قوله عليه صلم لا يستحقها غيره الى اخره احتراز عن توهم
ان المراد بالكيفية المعنى المعروف لغة وعرفا وهى الهيئة الحاصلة للشئ
باعتبار اتصافه بالصفات البالغة للحدوث الموجبة لتغير موصوفاتها
فان هذا المعنى محال فى شان الواجب بالذات جل جلاله وقد وقع التصريح
بنفيها عنه تعالى فى غير موضع من كلامهم عليهم صلم فمنه قول امير المؤمنين
صلوات الله وسلامه عليه فى خطبته لا يقع الاوهام له على صفة ولا تعقد
القلوب منه على كيفية وقوله ع ما وحده من كيفه اى وصفه بكيفية

وقول الباقر ع ليس لكونه كيفيه ولا له اين كان اول بلا كيف ويكون اخرا
بلا اين وعن ابي عبد الله ع كيف اصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا
يوصف بخلقه وهو في اخبارهم عليهم صلم كثير جدا قال بعض علمائنا قول امير المؤمنين ع
ما وحده من كيفه دل بالمطابقه على سلب التوحيد لمن وصفه بالكيفيه
وبالالتزام على انه لا يجوز تكيفه لمنافات ذلك للتوحيد وبيانه انهم رسموا
الكيفيه بانها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبه
الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه فبين
ان وصفه يستلزم تثنيته اذ هي صفة زائدة على الذات وهو تعالى
ليست له صفة تزيد على ذاته فينافي اثباتها له توحيده يا من قرب من
خواطر الظنون اي القلوب العقول والاضافة لامية والمراد بقربه منها
انها قابلات قادرات لادراكه ومعرفته بافعاله واثار صفاته
فان كل عاقل يرى على نفسه نعمة متوالية مترادفة ظاهرة باطنة تارة كبيرة
واخرى صغيرة وتارة صحة واخرى سقما وتارة عسرا واخرى يسرا فاذا راجع
نفسه علم ان له مقلبا يقلب احواله ومغيرا يغيرها تارة فيخطر بباله انه لا بد من
ان يكون له صانع صنعه ومدبر دبره ان اطاعه اثابه وان عصاه بما فيه
فيحصل له الخوف وهو ضرر يجب دفعه ولا يمكن الا بالنظر فاذا نظر صحيحا
اداه الى معرفته ومنه يعلم ان النظر واجب ويمكن ان يكون اشارة الى

ان اصل معرفته تعالى فطري بديهي ويحتمل ان يكون اضافة الخواطر الى الظنون
اضافة الجرد الى القطيفة يعني انه تعالى قريب من الظنون الخاطرة بالقلوب
او المراد انه تعالى عالم بذات الصدور لا حجاب بينه وبينها فهو قريب علما
بعيد واثار الخاطر الهاجس والجمع خواطر خطر بباله وعليه خطورا ذكره بعد
نسيان واخطره الله كذا في القاموس وقيل الخاطر ما يرد على القلب ويمر
بالبال مما ليس للعبد فيه تعمل وهو اقسام رحماني وهو ما كان باعثا
على ما فيه صلاح وقربة ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ
النفس ويسمى هاجسا وشيطاني وهو ما يدعو الى مخالفة الحق ويسمى
وسواسا وقال بعض العلماء الخاطر اربعة اقسام رباني وهو اول
الخواطر وهو لا يخطي ابدا وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع
بالدفع وملكي وهو الباعث على مندوب ومفروض وبالجمله كل ما فيه
صلاح ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجسا
وشيطاني وهو ما يدعو الى مخالفة الحق قال الله تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء وقال النبي ص لمة الشيطان تكذيب بالحق
وايعاد بالشر ويسمى وسواسا ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو
من الاولين وما فيه كراهة او مخالفة شرع فهو من الاخرين ويشتبه
في المناجات فما هو اقرب الى الهواء وموافقة النفس فهو من الاخرين

والصادق الصافي القلب الخاطر مع الحق سهل عليها الفرق بينهما بتيسير الله
تعالى وتوفيقه وقال بعضهم الخواطر التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالف او
امر الله وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حد ما رسمه الله ايضا
وذلك وان كان لا يوجب اثرا في النفس ولا يؤاخذ الا انه ربما يقوى
لقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في حق المنهمكين
في لذات الدنيا المتجردين لها فان احدهم ربما رام التشبه بمن يصلي الفرض
فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا ولا يثبت عدد ركعاتها وسجداتها
والتوبة والاستغفار عن مثل ذلك يجذب العبد عن الاسباب الموجبة
له انتهى والمراد به هنا ما يخطر بالجنان اما من قبل الرحمان بان ياتيه ملك
الى ناحية صدره يقول في سمع عقله كلاما خفيا بان لك صانعا صنعك
ومدبرا دبرك فيجب عليك النظر لتعرفه واما من جانب الشيطان بان ياتيه
بعض اماثله فيمنعه عن ذلك ويسد عليه طريقه بوسوسته والظنون
كالفنون جمع ظن فقد يراد به اعتقاد راجح غير جازم وقد يطلق على ما يقابل
اليقين كما قاله الشيخ في منطق الاشارات وعلى اليقين نفسه كما روى
عن الرضا في حديث المامون انه قال بمعنى فظن ان لن نقدر عليه استيقن
ان لن نقدر عليه وقد يقال انه من الاضداد فيطلق على الراجح والمرجوح
معا وعلى الثاني حمل ان نظن الا ظنا وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان

بعض

بعض الظن اثم وهو بهذا المعنى يرادف الوهم وهذا هو المناسب للمقام
لان العقول وان كانت في ادراك ما سوى الله كاملة بالغة كنه الاشياء
وحقايق الامور على ما هي عليه في نفس الامر الا انها فيما يتعلق بذات الله
وصفاته تهم كالظنون والاوهام حيث انها لا تبلغ كنه الامور وحقيقتها
بل يحكم احكاما غير مطابقة للواقع قرء بين يدي العالم عليه السلام لا تدرك
الاوهام الكيفية وهو مدرك كل وهم واما عيون البشر فلا تلحقه
لانه لا يحد ولا يوصف هذا ما نحن عليه كلنا ولذا قال ع وبعد عن ملاحظة
العيون البعد بين الشيئين انما يطلق على اقصر المسافات بينهما او على
مسافة الاقصر منها لا على الاول فقط الا ترى ان بعد المركز من المحيط
هو نصف القطر مع انه ليس اقصر الخطوط الواصلة بينهما وقد عرفت ان
القرب والبعد بالاضافة اليه تعالى ليس مكانيا مسافيا لانه من صفات الاجسام
وهو تعالى عن ذلك ومنه يعلم انه لا يمكن رؤيته تعالى لان المرئيات
بين ان يكون جسما او عرضا لا فيه وقد ثبت انه تعالى ليس كذلك وكلمة عن
للمجاوزة وهي متعلقة بمحذوف اي بعد بعدا مجاوزا عن ملاحظة العيون
والملاحظة مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ
واما الذي يلي الانف فالموق والماق وفيه من المبالغة ما لا يخفى لان
المرئي اذا كان دقيقا لطيفا مستكلا او ذاكرا يجمع الرائي نور عينه الى ذلك

الشق رجاء ان يدركه فاذا كان الله تعالى لتجرده وعدم تحيزه بعيدا عن تلك
الملاحظة ايضا فلا محة يمتنع ان تدركه العيون لان الافراط في البعد
يمنع عن الرؤية والعيون للابصار والبصر قوة مرتبة في العصبة المجوفة
تدرك ما يقابل العين بتوسط جرم شفاف لا بخروج شعاع يلاقي المبصرات
ولا بانعكاسه ولا بانطباع المصور المرئية في الرطوبة الجليدية لا في
ملتقى العصبتين المجوفتين ولا باستدلال لبطلان ذلك كله كما بين في محله
بل بمقابلة المستنير للعين السليمة وهي ما فيها رطوبة صافية شفافة
مرآتية فحيح يقع للنفس علم اشراقي حضوري على ذلك المبصر المقابل
لها فيدركه النفس مشاهدة والمراد انه تعالى لكونه مجردا غير ذي وضع ولا
متحيز لا بالذات ولا بالعرض يمتنع رؤيته ولا تدركه العيون ولا الابصار
ولا يحيط به الاوهام قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء حين ما سئله
رجل يقال له ذعلب هل رايت ربك ويلك يا ذعلب ما كنت اعبد ربا
لم اره فقال كيف رايته قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة الابصار
ولكن راته القلوب بحقايق الايمان وبالجملة الرؤية يستلزم كون
المرئي اما جسما او جسمانيا ذا جهة وحيز يكون بينه وبين الرائي هواء
ينفذه البصر فاذا لم يكن بينهما هواء وعدم الضياء الذي هو شرط الرؤية
لم يصح الرؤية بالبصر فالادراك المخصوص المعلوم بالوجه الممتاز

عن غيره

عن غيره لا يمكن ان يتعلق بما ليس في جهة والا لم يكن للبصر فيه مدخل
بل المدخل فيه للعقل فلا وجه لتسميته ابصارا فالقول بجواز رؤيته
تعالى عن ذلك منزها عن المقابلة والجهة والمكان ليس مما يحتمله العقل
بل هو محض الهذيان واستدل في المشهور على نفي امكان رؤيته تعالى
بان المرئي بالبصر يجب ان يكون في جهة وهو تعالى منزه عنها والا وجب كونه
عرضا او جوهرا جسمانيا وهو محال واعترض الغزالي بان احد الاصلين
من هذا القياس مسلم وهو ان كونه في جهة توجب المحال ولكن الاصل
الاخر وهو ادعاء هذا اللازم على اعتقاد الرؤية ممنوع فيقول لم قلتم
انه كان مرئيا كان في جهة من الرائي اعلمتم ذلك ضرورة ام بنظر
الى سبيل الى دعوى الضرورة واما النظر فلا بد من بيانه ومنتهاه
انهم لم يروا الى الآن شيئا الا وكان في جهة من الرائي مخصوصة ولو
جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسم ان يقول ان الباري تعالى جسم لانه فاعل
فانا لم نر الا الان فاعلا الا الاجسام وحاصله يرجع الى الحكم بان ما شوهد وعلم
ينبغي ان يوافقه ما لم يشاهد و لم يعلم والجواب ان دعوى كون المرئي
بهذا العين مطلقا يجب ان يكون في جهة ليس مبناها على ان المرئيات
في هذا العالم لا يكون الا في جهة حتى يكون من باب قياس الغائب على
الشاهد بل النظر والبرهان يؤديان اليه وهو ان القوة الباصرة التي

فی عیوننا قوة جسمانیة وجودها وقوامها بالمادة الوضعیة وکلما
وجوده وقوامه بشیء فقوام فعله وانفعاله بذلك الشیء اذ الفعل
والانفعال بعد وجوده وفرعه اذ الشیء یوجد اولا اما بذاته او بغیره
ثم یؤثر فی شیء او یتاثر عنه فکل ما کان وجود القوة بنفسها متعلقا
فیه بمادة جسمانیة بما لها من الوضع کان تاثیرها او تاثرها ایضا بمشارکة
المادة ووضعها بالقیاس الی ما یؤثر فیه او یتاثر عنه فاجل ذلك یحکم
بان البصر لا یری الا ما له نسبة وضعیة الی محل القوة الباصرة والسامعة
لا تبصر ولا تسمع الا ما وقع منهما فی جهة او اکثر هذا هو البرهان قال
السید نظام الدین احمد قدس سره فی رسالته لاثبات الواجب تعالی
قد ثبت فی محله انه یجوز ان یعلم بعض النفوس المجردة الالهیة الکاملة
ذات الواجب تعالی بالعلم الحضوری الذی هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غیر
تکیف ولا مسامتة ولا محاذاة واذا جاز ذلك فما المانع من قول من
یجوز رؤیته تعالی فی الاخرة فان الرؤیة فی الحقیقة عبارة عن مشاهدة
حضوریة ولا یشترط فیها وقوعها بالجارحة المخصوصة بل بعض القائلین
بجوازها صرح بان رؤیته تعالی لا یجب ان یکون بتوسط تلك الجارحة المخصوصة
قال فی شرح التجرید لا یلزم من نفی الرؤیة بالبصر نفی الرؤیة مطلقا اذ
یمکن ان یری لا بتلك الجارحة المخصوصة کما هو المدعی فان المثبتین

لرؤیته فی

لرؤیته تعالی یدعون ان الحالة المخصوصة التی یحصل لنا بالبصر فی الدنیا
ویسمی رؤیة یحصل لنا فی تلك النشأة بعینها بالنسبة الیه تعالی عن
غیر توسط تلك الجارحة انتهی ویؤید ما ذکرناه قال المعلم الثانی
فی فصوصه من ان کل ادراك یحصل بلا واسطة استدلال فهو المخصص
باسم المشاهدة وکلما لا یحتاج فی ادراکه الی الاستدلال فهو لیس
بغائب بل هو شاهد فادراك الشاهد هو المشاهدة والمشاهدة
اما بمباشرة وملاقات واما من غیر مباشرة وملاقات وهذا هو
الرؤیة والحق الاول تعالی لا یخفی علیه ذاته ولیس ذلك باستدلال
فجاز علی ذاته مشاهدة کماله من ذاته فاذا تجلی لغیره مغنیا عن الاستدلال
وکان بلا مباشرة وبلا مماسة کان مرئیا لذلك الغیر فانه صریح فیما
ذکرناه فان قلت اذا کانت المشاهدة الحضوریة هی الرؤیة فلا مانع
منها فی هذه النشاءة ایضا فلم اختص جواز الرؤیة بالنشاءة الاخرة کما
هو مذهب اکثر القائلین بجوازها قلت لعل هؤلاء لا یمنعون الجواز بل
الوقوع ولعل السر فی ذلك ما صرح به بعض الاعاظم من ان النفس سیما
الکاملة المشرقة اذا شاهدت المبداء الاول والتذت بلذات مشاهدة
قبل اقبالها علی الجسم وعالم التجسیم وکلما زاد اقبالها علیه نقص توجهها
الی هذا العالم فینتقص توجهها الی مادیة الی الجسم بل تعرض عنه بالکلیة

فتفتت اجزآء بدنها وتفسد وتنحل تركيبه ويبطل نظام اعضائه واتصالها
فلم يبق حيوة بدنية لاعراضها عن البدن بالكلية فانّ نظام البدن
واتصاله من اثار المجرّد والمدبّر على ما هو المشهور وبهذا يظهر تفسير
الآية الكريمة الحاكية عن سؤال موسى ع فانّه حيث سئل الرّؤية وهي
المشاهدة الحضوريّة اجيب بلن تراني اي لن يشاهدني وانت في هذه
النّشأة التّعلقيّه ويؤيّد هذا ما في التّوريّة لا يراني ابن ادم وهو حيّ
في حال الحيوة البدنيّة فان قيل فلا يمكن الرّؤية مع بقآء الحيوة في النّشأة
الاخرة ايضًا قلت لعلّ البدن في النّشأة الآخرة غير قابل للتّفرق والتّفتت
او لعلّ النّفس لكمال قوّتها الّتي اكتسبتها في تلك النّشأة اذا شاهدت
المبدء الاوّل قبلها فاقبلت عليه اقبالا كلّيا لا يعرض عن البدن بالكليّة
ولا يشغلها شان عن شان فلا يخفى على الخبير انّ ما ذكرنا ليس توجيها لكلام
القآئلين بجواز رؤيته تعا وهم الاشاعره فانّ جمهورهم صرّح بانّ الله
تعالى يرى في الاخرة بهذا الجارحة المخصوصة بل هو تفسير وتاويل للايات
والاخبار الدّالّة على جواز رؤيته تعا ووقوعه في النّشأة الاخرة فيكون
جوابا لاستدلالهم بتلك الايات والرّوايات سيّما ما ذكروه من انّ طلب
موسى ع الرّؤية دالّ على جوازها والّا لزم ان يكون جاهلا بصفاته
تعم قلنا انّما طلب المشاهدة الحضوريّة الصرفة الخيالية عن شوب الخيالات

والاوهام

والاوهام لا الرّؤية بالبصر ولا حاجة الى تكلّفات ارتكبها القآئلون بامتناعها
ثم انتهى كلامه وعلم بما كان قبل ان يكون ما وان مصدريّتان
وكان ويكون تامّتان والمراد انّه تعا كان عالما بالكون اي الوجود
على ما هو عليه قبل الكون قبليّة ذاتيّة او دهريّة او زمانيّة على الخلاف
والاوسط اوسط كما فصّلنا القول فيه في رسالتنا المعمولة لبيان الحدوث
الدّهري وذلك لانّ ذاته تعا بذاته مبدء فيضان جملة الموجودات عنه
بذاته علمه بجميع الموجودات وانكشافها له ولا حاجة له في ذلك الى امر
مغاير لذاته بل انكشافه لذاته انكشافها له انكشافا تفصيليا اذ العلم
التّام بالعلّة علم تامّ بالمعلول ومنهم من قال بان علمه تعا بما سواه
لما كان علما حضوريّا وظاهر انّ حضور الاشيآء انّما يمكن حين وجودها
لا قبلها فلا بدّ من اثبات علم له تعا اجمالي هو عين ذاته ومقدّم على كافّة
الايجادات والى من ذهب منهم الى انّ علمه تعا بالاشيآء علم حصولي
وقال بان صورها في الازل كانت قآئمة بذاته تعا عن ذلك امّا الكليات
فعلى وجهها وامّا الجزئيّات فعلى وجه كلّي فلا حاجة له الى اثبات ذلك العلم
الاجمالي والظّاهر من الاخبار انّ علمه تعا عين ذاته وانّه كان عالما بالاشيآء
قبل احداثها فلمّا احدثها وقع العلم منه على ما كان معلوما له في الازل
وانطبق عليه وتحقّق مصداقه قال سيّدنا ابو عبد الله الصّادق عم على

ما رواه عنه ابو بصير لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم
والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا
مقدور فلما احدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم
والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ويحتمل
ان يكون المراد بوقوعه عليه العلم به على انه حاضر وكان قد تعلق
به على وجه الغيبة وانه سيوجد والتغيير يرجع الى المعلوم لا الى العلم و
لتفصيل المسئلة موضع اخر يا من ارقدني في مهاد امنه وامانه
الرقد النوم كالرقاد والرقود وبضمهما او الرقاد خاص بالليل وارقده
انامه ولما كانت اسباب النوم واليقظة وايجاد الليل والنهار منه سبحانه
اسند الفعل في الموضعين اليه مجازا فكانه تعالى كالوالد البر الرحيم الذي
ارقد ولده الصبي في مهد امن وامان بحراسته له وكلاءته اياه عما
يضره ويؤذيه حكى ذو النون المصري انه كنت في البيت اذ وقعت زلزلة
في قلبي وحزن بحيث ما ملكت نفسي فخرجت من البيت وانتهيت الى شط
النيل فرايت عقربا قوية تعدو فتبعتها فوصلت الى طرف النيل فرايت
ضفدعا واقفا على طرف الوادي فهرب العقرب الى على ظهر الضفدع و
اخذ الضفدع يسبح ويذهب فركبت السفينة وتبعته فوصل الى الطرف
النيل ونزلت العقرب عن ظهره واخذت تعدو فتبعتها فرايت

شابا نائما تحت شجرة ورايت افعى يقصده فلما قربت الافعى من الشاب
ووصلت العقرب الى الافعى لدغته والافعى لدغت العقرب فما
تا معا وسلم ذلك الانسان انتهى فانظر الى حسن صنعه بعباده وكيف
تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم هذا ويحتمل ان يكون
محمولا على الحقيقة كما يدل عليه مرسلة ابي منصور المذكورة في اصول
الكافي المروية عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال ستة
اشياء ليس للعباد فيها صنع المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم
واليقظة والمهد معروف وهو الموضع الذي يهيأ للصبي ويوطأ
والارض كالمهاد والارض فرشناها فنعم الماهدون والم نجعل
الارض مهادا اي بساطا ممكنا للسلوك وقيل المهاد بالكسر الفراش
وجمعه المهد ككتاب وكتب ويكون المهاد جمع مهد ايضا كسهم
وسهام ويجمع على مهود ايضا كفلس وفلوس والاضافة من قبيل
لجين الماء حيث شبه الامن والامان لجامع الراحة ثم قدم
المشبه به على المشبه واضيف اليه او بيانية وشبه الامن والامان
بفضاء متسع ثم له المهاد ولعله الانسب بالنظر الى لفظ الجمع و
اما على الاولين فلعله محمول على المبالغة واريد به المفرد والا
من ضد الخوف وهو اطمينان القلب وسكون البدن من عدم

القلق والاضطراب الحاصل من مصادمة المكروه وهو المؤمن العائذات
الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسّلم وهو الّذي امن عبادة من الظلم
والجور وقيل الامن عدم توقّع مكروه فى المستقبل وفى المصباح امن
زيد الاسد امنا وامن منه مثل سلم وزنا ومعنى والاصل ان يستعمل فى
سكون القلب انتهى واما انّه تعالى حفظه وحراسته وكلائته عباده عن الآفات
والعاهات والبليّات الّتى لا يقتضى حكمته جلّت عظمته اصابتها لهم وهو
الّذى يمسك السّموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده وللارقاده تعالى عباده فى مهاد امنه وامانه اسباب وبواعث
من التّطهير والدّعوات والتعوذ بالكلمات التّامّات مذكورة فى
مظانها فليطلب من هناك وايقظنى الى ما منحنى به من منّته واحسانه
اليقظة محركة نقيض النّوم وايقظه نبهه ومنحه كمنعه اعطاه والمنحة
العطيّة والظّرف متعلق بمحذ وف اى نبهنى هاديا ومرشدا الى ما اعطانى
من توفيقه لعباد ته وتاهيله لطاعته وما يحصل به المعاش وينتظم
به المعاد ولفظة من بيانيّة والمنن جمع منّة بالكسر بمعنى النّعمة وهو
الّذى اسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة والمنّ العطاء وكثيرا ما يرد
المنّ فى كلامهم بمعنى الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه و
فى القاموس منّ عليه منّا انعم واصطنع عليه صنعة ومنه امتنى وقيل

المنّة

المنّة النّعمة الثّقيلة ويطلق على معنيين احدهما ان يكون بالفعل نحو من
عليه اثقله بالنّعمة ومنه لقد منّ الله على المؤمنين الثّانى ان يكون بالقول
وهو عدّ الاحسان وهو مستقبح ولهذا قيل المنّة تهدم الصّنيعة الّا عند
الكفران وقال بعض العلماء المنّة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتّطاول
عليه بها كقوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى الّتى انعمت عليكم فى غير موضع
من كتابه وهى صفة مدح للحقّ سبحانه وان كانت صفة ذم للخلق والسّبب
المفارق كون كلّ منعم سواه يحتمل ان يتوقّع لنعمته جزاء ويستعبد كما لا يعود
اليه ممّا افاده ويصحّ بمن يعامل بنعمته ويتوقّع جزاء ان يمنّ بها وبما
يستلزم المنّ من التّطاول لا يتاذّى بر المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد
نفسه لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النّهى عن المنّة فى قوله تعالى
يا ايّها الّذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى فجعلهما سببا لبطلان
الصّدقة اى عدم استحقاق ثوابها وفيه نظر فقد ورد فى الدّعاء عنهم
عليهم السّلام تنزيهه عن الامتنان بالمعنى المذكور كقول على بن الحسين
عليهما السّلام فى دعائه لطلب الحوائج ويا من لا يكدّر عطاياه بالامتنان
وقوله فى وداع شهر رمضان ولم تشب عطاءك بمنّ وذلك لانّ الامتنان
بالمعنى المذكور ولمّا كان رذيلة ناشية عن دنائة النّفس وصغر الهمّة
واستعظام النّعمة والاحسان كان تعالى متنزّها عنه لانّ كلّ نعمة من

نعمة تعو وان عظمت وكل عطيّة من عطاياه وان جلّت بالنسبة الى العبد
والمنعم عليه فهى حقيرة بالنسبة الى عظمته تعو وشانه جلّت قدرته اجل ان
يكون لها عنده موقع فيمن بها ويعتدّ على من اعطاه وانعم عليه فقوله انّ
المنّ بالمعنى المذكور وصفة مدح للحقّ سبحانه وان كان صفة ذم للمخلوق
ليس لشيء وعبارة الدّعاء ليشهد ببطلانه واعلم انّ النّوم حالة تعرض
للحيوان من الرخاء اعصاب الدّماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث
يقف الحواس عن افعالها لعدم انصباب الرّوح الحيوانىّ اليها واليقظة
زوال تلك الحالة وتفصيله انّ الرّوح الحيوانى وهو الجوهر البخارى اللّطيف
الحاصل من لطيف الاغذية المنتشرة فى الاعضاء والعروق وبسببه يحصل
للاعضاء قوّة الحسّ والحركة وهو مركب الرّوح الانسانيّة اذا انتشر فى
جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه حصل الحسّ والحركة وهذا هو اليقظة
وان بقى فى الباطن ولم يصل الى الظّاهر تعطّلت الحواس الظّاهرة و
هذا هو النّوم وبقائه فى الباطن يكون لاسباب منها طلب الاستراحة
عن كثرة الحركة ومنها تحلّله بسبب الافعال الكثيرة الصّادرة من الحواس
فتشتغل الطّبيعة لنضج الغذاء لتستمدّ الرّوح من لطيفه ومنها انسداد
المجارى فانّ الانسان اذا شرب الشّراب مثلا تصاعدت الابخرة من
المعدة الى الدّماغ ونزلت الى الاعضاء وامتلأت المجارى والسدت

فلا تقدر

فلا تقدر الرّوح على النّفوذ كما ينبغى وربّما كان اكل الطّعام موجب للنّوم
لهذا السّبب وكفّ اكفّ السّوء عنى بيده وسلطانه حيث اعاذنى حين ما انا
متى من شرّ ما ذرأ ومن شرّ ما برأ ومن شرّ كلّ دابّة هو اخذ بناصيتها من العقارب
والحيّات والهوام وغيرها من الموذيات الانسيّة والجنّيّة والكفّ المنع
يقال كففت الرّجل عن الشّيء فكفّ يتعدّى ولا يتعدّى وهو الّذى كفّ
ايديهم عنكم والاكفّ جمع كفّ وهى الرّاحة مع الاصابع سميّت بذلك
لانّها يكف الاذى عن البدن وفى القاموس الكفّ اليد او الى الكوع والجمع
اكفّ وكفوف انتهى وقال المرقش الاكبر يصف النّساء البشر مسك والوجوه
دنانيره واطراف الاكفّ غيم وفيه تجنيس محرّف كما فى جنّة الرّوحيّة البرد
وبيانه انّه اذا اختلف لفظ المجانسين فى اعداد الحروف بان يكون حروف
احدهما اكثر من الاخر بحيث اذا حذف الزّايد اتّفقا فى النّوع والهيأة والترتيب
سمّى الجناس ناقصا لكن هنا بعد الحذف يصير منحرفا لانحراف هيئة احدهما
عن هيئة الاخر والسّوء بضمّ السّين وفتحها ما يسوئك ويشينك وقرئ
قوله تعو عليهم دائرة السّوء بالوجهين وقيل هما لغتان من ساء يسوء الّا انّ
غير انّ المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمّه والمضموم جرى مجرى الشّرّ
وكلاهما فى الاصل مصدر وقيل هو بالفتح مصدر وبالضمّ اسم منه وقيل
المفتوح الرّداءة والفساد والمضموم الشّرّ والضّرر وقيل السّوء فى الاصل

مصدر رسائه يسوءه اذا حزنه يطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال
الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها بعواقبها
والظرفان متعلقان بكف ويده تعالى قدرته لانها يستعمل مجازا تارة فى
القدرة واخرى فى النعمة وعن الباقر اليد فى كلام العرب القوة والنعمة
والسماء بنيناها بايد بقوة ولفلان عندى ايادى كثيرة فواضل واحسان
وله عندى يد بيضاء اى نعمة والسلطان مصدر بمعنى الغلبة والتسلط والقدرة
ومنه قوله تعالى فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان اى لقوة وقهر وغلبة
وقد يجئ بمعنى الحجة والدليل لتسلطه على القلب واخذه بعنانه فالعطف
تفسيرى او قريب منه وفى الكلام استعارة مكنية ومحسوسة ومجاز مرسل
وترشيح له وهو قوله كف والترشيح غير مختص بما يقرن بلفظ المشبه به ولا
بالاستعارة المبنية على التشبيه لتصريحهم بان اطوء لكن ترشيح للمجاز المرسل
الذى فى اليد ولا تشبيه فيه اصلا واما تفسيرهم له بذكر ما يلائم المشبه به
فانما هو فى الترشيح الذى فى التشبيه وكذا ما ذكروا من الاقتران بلفظ
المشبه به فالمراد انه كذلك فيما اذا كان فى الكلام تشبيه صرح بذلك
بعض المحققين والاولى ان يكون جاريا على سنن التمثيل الذى تسميه
اهل البيان تمثيلا تخييليا اى الايقاع فى الخيال بتصوير المعانى
العقلية بصور اعيان الحسية لكونها اظهر حظورا واكثر خطورا

وهذا

وهذا ما قال الحكماء ان الناس للتخييل اطوع منهم للتصديق فاكثروا
من استعمال القضايا المخيلة فى مقام الترغيب والترهيب والاستمالة
والاستعطاف ونحو ذلك وهى وان كانت ترى بحسب الظاهر كاذبة
فليست بكاذبة لان القصد منها تشبيه تلك الحال بحال من يعرض له تلك
الصورة الحسية مثلا مثل حال كلائته وتسلطه وقدرته تعالى على دفع
الافات والعاهات والموذيات عن العباد بحال من يكون له يد يكف
بها الاذى عن غيره فيحفظه ويحرسه من غير ان يذهب بها الى جهة
حقيقة بالنسبة اليه تعالى كما يذهب اليه المجسمة او مجاز بان يراد باليد القدرة
وانما المراد بالمفردات فى مثل ذلك حقائقها فى نفسه كما فى قولك اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى لكن لا بالنسبة الى الممثل له بل بالنسبة الى
الممثل به وهو ثابت جليل فى علم البيان عليه يحمل كثير من متشابهات القران
كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه وقوله والسماء بنيناها بايد قال صاحب الكشاف ان ذلك تمثيل
وتصوير لعظمته تعالى وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة و
اليمين والايدى الى جهة حقيقة او مجاز بل يظهر الى اخر الزبدة
والخلاصة من الكلام من غير ان يتمحل بمفرداته حقيقة او مجازا كقوله
تعالى وقال اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل بل يداه مبسوطتان

اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط وشدد النكير على من تاول
القبضة بالملك واليمين واليد بالقدرة وقال انه من ضيق العطن والمسافة
من علم البيان مسافة اعوام قال وكم اية من ايات الله فى التنزيل وحديث
من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه
الرثة واعتذر الشيخ عبد القاهر من تاويلهم القبضة بالملك واليد بالقدرة
ونحو ذلك بان الغرض منه ان لا يقع السامع فى التشبيه والتجسيم بثانية
على كون الكلام للتصوير والتمثيل صل اللهم على الدليل اليك فى الليل
الاليل لما كانت النفوس البشرية فى الاغلب منغمسة فى العلائق البدنية
الحاصلة بسبب تدبير البدن وتكميله مكدرة بالكدورات الطبيعية الناشية
من القوة الشهوية والغضبية وكان ذات المفيض عز اسمه فى غاية التنزه
عنها ولم يكن بينهما بذلك مناسبة موجبة لفيضان كمال وجب عليها فى استفاضة
الكمال واستنجاح المطالب والحاجات من تلك الحضرة المنزهة التوسل الى
متوسط يكون ذا جهتى التجرد والتعلق ليقبل ذلك المتوسط الفيض
منه بتلك الجهة الروحانية التجردية وتقبل النفس منه بهذه الجهة
الجسمانية التعلقية فلذلك وقع منه ع فى مقام التعليم التوسل الى
المؤيد بالرياستين مالك ازمة الامور فى الجهتين او الى اتباعه
الذين قاموا مقامه بافضل الوسائل واكمل الفضائل اعنى الصلوة عليه

اصالة

اصالة وعليهم تبعا فقال يا من هذا الذى ذكرناه شانه صل عليه وعليهم على
ان يكون اللهم بدل يا من دلع واخواته المذكورة او هو استيناف كلام وما
قبله تعداد صفات تقديما للوسيلة على طلب الحاجة والصلوة اصلها
الدعاء لكنها منه سبحانه مجاز فى الرحمة والمشهور انها منه تعالى الرحمة ومن
الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء وقال بعض المحققين انها
يستعمل فى قدر مشترك بينها وهو الامداد لان المدد كما يصل من فوق
بالاضافة قد يصل من تحت بالاستفاضة وانما عدلنا عن المشهور لان
الاشتراك والمجاز خير منه والمناقشة بان العطف فى قوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة يدل على مغايرتهما ولذا جعلها بعضهم بمعنى
الرضوان منه مندفعة بان التصريح بالحقيقة بعد ارادة المجاز يفيد تقوية
المقصود على ان العطف لا يدل على المغايرة مطلقا فان من اقسامه
عطف الشيء على مرادفه وقد عد بعضهم منه الاية وقوله تعالى انما اشكو
بثى وحزنى الى الله وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا وغاية السؤال
بالصلوة عائدة الى المصلى كما يدل عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة
فى الكافى فى باب العطاس قال كنت عند الرضا ع فعطس فقلت
صلى الله عليك ثم عطس فقلت صلى الله عليك وقلت له جعلت
فداك اذا عطس مثلك يقال له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله

او كما يقول قال نعم قال اليس تقول صلى الله على محمد وال محمد قلت
بلى قال ارحم محمدا وال محمد قال بلى وقد صلى عليه ورحمه وانما صلوتنا
عليه ورحمته لنا ومزية وهي تدل على ان الله تعالى قد اعطاه من اعلاء
الكلمة وعلو الدرجة ورفع المنزلة ما لا تؤثر فيه صلوة مصل ولا دعاء
داع وقد اوضحنا الكلام فيه في تعليقاتنا على الايات الاحكامية
المنسوبة الى الفاضل الاردبيلي ره وقيل بل غاية الصلوة طلب زيادة
كماله صلى الله عليه واله وقربه من الله اذ مراتب استحقاق نعم الله عز وجل
غير متناهية وقيل معنى الصلوة عليه تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته و
ابقاء شريعته وفي الاخرة تضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته
وهل تجب الصلوة عليه عند ذكره على الذاكر والمذكور عنده ظاهر كثير
من الاخبار كقوله صه من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار وقوله
من ذكرت عنده فنسى الصلوة علي خطى به طريق الجنة وقوله من ذكرت
عنده ولم يصل علي فدخل النار فابعده الله الوجوب لمكان الوعيد
الدال عليه وهو مختار الصدوق والمقداد من اصحابنا والطحاوي
من العامة وقال الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط ومنهم
من اوجبها في كل مجلس مرة ومنهم من اوجبها في العمر مرة وهذه اقوال
لا مستند لها فالقول بها تحكم والاولى عند كل ذكر للاخبار الكثيرة

الصريحة

الصريحة بالامر بها كلما ذكر والاصل في الامر الوجوب واما القول بالاستحباب
مطلقا كما ذهب اليه جماعة مستدلين بالاصل والشهرة المستندين الى
عدم تعليمه صه واله للمؤذنين وتركهم ذلك مع علمهم ووقوع تكسير عليهم كما
يفعلون الان ولو كان لنقل ففيه ان عدم التعليم ممنوع وكذا عدم
النكير كعدم النقل لما في الكافي عن الباقر ع اذا اذنت فافصح بالالف و
الهاء وصل على النبي كلما ذكرته او ذكره ذاكر في اذان وغيره على ان عدم
النقل لا يدل على عدمه واصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود
القران والاخبار هذا واسمه تعالى من حيث هو اسمه يتعلق به اهتمام و
اعتناء وقد تعرض له بحسب المقامات عناية اخرى كقصد الاختصاص مثلا
فاذا اجتمعت العنايتان كما في التسمية قدم لا محالة واذا انفردت الاولى
عن الثانية فان لم يعارضها ما هو اولى بالاعتبار قدم ايضا والا فلا
كما في اقراء فانه قد عارضتها العناية بالصلوة عليه واله مع رعاية الاصل
فلا جرم قدمه عليه وكذا الحال في سائر الفقرات الغايرة والمشهور
كون اللهم اصله يا الله حذف منه حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة
ولذا لا يجتمعان وهذا من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام
التعريف والدليل فعيل من دله على الطريق اذا هداه اليه وارشده له
وعلى الدليل متعلق بصل وهو من ابتداء المبالغة يعني كلما تكررت

الضلالة من السالك تكررت منه الدلالة والهداية وانما علق الصلوة
على كونه دليلا وهاسكا وغيرهما مما سياتى عقب هذا ليدل بذلك على
ان استحقاقه لها انما هو لاتصافه بتلك الاوصاف ولذا ترك التصريح
بالاسم وهو الاعرف والاشهر اوالوجه فيه ادعاء تعينه وان الوهم
لايذهب والاوصاف هذه الى غيره ثم الظاهر انه عليه واله السلام دليل
وضعى وان كانت دلالته لفظية لانه انسان كامل بعثه الله الى خلقه لتبليغ
احكامه وتبيين كلامه وتعيين مرامه يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ولما ضمنه معنى الهادى
او الداعى عداه بالى والا فالغالب استعماله بعلى واليك يتعلق به وفيه
حذف وايصال اى الى معرفتك ورضوانك وقربك وجنانك ودليل
الحذف هو العقل واما تعيين المحذوف فلانه المقصود الاصلى من
بعثة الرسل او فيه تمثيل تخييلى على قياس ما مر فى الفقرة السابقة
يعرفه من له ادنى مسكة بالنسيان اذ تامله والاليل تاكيد على طريقة
ظل ظليل وداهية دهيا وشعر شاعر وحقيقته انهم يشتقون من
لفظ الشيء الذى يريدون المبالغة فى وصفه ما يتبعونه تاكيدا
وتنبيها على تناهيه فى ذلك انه صلى الله عليه واله قد بعث على فترة من الرسل
واختلاف من الملل وانقطاع من السبل ودروس من الحكمة وطموس

من اعلام

من اعلام الهداء والبينات فبلغ رسالة ربه وصدع بامره وادى الحق
الذى عليه فهو دليل اليه وسلم به يرتقى اليه صلى الله عليه واله وقال صاحب الدعاء
وجعلته له الفداء بعث الله محمدا الا انجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا
على النبيين ميثاقه مشهوره سيماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ
ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او
ملحد فى اسمه او مشير الى غيره فهدا اهم ومن الضلالة وانقذهم بمكانه
من الجهالة انتهى واليه يشير قوله جل وعلا هو الذى بعث فى الاميين
رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفى ضلال مبين وسياتى فى ذلك كلام ابسط من ذلك
انشاء الله العزيز وفى الكلام استعارة مصرحة حيث شبه الفترة
وما فيها من البدعة والجهالة والضلالة بالليل لكونه جاعلا لصاحبه
كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يامن ان يناله مكروها
ثم ذكر المشبه به واراد به المشبه وفيه دلالة على ان هذا الدليل انما
ظهر من قبيلة ما كانوا من اهل العلم بل كان من بلدة ما كان فيها ان
احد من العلماء بل كانت الجهالة غالبة عليهم فاذا خرج من هذه البلدة
ومن مثل هذه القبيلة انسان من غير ممارسة شيء من العلوم ولا تلمذ
الى احد من العلماء ثم بلغ فى معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه

هذا المبلغ الّذى عجز جميع الأود كباء من لعقلاء عن القرب منه بل اواء
واطرها بانّه لا يمكن ان يزاد فى تقرير الدّليل على ما ورد فى القران ثمّ ذكر
قصص الأوّلين وتواريخ المتقدّمين بحيث لم يتمكن احد من الأعداء
ان يقول انّه اخطاء فى شيء منها اوطالع كتابا او تلمذ استادا وكانت
هذه الأحوال الظّاهرة معلومة للأصدقاء والأعداء فكلّ من له قلب
سليم وطبع مستقيم اذا تامّل ادنى تامّل يعلم انّ هذه الأحوال لا يتيسّر
الّا بالتّعاليم الالهيّة والهدايات الرّبّانيّة والى ذلك يشير قوله والمتمسّك
من اسبابك بحبل الشّرف الأطول عطف على الدّليل وكذا ما ياتى من
الجملتين معطوفتان عليه من باب عطف الصّفات بعضها على بعض لاتّحادها
فى الموصوف وتغايرها فى المفهوم وتوجد فى بعض النّسخ المتمسّك نقيا
مسك به وامسك ومسك وتمسّك احتبس واعتصم به والمسكة بالضّم
ما يمسّك به والمسيك كالبخيل وزنًا ومعنًى من يمسك ما فى هذه ولا يعطيه
احدا وكلمة من تبعيضيّة والسّبب فى الأصل حبل يتوصّل به الى الماء
ثمّ استعير لكلّ ما يتوسّل به الى المطلوب من القدرة والعلم والالة و
غيرها وهذا معنى ما ورد فى بعض الأدعية يا مسبّب الأسباب من غير
سبب واتيناه من كلّ شيء سببا فاتبع سببا وتقطّعت بهم الأسباب
اى التوصّل والمودّات والعرب يشبه النّور الممتدّ بالحبل ومنه ما ورد

فى صفة

فى صفة القران كتاب الله حبل ممدود من السّماء الى الأرض اى نور
ممدود يعنى نور هداه وفى خبر اخر وهو حبل الله المتين اى عهده و
امانه الّذى يؤمن من العذاب والحبل العهد والميثاق واضافة الحبل
الى الشّرف اضافة الذّهب الى الأصيل والشّرف بفتحتين القدر والقيمة
والرّفعة والعلوّ ومنه الاستشراف وهو ان تضع يدك على حاجبك
وتنظر كالّذى يستظلّ من الشّمس ليستبين الشّيء كانّه ينظر اليه من موضع
مرتفع فيكون اكثر لادراكه شرف ككرم فهو شريف وشرّفه تشريفا اعلاه
واصله من الشّرف وهو المكان المشرف العالى ثمّ استعمل فى القدر و
المنزلة مجازا قال فى الأساس ومن المجاز لفلان شرف وهو علوّ المنزلة
وشرّفه الله والمراد باطوليّته انّه اشرف من سائر الكتب السّماويّة واجمع
منها علما وبيانا وهو معجزة دونها فهو حبل وثيق عروته ومعقل منيع
ذروته وفى الكلام استعارة مصرّحة حيث انّه استعار له الحبل من حيث
انّ التّمسك سبب للنّجاة عن الرّدى كما انّ التّمسك بالحبل سبب للسّلامة
عن التّردى واستعار للوثوق به والاعتماد عليه التّمسك والاعتصام
ترشيحا للمجاز فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا هذا اذا كان المراد
بحبل الله كتابه واما اذا كان المراد به دينه فشرافته واطوليّته ظاهرة
لأنّه صلى الله عليه واله لما كان خاتم النّبيّين كانت شريعته الغرّاء تمام

البيضاء باقية الى يوم الدين او يقال ان الحبل الاطول كناية عما هو اقوى
واحكم فى الايصال الى المطلوب والاول هو المتبادر والمنساق الى
الذهن وهو الاكمل والناصع الحسب فى ذروة الكاهل الاعبل الناصع
الخالص من كل شىء ومن الالوان احسنها ونصع الامر نصوعا وضح
لونه اشتد بياضا ويقال للذى فيه حمرة من الصفرة احمر ناصع والحسب فى
الاصل الشرف بالاباء وما يعده الانسان من مفاخرهم وقيل الحسب والكرم
يكونان فى الرجل وان لم يكن لهم اباءهم شرف والشرف المجد لا يكونان الا
بالاباء ومنه الحديث حسب الرجل نقاء ثوبه اى انه توفر لذلك حيث هو
دليل الثروة والجدة وبالجملة الحسب عبارة عن شرف الانسان مكارمه و
مناقبه كالشجاعة والسخاوة وحسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة الحسب
الافتخار اى ان الافتخار يهدم الحسب ولذا قال سيد البشر على ما ورد
عنه فى الخبر انا سيد ولد ادم ولا فخر والذروة بالضم والكسر اعلى سنام
البعير وذروة كل شىء اعلاه ومنه الحديث على ذروة كل بعير شيطان
وكاهل البعير مقدم ظهره وهو الذى يكون عليه المحمل والمذكور فى كتب
الادب انه ما بين الكتفين ويجمع على كواهل ويقال فلان كاهل بنى فلان
اى عمدتهم فى الملمات وسندهم فى المهمات وفى القاموس الكاهل
كصاحب الحارك او مقدم على الظهر مما يلى العنق وهو الثلث الاعلى

وفيه ست فقرا وموصل العنق فى الصلب والعبل الضخم من كل شىء والعبلاء
حجارة بيض قال الشاعر كانما لامتها الاعبل فكانما استعير البياض للخلوص
الحسب والنضب والحلو والحلو وكان الناصع ماضيا معنى لم يعمل او يقال
انه مضاف الى الحسب بناء على تقدم اعتبار الاضافة على دخول اللام كما هو مذهب
الفراء واضافة الذروة لاميه والاعبل صفة الكاهل والمعنى صلى اللهم على
من وضحت وخلصت مفاخرة الجسمانية والروحانية من شايبه نقص وقدح
حالكونها ثابتة فى اعلا محل واشرف موضع واحفظ مكان لا يمكن ان ينا له
يد طاعنه فتشبيه الحسب وهو من المعانى المعقولة بالاجسام المحسوسة
تشبيه معقول بمحسوس مبالغة فى وضوحه وظهوره وعدم خفائه كانه
امر محسوس مشاهد وكذا فى اسناد الخلوص والوضوح اليه وكونه فى ذروة
الكامل ثم فى وصفه بالاعبل عدة تاكيد ومبالغة فى وضوحه وعدم انكاره
والقدح فيه كيف وله بابى وامى صلى الله عليه وآله مفاخر عزيزة وماثر
كثيرة لا يحيط بها احد ولا يحصيها عد فان البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف
منها تسبيح الحصاء وحنين الجذع واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير
وانشقاق القمر ونبوع الماء من بين اصابعه وشكاية الناقة وشهادة
الشاة المشوية وتكلم الضب وظل الغمام ورؤيته من خلفه وسماع الصوت
نائما والتكلم بكل لسان والعلم بالسنة الطيور والوحوش وكل ما يدب

على الارض وما كان من حال ابى جهل وصخرته حين اراد ان يضرب على راسه
وما كان من شاة ام معبد حين مسح على ضرعها وانه ما كان للدنيا فى قلبه
وقع اصلا وكان مع اهلها فى غاية الترفع ومع الفقراء واهل المسكنة
والدين فى غاية التواضع وكان فى اعلى مراتب الفصاحة والبلاغة
قال اوتيت جوامع الكلم ولم يسمع منه لا فى مهمات الدنيا كذب قط
ولم يقدم على تسبيح قط ولم يفر من عدوه قط وكان عظيم الرأفة على الامة
حتى كاد ان يذهب نفسه عليهم حسرات وكان فى اعلى درجات السخاء
حتى عوتب بلا تبسطها كل البسط وقصة فداء عباس لما اسر يوم احد
ودعاء الشجرتين فى قتال بنى قريظة لما اراد قضاء الحاجة وضمان الظبية
من صيادها وشهادة ابن عمه صلوات الله عليهما واليهما يوم خيبر يقه
الى غير ذلك من مفاخره ومآثره الغير المحصورة مشهورة وفى كتب
السير والاخبار مسطورة ويمكن ان يكون قوله صلوات الله عليه فى
ذروة الكاهل الاعبل اشارة الى انه صلى الله عليه واله انه كان خالص
الحسب وواضح النسب كان فى ظل حماية عمه ابى طالب وكنف رعايته و
هو الذى يسود القريش بعد ابيه عبد المطلب ورعى النبى حق رعايته
وحماه جدا وكف عنه اذى المشركين وشر المنافقين فكان كاهل قومه
وعمدتهم فى الملمات وسندهم فى المهمات ففى الكافى فى رواية صحيحة

عندى

عندى وحسنة على المشهور بابرهيم بن هاشم القمى عن ابى عمير عن هشام
بن الحكم وابى عبد الله الصادق عليه السلام قال بينما النبى فى المسجد الحرام
وعليه ثياب له جدد فالقى المشركون عليه سلا ناقة فملؤا ثيابه بها فدخله
من ذلك ما شاء الله فذهب الى ابى طالب فقال يا عم كيف ترى حسبى فيكم
فقال وما ذاك يا بن اخى فاخبره الخبر فدعا ابو طالب حمزة واخذ السيف
وقال لحمزة خذ السلا ثم توجه الى القوم والنبى معه فاتى قريشا وهم حول
الكعبة فلما راوه عرفوا الشر فى وجهه ثم قال لحمزة امر السلا على اسبلتهم
ففعل ذلك حتى اتى على اخرهم ثم التفت ابو طالب الى النبى فقال يا بن
اخى هذا حسبك فينا وفيه عنه عليه السلام قال لما ولد النبى صلى الله
عليه واله مكث اياما ليس له لبن فالقاه ابو طالب على ثدى نفسه فانزل الله
فيه لبنا فرضع منه اياما حتى وقع ابو طالب على حليمة السعدية فدفع
اليها وفيه عنه عليه السلام قال لما توفى ابو طالب نزل جبرئيل على
رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا محمد اخرج من مكة فليس لك بها
ناصر وثارت قريش بالنبى صلى الله عليه واله فخرج هاربا حتى جاء الى
جبل بمكة يقال له الحجون فصار اليه والاخبار والقصايد فى ذلك من
طرق العامة والخاصة اكثر من ان يحصى روى الثعلبى فى سورة الانعام
فى تفسير قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه باسناده قال قال مقاتل

نزلت فى ابى طالب واسمه عبد مناف وذلك انّ النبىّ كان عند ابيطالب يدعوه
الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابيطالب يريدون سوء بالنبىّ فقال ابو طالب
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتّى اوسّد فى التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك
غضاضة وابشر وقرّ بذاك وقرّ منك عيونا ودعوتنى وزعمت انّك ناصحى
لقد صدقت وكنت قبل امينا وعرضت دينا لا محالة انّه من خير اديان البريّة
دينا والى ذلك اشار عليه السّلام بقوله والنّاصح الحسب فى ذروة الكاهل
الاعبل والثّابت القدم على زحاليفها فى الزمن الاوّل الثّبات القرار وعدم
العثرة فى العاثور والقدم معروف وهى الرّجل كما فى القاموس مؤنّثة ويحتمل
والالف واللّام فيها عوض عن المضاف اليه اى قدّمه وحمل كلمة على على
معنى مع يعطى من المبالغة ما لا يعطيه حملها على معناها يعرفه العاقل اذا
تامّله والزّحاليف كالاكاليب والزّحلوفة موضع تنزل فيه الاقدام ولا
تكاد تثبت بوجه وفى القاموس الزّحلوفة مكان منحدر مملّس وفى مجمع
البحرين الزّحاليف جمع زحلوفة وهى المكان المنحدر الاملس ومنه فى صفته
صلّى الله عليه وآله الثّابت القدم على زحاليفها فى الزّمن الاوّل اى قبل
النّبوّة والضّمير للدّنيا وان لم يجر لها ذكر لمعلوميّتها والكلام استعارة
انتهى والاضافة لاميّة والزّمن لفظ مفرد مقصود من الزّمان كعم ويم
ولم وفى الزّمن الاوّل يتعلّق بالثّابت والمعنى صلّ اللّهمّ على من كانت

ثم

قد مه ثابتة مع وجود مزالها فى الزّمن الاوّل فان حملت القدم على ما هو المعروف
منها وهو الرّجل فالمراد بالزّمن الاوّل صدر الاسلام قبل شوكته كيوم
الاحد ويوم الاحزاب فانّه عليه وآله السّلام كان قوىّ القلب فارسا
كميّا شجاعا فى الحروب محاميا واثقا بالله وبمواعيده لم يفرّ من احد من
اعدائه قطّ لا قبل النّبوة ولا بعدها وان عظمت البليّة وشدّت المحنة الّا
فيما كان فيه مامورا من الله بالهرب والفرار لضرب من المصلحة كهربه من
القريش فى ليلة الغار وعلى هذا فثبات قدمه كناية عن شجاعته من باب
ذكر الملزوم وارادة اللّازم فانّ ثبات القدم فى المخاطر والمهالك ادلّ
دليل واقوى امارة على الجراة والشّجاعة وقوّة القلب والجسارة فهو
كقولك زيد طويل النّجاد وكثير الرّماد يريد به طول قامته وغاية جوده
وسخاوته وكثرة طبخه وضيافته وان حملتها على قدم الذهن وثبات الفكر
على سبيل الاستعارة بالكناية والتّخييل والتّرشيح فيحتمل ان يكون المراد
بالزّمن الاوّل ما قبل بعثته فانّ هذا الزّمان كان زمان فترة وجاهليّة
والنّاس كانوا فيه عابدى اصنام لهم عاكفين عليها ساجدين لها وهو
هو عليه وآله السّلام كان عارفا بالله وبصفاته العليا واسمائه الحسنى
ولم يسجد لصنم اصلا كما قال انتهت الدّعوة الىّ والى علىّ لم يسجد احدنا
للصّنم فاتّخذنى نبيّا واتّخذ عليّا وليّا هكذا اراده ابن المغازلى الشّافعى

في تفسير كريمة لا ينال عهدي الظالمين وتفصيل هذه الجملة ان الخلق عند
مقدمه صلى الله عليه وآله كانوا بين من عليه اسم الشرايع وغيرهم اما الأولون
فاليهود والنصارى والمجوس وكانت اديانهم اضمحلت من ايديهم واعمالهم بقوا
متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى
القران الحكيم الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله والمجوس اثبتوا
اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر وسموهما النور والظلمة
وبالفارسية يزدان واهرمن وزعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة
توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي خالصا لاهرمن الذي
هو الظلمة سبعة الاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان الذي هو
النور الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء
المنتشرة والطرايق المستتنة فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم
معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا
الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم
الذين حكى القران عنهم وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الموت والحيوة على تحلل الطبايع المحسوسة
وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان

هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا
البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القران الكريم وضرب لنا مثلا و
نسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وصنف منهم اعترفوا بالخالق
ونوع من الاعادة ولكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم
عند الله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف و
قريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام
على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة
واما المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها
علم الانساب والتواريخ والاديان الثاني علم تعبير الرؤيا الثالث
علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلعم
من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة
من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع
في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرائع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له
براهام ومنهم اصحاب البددة والبددة عندهم شخص في هذا العالم لا يولد
ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اصحاب الفكرة
وهم اهل العلم منهم بالفلك واصحاب النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات

الذين اثبتوا وسائط روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر
من غير كتاب فيامرهم وينهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس و
منهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يتيسر
لهم طريقة الا الشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون في مهماتهم اليه ولهذا
كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان
الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا
او حجرا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم
بها من غير اذن شرعي وبرهان من الله كان عكوفهم عليها وعبادتهم
لها اثباتا لالهيتها ووراء ذلك من اصناف الاراء الباطلة والمذاهب
العاطلة المزلة للاقدام اكثر من ان تحصيها لسان الاقلام او يعلمها
الا الله العلام واليه الاشارة بقوله ع والثابت القدم على زحاليفها
في الزمن الاول ويمكن ان يكون المراد بهذا الزمان بدو فطرته واول
زمان خلقته صلى الله عليه واله فانه اول من اقر بربوبيته تع ووحده
على ما دلت عليه اخبار جمة منها ما روي عن ابي عبد الله ع ان بعض
قريش قال لرسول الله ص باي شيء سبقت الانبياء وانت بعثت اخرهم
وخاتمهم فقال اني كنت اول من امن بربي واول من اجاب حيث اخذ الله
ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم الست بربكم اول نبي قال بلى فسبقتهم

بالاقرار

بالاقرار بالله عز وجل ويحتمل ان يكون اشارة الى عصمته وطهارته
صلى الله عليه واله وعلم خطائه في امر الدين والدنيا من مهده الى لحده
والله اعلم بمقاصد اوليائه فان كلامهم صعب مستصعب ذو وجوه
ومخارج لا يعقلها الا العالمون وعلى اله الاخيار المصطفين الاخيار
ال الرجل اهله وعياله واله صلى الله عليه واله عند الامامية عترته الطاهرة
من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص الشهيد الثاني في شرحه
على اللمعة باصحاب الكساء وهم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم
السلام ثم قال ويطلق تغليبا على باقي الائمة عليهم السلام اقول بل على
غيرهم ايضا كما ورد عنه صلى الله عليه واله ان كل تقي ونقي آلي
اله كل من يؤل اليه اما مالا صوريا جسمانيا كالاولاد ومن يحذو حذوهم
من اقاربه الصوريين الذين تحرم عليهم الصدقة في شريعته او مالا
معنويا روحانيا كالاولاد الروحانيين من العلماء الراسخين والاولياء
الكاملين والحكماء المتالهين المقتبسين من مشكوة انواره سبقوه
بالزمان او لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية اكد من الاولى واذا
اجتمعت النسبتان كما في الائمة المشهورين من عترته الطاهرة عليهم
صلوات الزاكية النامية كان نورا على نور كما حرم على اولاده الصورية
الصدقة الصورية تحرم على اولاده المعنوية الصدقة المعنوية وهي

تفليد الغير في العلوم والمعارف وفي نهج البلاغة عن معدن الفصاحة سلام
الله عليه ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا ان اولى الناس
بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين
ثم قال صلوات الله عليه ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته
وان عدو محمد صه من عصى الله وان قربت قرابته وللعامة في آله صلوات الله
عليه وعليهم السلام اختلافات فقيل الا امته وقيل عترته وقيل من حرم
عليه الزكوة من بني هاشم وعبد المطلب وفي هذا الكلام دلالة ظاهرة على ان
الخبر المشهور من فصل بيني وبين الي بعلي لم ينل شفاعتي لا صحة له ولم
نجده في اصل بل ولا في كتاب معتبر ومنهم من قرء المكتوب بصورة علي
اسمه وحمل الباء على السببية واراد ان من فصل بيني وبين الي بسبب عداوته
وخصومته لعلي فلم ينل شفاعتي والظاهر انه على تقدير ثبوته لا بد
من حمله على هذا اذ من المستبعد جدا ان يكون لمجرد ايراد كلمة على بينه وبين
اله يلزم الحرمان لشفاعته كيف والمحروم هو الكافر ويؤيده ما في رواية
اخرى من فرق بيني وبين الي بعلي فرق الله بين راسه وجسده يوم القيمة
وفيها ايماء لطيف الى انه ع من اكمل افراده له واشرفهم حيث صار منهم بمنزلة
راسهم من جسدهم ويحتمل ان يكون هذه اشارة الى قوله صه ع علي مني بمنزلة
راسي من جسدي على ان الادعية المنقولة عنهم عليهم السلام وخصوصا

السجادية

السجادية منها ولا سيما ما نقل عنه ع من ملحقات صحيفة الكاملة من ادعية
ايام الاسبوع مشحونة باعادة الخافض والفصل بينه وبين اله بايراد
كلمة على وهو المطابق القواعد اهل الادب قال فخر المحققين ولد العلامة قدس
طاب الله ثراهما في جواب من سأله عن جماعة من اصحابنا وفيهم من ينسب
الى اهل العلم اذا ذكر بحضورهم سيدنا رسول الله وقيل صلى الله عليه و
على اله بعلي ينكرون ذلك غاية الانكار ويقولون لا يفصل بين النبي واله
بعلي مع ان النحاة ذكروا ان العطف على المخفوض بغير اعادة الخافض
ضعيف فهل ورد في هذا امر مخصوص يخالف ما عليه النحاة ام لقول اصحابنا
وجه لا وجه لهذا القول بل القول ما قاله النحاة ولولا اتباع النقل لما
جاز الا باعادة الخافض على انه ورد في كثير من الادعية عنهم عليهم السلام
صلى الله على محمد وعلى اله انتهى وقال الفاضل الاردبيلي ره في ايات
احكام ان العامة يذكرون كلمة على بعد قوله صلى الله عليه وعلى اله عنادا
تعصبا لان تركها صار شعار الرفضة فذكرها خير من تركها انتهى وفيه
دلالة على ان الشيعة يحافظون على تركها ويلازمونه بحيث صار ذلك
بمنزلة شعارهم وهذا منهم كذب محض وافتراء عليهم وهم براء منه قال
صدر الدين محمد المشهور بسيد علي المدني واما ما زعمه بعضهم من ان الشيعة
يلزم عدم اعادة الخافض وهو على في مثل هذه العبارة لحديث تاثرونه

وهو من فصل بيني وبين آلي بعلي فقد جفاني فزعم محض لا عين له ولا اثر
اذ لا يعرف الشيعة هذا الخبر ولم ترد به رواية من طرقهم ولم يذكروه لا
مسندا ولا منقطعا في شيء من كتبهم كيف والادعية المأثورة عن
اهل البيت عليهم السلام مشحونة باعادة الخافض في مثل ذلك انتهى وقد
فصّلنا القول فيه في تعليقاتنا فليطلب من هناك تنبيه واذ قد ثبت
جواز الفصل بينه وبين آله صلى الله عليه وآله باعادة الخافض وهو على
في غير صورة العطف على الضمير المخفوض فجوازه في هذه الصورة اولى
لمنع جمهور البصريين عن العطف على الضمير المخفوض من دون اعادة
الخافض وايجابهم اعادته فيه نعم ذهب الكوفيون ويونس والاخفش
الى عدم وجوب الخافض في ذلك واختاره الشلوبين وصححه ابن
مالك وابو حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور والتوضيح
لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة واتقوا الله الذي تساءلون به و
الارحام بخفض الارحام عطفا على الضمير المخفوض بالباء وحكاية
قطرب ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس عطفا على الهاء المخفوضة باضافة
غير اليها وقول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب بخفض الايام عطفا
على الكاف المخفوضة بالباء والى ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة
وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا وليس عندي

لازما

لازما اذ قد اتى في النثر والنظم الصحيح مثبتا والاخيار جمع خيّر بالتشديد
كلبس واكباس او جمع خير بالتخفيف كعين واعيان وهما بمعنى واحد اي
كثير الخير وقيل المخفف في الجمال والميسم والمشدد في الدين والصلاح والاول
هو الاشهر قال الجوهري رجل خيّر وخير مشدد ومخفف انتهى والخير قيل
هو شيء من اعمال القلب يورد في زائد على الايمان وغيره من الصفات الحسنة
يدل على ذلك ما في حديث انس يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في
قلبه ما يزن مثقال الذرة من خير وقيل هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض
وهو اما خير مطلق كوجود العقل لانه خير محض لا يشوبه شر ونقص واما
خير مقيد كوجود كل من الصفات المرضية وقيل هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره
كل عاقل وينقسم ايضا الى خير بالذات وخير بالعرض فالاول هو الحقيقي ومرجعه
الى الوجود البحت والموجود بما هو موجود كالعلم والايمان الحقيقيين
والثاني ما هو وسيلة الى الاول كالعبادة والزهد وقيل هو ما يتشوقه
كل احد بلا مسوسه وهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لاجله فان الكل
مبطلة بالحقيقة للخير وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فيقصده
الخير ويضاده الشر وهو المجتوى من اجل نفسه والمجتوى غيره من اجله
والحق ان الخير كلي يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة كما يدل عليه قول
امير المؤمنين صلوات الله عليه افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره

كبير وقليله كثير ويؤيّده ما فى بعض الأخبار يخرج منها اى من جهنّم
قوم لم يعملوا خيرا قطّ وهؤلاء الّذين ليس معهم الّا الايمان انتهى
ويقابله الشّرّ فيكون كليّا مندرج تحته جميع الأعمال السّيّئة و
المصطفين جمع المصطفى اى المختار اسم مفعول من اصطفى قلبت الياء
الفا وحذفت يعنى انّه تع اختارهم للامامة والخلافة واذهب عنهم
الرّجس وطهّرهم تطهيرا فكانوا خير امّة اخرجت للنّاس يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر والابرار امّا جمع برّ كارباب او جمع بار كاصحاب
والبرّ هو العطوف المحسن وقد يكون بمعنى الصّادق ومنه برّت يمين
فلان اذا صدقت وصدق فلان وبر يقال برّ الرّجل برّا مثل علم يعلم
علما فهو برّ بالفتح وبارّ وهو خلاف الفاجر وقيل هو الكثير البرّ اى
الخير والاتّساع فى الاحسان وقال الطّبرسى هو الّذى برّ الله بطاعته
ايّاه حتّى ارضاه وهم عليهم السّلام ابرار بجميع هذه المعانى فانّهم اصدق
النّاس لهجة واعطفهم عليهم لطفا واحسانا والخير منهم معروف وهم
بالاحسان موصوف وقد برّوا الله لطاعتهم ايّاه حتّى ارضوه ولما
قدّم الوسيلة على طلب الحاجة تقريبا للمرام الى مقام المسألة وقال ع
افتح اللّهمّ لنا مصاريع الصّباح بمفاتيح الرّحمة والفلاح عطف على
صلّ اللّهمّ وفى بعض النّسخ الهى وهو الانسب بالفقرة الاتية الّا انّ

التّعميم

التّعميم فى الدّعاء اقرب الى الاجابة من التّخصيص اذا دعا احدكم فليعمّ
لانّه اوجب للدّعاء ثمّ لمّا كان من شرائط اجابته تسمية الحاجة انّ الله
تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد ولكنّه يحبّ ان تبثّ اليه الحوائج
وكان هذا الدّعاء موضوعا للاستفتاح فى الصّباح صرّح بذلك
اشارة الى ذلك والفتح ازالة الاغلاق والمصراعان من الابواب والشّعر
ما كانت قافيتان فى بيت وبابان منصوبان ينضمّان جميعا مدخلهما
فى الوسط منهما والمفتاح آلة الفتح وهى ما يفتح به المغلاق والمفتح مثله
وكانّه مقصور من الاوّل وجمع الاوّل مفاتيح والثّانى مفاتح بغير ياء
ثمّ استعير لما يتوصّل به الى الامر ومنه قوله تع وعنده مفاتح الغيب لا
يعلمها الّا هو قال الرّاغب يعنى ما يتوصّل به الى غيبه المذكور فى قوله تع
عالم الغيب لا يظهر على غيبه احدا والباء فيها للآلية كما فى ضربت بالسّوط
وكتبت بالقلم والفلاح البقاء والفوز والظّفر وهى من افلح كالنّجاح
من انجح وهذا التّركيب وما يشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلح
يدلّ على الشّقّ والفتح وفى الكلام استعارة بالكناية وتخييليّة وترشيحيّة
حيث شبّه اجزاء الصّباح لكونها ظرفا بالمنزل والدّار المقفول بجامع عدم
العلم بما فيه من الحوادث الاستقباليّة وطوى ذكر المشبّه به مصرّحا
بالمشبّه واثبت له المصاريع والمفاتيح ثمّ ذكر الفتح ترشيحا للاستعارة

او استعارة تبعية والاضافة في الموضعين لامية او في الاول لامية
وفي الثاني بتقدير من كما في خاتم فضة او بيانية ولا يخفى لطافة تشبيه
الرحمة والفلاح بالمفتاح فيكون من اضافة المشبه به الى المشبه ولعل
المراد بمصابيحه طلوع قوس النهار وقطعة قطعة اعني انقضاء اجزاء النهار
تدريجا ويمكن ان يقال لما كانت الآفاق المائلة تختلف قطعا باختلاف
عروض البلدان ولذا تختلف الليالي فيها فكان لكل افق منها صباح ولهذا
صراع جمعها بقوله مصابيح الصباح ويمكن اعتباره بالنسبة الى الآفاق
الاستوائية لكن بالاضافة الى الاشخاص لا بالنسبة الى الانواع ولما كانت
الهداية والصلاح مقولين بالتشكيك طلب اكمل افرادهما وافضل اصنافهما
فقال والبسني اللهم من افضل خلع الهداية والصلاح البسه الثوب
فلبسه وهذا الفعل وما شاكله من الافعال التي لا يتعلق معناها بالعين
بالهداية والصلاح من باب الاستعارة التمثيلية او شبه ما يغشي الانسان
عند كونه مهتديا صالحا من الفيوضات الربانية والكرامات الرحمانية
باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس فالاستعارة
مصرحة حيث اطلق المشبه به على المشبه ويحتمل ان يكون تبعية
واضافة الخلعة الى الهداية اضافة اللجين الى الماء او بيانية او يقال
لتشبيه الهداية والصلاح باللباس مكنيتان واثبات الالباس و

الاخلاع

والاخلاع لهما ترشيحيتان وهم كثيرا ما يشبهون صلاح الرجل بشعاره
وتقويه بدثاره واما هنا فجعل الهداية بمنزلة الشعار والصلاح بمثابة
الدثار وانما سمي اللباس المخصوص بالخلعة لانه يخلع عن البدن اي ينزع
ليصان ويحفظ وفيه ايماء الى ان الصالح والمهتدي مكرمان عنده تعالى
ومعظمان اذ الملك لا يخلع من عبيده الا من اراد اكرامه واعظامه اما
تفضلا او لسابقة استحقاقه لذلك والهداية الدلالة على ما يوصل الى
المطلوب والدلالة الموصلة ولعل الاول اولى وعلى اي تقدير فالمراد
بها هنا الاهتداء اما من باب تنزيل المتعدي منزلة اللازم كما اشرنا اليه
بقرينة عطف الصلاح اللازم عليه او يكون من هدى بمعنى الاهتداء قال
الجوهري هدى واهتدى بمعنى وهو بهذا المعنى لازم والمراد بالاهتداء
الاهتداء الى كل حق وصواب والقبول له والعمل به وعدم الرجوع معه
الى باطل وخطاء قال الراغب الاهتداء يختص لما يتحراه الانسان من
الهدى على طريق الاختيار اما في الامور الدنيوية او الاخروية قال الله تعالى
هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ويقال ذلك لطلب الهداية نحو
قوله تعالى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين وليتحرى الهدى نحو واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ويقال المهتدي لمن يقتدي
بعالم نحو ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون تنبيها على انهم لا

يعلمون بانفسهم ولا يقتدون بعالم وقوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ومن الاقتداء وتحرّيها وقوله واني
لغفار لمن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى معناه ادام طلب الهداية ولم يفتر عن
تحرّيها ولم يرجع الى المعصية وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون اي الذين تحرّوا الهداية وقبلوها وعملوا بها انتهى والصلاح
ضد الفساد وخروج الشيء عن الاعتدال اللائق به فالصلاح حصول
الشيء على الحالة المستقيمة النافعة وكلاهما يعمّان كل ضار ونافع ولعل
المراد به هنا الاوامر والنواهي الشرعية قال الزمخشري في الاساس امر الله
نهى الاستصلاح العباد والصالح قيل هو الخالص من كل فساد وقيل هو
المقيم كما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس وكذا قال الزجاج في معاني
القران الصالح هو الذي يؤدي ما افترض الله عليه ويؤدي الى الناس
حقوقهم ولما كانت الهداية انواع مترتبة من افاضة القوى ونصب الله الدلائل
الفارقة وارسال الرسل وانزال الكتب وكشف السرائر على القلوب واراءة
الاشياء كما هي اما بالوحي او الالهام طلب ان يكون خلعته التي هي الهداية
من افضل الخلع في هذا النوع لان استعمال افضل مضافا مشروطا بان يكون
موصوفه بعضا مما اضيف اليه داخلا فيه بحسب مفهوم اللفظ وان كان
خارجا منه بحسب الاستعمال لان المقصود من استعماله هذا التفضيل موصوفه

على مشاركته

على مشاركته في هذا المفهوم العام وبالجملة المراد بالهداية امّا اهتداؤه او
هداية الله له او هدايته لغيره فيكون المراد بافضلها على الاول الثبات
اليها والرسوخ فيها وعلى المعنيين الاخرين الايصال الى المطلوب اذ كان
الصحيح انها عبارة عن الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية من غير ان
يشترط في مدلولها الوصول ولذلك كانت الدلالة التكوينية المنصوبة
في الافاق والانفس والآيات الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق
بالنسبة الى البرية كافة برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من الله تع
ويحتمل ان يراد بافضلها هنا الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب
المهدي بالوحي او الالهام وهي مرتبة صاحب الدعاء ومن هو في رتبته وكذا
الكلام في الصلاح المذكور في هذا المقام فلا يرد ان الصلاح اول درجات
الصالحين فكيف يليق من رتبة الخلافة والامامة ان تطلب البداية واما
قول يوسف ع توفني مسلما والحقني بالصالحين فقد قالوا انه ان اراد
بالصالحين من ابائه فظاهر وان اراد الالحاق بعامة الصالحين توجه
ان اجتماع النفوس البشرية بانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا
المستنيرة المتقابلة التي يتعاكس اضواؤها وتتكامل انوارها الى حيث
لا تطيقها العيون الضعيفة ولما كانت اكثر كان الاشراق اظهر فلا يرد
عليه نظيرها سنذكره فتامل ولا يذهب عليك انه تع قد اجاب دعوته ع

هذه حيث جعل من صالح المؤمنين كما اخبر عنه بقوله عز اسمه وان تظاهرا عليه
فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين للاتفاق على ان المراد به في
الاية سيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ابنائه المعصومين ولما
كان الخشوع من احسن صفات الصالحين واشرف سمات المهتدين وكان
من اسباب اجابة الدعاء ادعوا ربكم تضرعا وخفية يا موسى كن اذا دعوتني
خائفا مشفقا وجلا وعفر وجهك واسجد لي بمكارم بدنك واقنت بين
يدي في القيام ناجني حيث تناجي بخشية من قلب وجل التمسه عليه
السلام منه ثم فقال واغرس اللهم لعظمتك في شرب جناني ينابيع
الخشوع غرس الشجر يغرسه غرسا وغرسا انبته في الارض كاغرسه كذا
في القاموس والعظم في صفات الاجسام كبر الطول والعرض والعمق والله
تعالى جل قدره عن ذلك وهو الذي جاز قدره وجل عن حدود العقول
حتى لا يتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته فعظمته جلالته ورفعته وقدرته
فهو منصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر وقيل ان عظمته ثم صفة
اضافية ثابتة له ثم بالقياس الى اعتقاد العبد وتصوره واثباته لغيره
عز وجل والا فليس لما سواه في جنب وجوده ثم وجود حتى يتصف بالعظمة
بالقياس اليه لكن الانسان يتصور لنفسه بقوته الوهمية وجودا مستقلا
وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم وافراده وجودا مستقلا انتهى

اليها

اليها وجود الحق فيصفه بالعظمة ثم بقدر ما يظهر قصور وجوده و
ضعفه وقصور الوجودات الامكانية وضعفها يزيد في نظره عظمة
الحق ولذا قيل ان ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم
فتقدر انكساره لظهور وجود الحق وعظمته وكبريائه والشرب بالضم
والكسر اسمان وبالكسر الماء والحظ منه وفي التنزيل ولها شرب يوم
معلوم والمراد به هنا العرق الذي به تعمير القلب وحياته وتشبيهه
المعد لصالحه وهو ظرف للغرس والاضافة لامية والجنان بالكسر الجنة
وبالفتح القلب وهو المراد هنا سمي به لاختبائه واستتاره ونبع الماء نبعا
ونبوعا خرج من العين والينبوع العين والجدول الكثير الماء وينابيع
الخشوع مفعول اغرس والاضافة اما بيانية او لامية ومن قبيل اضافة
اللجين الى الماء والخشوع التذلل والخوف والخضوع وعن النبي صلى الله عليه وآله
انه رأى رجلا يعبث بلحيته في صلوته فقال اما انه لو خشع قلبه خشعت جوارحه
تدل على ان الخشوع كما يكون بالقلب يكون بالجوارح وفي الصحاح خشع
ببصره غضه ولعله شبه جنانه بالجنان فاثبت له الشرب وشبه
الخشوع بالاشجار فاثبت له الغرس ثم طلب لاسقائه وانمائه الينابيع
الا انه جعلها من متعلقات الغرس توسعا او ضمن الاغراس معنى الانباع
او الابداع اي اغرس منبعا او مودعا في شرب جناني او كان في الاصل

شجرات الخشوع بقرينة نفرات الدموع وفي بعض النسخ اغرز اللهم وهو من
الغرازة بمعنى الكثرة يقال اغرز القوم اذا كثر ألبان مواشيهم وهو قريب
لكن لا يناسبه التعليل بالعظمة وقد بلغنا ان في نسخة كانت بخطه ع كان
فيها اغرس والاشكال انما هو فيها اذ الغرس ليس من ملائمات الينبوع
وانما الملائم لها الغزارة والنبع وما شاكل ذلك ومن الناس من يقول ان
اغرس محمول على التضمين بمعنى الاخراج بقرينة ينابيع فانها ليست من متعلقات
اغرس ولا يصح ان يكون من معلولاته فاستعمال دمع الينابيع يوجب التضمين
اي اغرس مخرجا وتعقبه بعضهم بان استعمال الغرس على اصل وضعه الذي
هو غرس الشجر مطلقا في هذا المعنى بعيد جدا غير مأنوس على ان التضمين
بهذا المعنى غير مصرح ويمكن ان يقال انه محمول على التجريد فان الغرس اخراج
التراب عن الارض وادخال الشجرة فيها فلو جرد عن الثاني واستعمل في
الاول كان المعنى مستقيما وانما لم يقل اخرج مكان اغرس لكون الترشيح ابلغ
بيانه ان قوله ينابيع الخشوع استعارة مكنية وهي انه شبه الينابيع باشجار
رطبة خضر فاستعير لها الينابيع واثبت لها الاغراس الملائم للاشجار تشبيها
بها فهي تخييلية وترشيحية نظيره فاذاقها الله لباس الجوع والخوف حيث
لم يقل فكساها لان الترشيح ابلغ وقال صاحب الكشاف في لباس الجوع و الخوف
استعارتان تصريحية وهي انه شبه ما غشي الانسان عند الجوع والخوف

من بعض

من بعض الحوادث باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس و
مكنية وهي انه شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم مما لا يدرك من طعم المر
البشع حتى اوقع عليه الاذاقة فالاذاقة بمنزلة الاظفار للمنية فيكون تخييلية
ولا يخفى ما في هذه التوجيهات والتاويلات من التكلف والاظهر ان
النسخ كانت في الاصل ينابيع الخشوع بتقديم النون على الباء الموحدة
من النبع وهو شجر يتخذ منه القسي قال ابن الاثير في النهاية قيل كان شجرا
يطول ويعلو فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا اطالك الله من عود فلم يطل
وفي القاموس النبع شجر القسي والسهام نبت في قلة الجبل وقولهم لو اقتدح
بالنبع لاورى مثل في جودة الراي لانه لا نار فيه وعليه فلا اشكال مع مناسبته
التعليل فانه ع لما اراد ان يطلب خشوعا كاملا كثير الافراد بالغا طويلا
عاليا على القلب وعلى جميع الجوارح والاعضاء ليكون التوجه والاقبال
على الله تع والخوف منه والاعراض عما سواه دائما مستمرا بحيث لا يشغله
شان عن هذا الشان توسط صفة العظمة ليجعلها وسيلة بطلب ما هو
عظيم وهو الخشوع المشبه بالنبع في طوله وعلوه وعروقه وكثرة جذوعه
واغصانه ثم لما اراد ان يبالغ في ذلك ليشعر بحصر وجده وجهده فيه
جمعه ليكون اوفى بتادية المرام وادل على الغرض المسوق له الكلام والمراد
استدعاء حالة يتمكن معها عظمته تع في القلب على وجه يغلب الخوف و

الخشية على قلبه ويستولي عليه فيثمر بذلك خشوعه واقباله على الله تعالى بكليته
وذهابه اليه بجملته وانما خص الجنان بموضوعية الخشوع لانه بمنزلة السلطان
والجوارح بمنزلة العسكر فاذا توجه السلطان الى جانب توجه اليه العسكر
فمتى توجه القلب الى جناب الله تعـ توجه كل جارحة اليه ولذا قال عليه السلام
اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه واعلم ان كلا من الفرح والحزن قد توجب
الدمع الا ان الحاصل بالاول بارد ومن الثاني حار لان الفرح كيفية تتبعها
حركة الروح الى خارج البدن قليلا قليلا طلبا للوصول الى الملذ فاذا تحرك الروح الى
الخارج انفصل اجزاء الشئون والمفاصل بعضها عن بعض فيخرج الرطوبات
البادرة المحتبسة في الدماغ والحزن كيفية تتبعها حركة الروح الى الداخل
قليلا قليلا هربا من الموذي فاذا انقبض الروح متراجعا نحو الدماغ عصر شيئا
من الرطوبات الباقية على شحونتها السابقة والى هذا القسم اشار بقوله واجر
اللهم لهيبتك من اماقي زفرات الدموع اذ الهيبة وهي السطوة والخوف يقال
هاب الشيء يهابه اذا خافه واذا وقره وعظمه يوجب انقباض الروح كما في
صورة الهرب من الموذي وقيل الهيبة خوف داع للخضوع عن استشعار
تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة
علي ولكن ملء عين حبيبها وقال العارفون الهيبة حالة فوق الخوف
مقتضاها غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق بل من احوال النفس لما

يرد عليه من الحق اذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة قالوا
وهي لا تسكن الا في كل قلب منيب اواب ولا تلم الا بساحة كل مصلح تواب و
الموق بالهمزة وغيره طرف العين الذي يلي الانف وفي نهاية ابن الاثير
موق العين مؤخرها وماقها مقدمها وجمع الموق اماق وهي متعلقة باجر
ومن ابتدائية والزفر النهر الكثير الماء والاضافة بتقدير من او من قبيل اضافة
الذهب الى الاصيل حيث شبه الدموع بالزفرات ثم قدمت عليها واضيفت
اليها والدمع ماء العين من حزن او سرور والجمع الدموع كالمنع والمنوع
والدمعة القطرة منه ولما كان البكاء الى الله سبحانه فرقا وخوفا وصفا
محمودا وفيه دلالة على رقة القلب التي هي دليل الاخلاص وجمود العين
من القاقرة الموذية بالبعد من الله يا موسى لا تطول في الدنيا املك
فيقسو قلبك وقاسي القلب مني بعيد وقد ورد ان بين الجنة والنار
عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله وما من شيء الا وله كيل او
وزن الا الدموع فان القطرة تطفي بحارا من النار فاذا اغرورقت
العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة واذا افاضت حرمه الله تعـ على
النار ولو ان باكيا بكى في امة لرحموا وما من قطرة احب الى الله من قطرة
دموع في سواد الليل مخافة من الله ولا يراد به غيره ومن ذرفت عيناه
من خشية الله كان له لكل قطرة من دموعه مثل جبل يكون في ميزانه من الاجر

وكان لدله بكل قطرة عين من الجنة على حافتيها من المداين والقصور ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر استدعاه من الله عز وجل وطلبه منه
ولما كان الخشوع من اسباب الدموع ومن جملة عللها فان من غفل قلبه عن الله
كيف يدمع عينه مخافة منه قدمها وطلبه قبولها ليشعر بذلك وليكون الكلام
على طبق نظمه الطبيعي ويظهر منه فائدة الخشوع الشرعي **تنبيه** يسر قوله صلوات
الله عليه من اماقي صريح في صحة اطلاق صيغة الجمع على الاثنين حقيقة اذ
الاصل في الاطلاق هو الحقيقة فما نقل عن صاحب الفتوحات ومدعي
الكشف والكرامات انه قال رايت رسول الله في بعض الوقايع فسئلته عن
اقل مراتب الجمع وقلت ذهب فريق الى انه ثلثة وفريق الى انه اثنان فما
الحق فقال اخطأ هؤلاء وهؤلاء بل ينبغي ان يفصل ويقال الجمع اما جمع
الفرد او جمع الزوج فاقل مراتب الاول ثلثة واقل مراتب الثاني اثنان اضغاث
احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين هذا ولما كان الفقر والفاقة وضيق
المعاش يشوش الانسان فيمنعه عن الخشوع والدموع بل قد يحدث
فيه طيشا وخفة في عقله لغلبة قواه الحيوانية عليه فيتجاوز بذلك بعض
حدود الله ويرتكب محارمه اذا لم يكن قانعا بما يصيبه من الدنيا وكانت
القناعة كنزا من خزائن الله عز اسمه استدعاه منه سبحانه ليكون حاجزا له
يكفه بنفسه عن ذلك فقال وادب اللهم نزق الخرق مني بازمة القنوع

ادبه علمه فتادب والادب محركة حسن التناول ادب ككرم ادبا فهو اديب
كذا في القاموس وقيل الادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وقال
ابو زيد الانصاري الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان
في فضيلة من الفضائل وفي حواشي ملا عبد الغفور اللاري على شرح الجامي
الادب نگاهداشت حد هر چيز ولعله ضمنه معنى الازالة والمنع اي ادب
اللهم مزيلا ومانعا نزق الخرق مني وهو الانسب بالمقام لان قوى الحيوانية
لما كانت عاصية عن حكم الشرع خارجة عن تحت قلم العقل فلا بد لها من مانع
يمنعها عن ذلك ويقسرها على امره ونهيه وهو تاديب الله ومنعه اياها بازمة
القنوع ولذا قال صاحب الدعاء جعلنا له الفداء الادب صورة العقل لانه
يمنع العاقل عن ارتكاب ما لا ينبغي ارتكابه وانما رجحنا تضمين المنع على
الازالة لان الاول مطابق للامر نفسه دون الثاني فانهم اختلفوا في الخلق
فقيل هو غريزي من جنس الخلقة لا يستطاع تغييره خيرا كان او شرا كما قال
وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود ومنها مذمم ولن يستطيع الدهر
تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه ملوم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله من
اتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله ومحال ان يمكن المخلوق
تغيير فعل الخالق فالتكليف بتهذيب الاخلاق تكليف بما لا يطاق و
قيل بل هو كسبي لقوله ص حسنوا اخلاقكم فلو لم يكن كسبيا لما امر به ولانه

نرى كثيرا من الناس يزاولون ويمارسون خلقا من الاخلاق حتى يصير ملكة
له قيل الحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب وبيانه ان الله تعالى خلق الاشياء
على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والارض والهيئة
والثاني بالقوة وهو ما خلقه خلقا ما وجعل فيه قوة ورشح الانسان لاكماله
وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل
وسهل الانسان سبيلا ان يجعله بعون الله نخيلا وان يفسده افسادا
وقال الخلق من الانسان يجري هذا المجرى في انه لا سبيل الى تغييره القوة التي
هو السجية والغريزة وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولذا قال تعالى وقد خاب
من دسيها ولو لم يكن كل لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد
والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف
يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا فالوحشي
قد ينقل بالعادة الى الناس والجامح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم
مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريعة القبول وبعضهم بطيئة القبول و
بعضهم في الوسط وكل لا ينفك من اثر قبول وان قل ومن هنا ما ورد في
الادعية من طلب التوفيق لمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال وفي الاحاديث
من الامر بها والحث عليها اقول ويظهر ذلك من بعض الاخبار ان الخلق
منه غريزي ومنه كسبي مثل ما في اصول الكافي في باب حسن الخلق عن

اسحق

اسحق بن عمار عن ابي عبد الله ع قال ان الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه
فمنه سجية ومنه نية خلقت فايهما افضل فقال صاحب السجية هو مجبول
لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبرا فهو افضل النية
المكتسب بقرينة المقابلة يقال نويته انويه اي قصدته والاسم النية
مثقلة والتخفيف لغة وهذا صريح في ان الخلق منه طبيعي غريزي خلقه
الله تعالى في بدو الخلقة ومنه مكتسب بان يتمرن حتى يصير كالغريزة فيبطل
قول من قال انه غريزي لا مدخل للاكتساب فيه وقال الراغب واري ان
من منع من تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح فان النوى محال
ان ينبت الانسان منه تفاحا ومن اجاز تغييره فانه اعتبر اظهار ما في القوة
الى الوجود وامكان افساده باهمال نحو النوى فانه ان تفقد فيجعل نخلا
وان يترك مهملا حتى يفسد وهذا ايضا صحيح فالاختلاف فيهما بحسب اختلاف
نظريهما انتهى وانت خبير بان كلام صاحب الدعاء جعلت له الفداء صريح
الدلالة على امكان تغيير الخلق واسلاسه بالمعنى الذي سبق ولكن
بفضل الله وحسن توفيقه كما قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم هذا والنزق
الوثوب والسرعة والتسابق والطيش والخفة عند الغضب ومنه ما
ورد في رواية عبد الله بن سنان قال قلت لابي عبد الله ع جعلت فداك
اني لارى بعض اصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش فاغتم لذلك

الفطرة بالصحيح

غمّا شديدا وارى من خالفنا فاراه حسن السمت قال لا تقل حسن السمت في الطريق ولكن قل حسن السيماء فانّ الله عزّ وجلّ يقول سيماهم في وجوههم قال قلت فاراه حسن السيماء له وقار فاغتمّ لذلك قال لا تغتمّ لما رايت من نزق اصحابك ولما رايت من حسن سيماء من خالفك انّ الله تبارك وتعالى لما اراد ان يخلق ادم خلق تلك الطينتين ثمّ فرّقهما فرقتين فقال لاصحاب اليمين كونوا خلقا بمنزلة الذرّ يدرج ثمّ رفع لهم نارا فقال ادخلوها باذني فاوّل من دخلها محمد صلّى الله عليه وآله ثمّ اتبعه اولوا العزم من الرسل واوصياؤهم واتباعهم ثمّ قال لاصحاب الشمال ادخلوها باذني فقالوا ربّنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لاصحاب اليمين اخرجوا باذني من النار فخرجوا لم تكلم منهم النار كلما ولم يؤثّر فيهم اثرا فلما راهم اصحاب الشمال قالوا ربّنا نرى اصحابنا قد سلموا فاقلنا ومرنا بالدخول قال قد اقلتكم فادخلوها فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربّنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا وامرهم بالدخول ثلثا كل ذلك يعصون ويرجعون وامر اولئك ثلثا كل ذلك يطيعون ويخرجون فقال لهم كونوا طينا باذني فخلق منهم ادم قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رايت من نزق اصحابك وخلقهم فما اصابهم من لطخ اصحاب الشمال وما رايت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فما اصابهم من لطخ اصحاب اليمين انتهى وفيه اشياء نطهر على من

تامل

تامل واما الجبر الذي يترائى من احاديث الطينة فتوهم ضعيف وظنّ سخيف قد ذكرنا وجه ضعفه وسخافته في اواخر رسالتنا لابطال الجبر والتفويض فليطلب من هناك واضافة النزق الى الخرق لشدّة امتزاجهما في المناسبة اللفظية والمعنوية كما قال الشيخ الرضي في نظائره وسمّي هذا التركيب شبيها بالمزجي والخرق ضدّ الرفق ومنه ما ورد الرفق يمن والخرق شوم وفي اخر من قسّم له الخرق حجب عنه الايمان وعن صاحب الدعاء جعلت لها الفداء من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق وان لا يحسن الرجل العمل والتصرّف في الامور وهذا من جملة معانيه كما صرّح به علماء اللغة وعن النبي صلّى الله عليه وآله لو كان الخرق خلقا يرى ما كان شيئا ممّا خلق الله اقبح منه وفي القاموس الخرق الحمق واعلم انّ الحدّة غير الخرق المذموم فانّ من الناس من يشاكل ظاهره ظاهر الشرير في الحدّة والاستطالة ويرجع باطنه الى قلب سليم منطو على الخير وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفي الحديث الثناء على مثله قال عليه السلام خيار امّتي احدّاؤها وقال عليه السلام الحدّة تعتري خيار امّتي هذا وكلمة من ابتدائية والانف كالائمة جمع زمام وهو ما يجعل في انف البعير ليقاد به والباء للالية والسببية والظرف متعلق بادبه والقنوع بالضمّ السؤال والتذلل والرضاء بالقسم ضدّ ومن

دعائهم نسئل الله القناعة ونعوذ به من القنوع وفي المثل خير الغنى القنوع
وشر الفقر الخضوع والقناعة الرضا باليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعا
وقناعة بالكسر اذا رضي وقنع يقنع بالفتح قنوعا اذا سئل الى المعنيين
المذكورين اشار من قال العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع فاقنع ولا
يطمع فما شئ يشين سوى الطمع قنع الاول بالكسر بمعنى رضي والثاني
بالفتح بمعنى سئل وقيل القناعة الرضا بما دون الكفاية وفسرها المحقق الطوسي ره
بعد ما عداه من الانواع المندرجة تحت العفة الحاصلة من الاعتدال في
القوة الشهوية بانها رضاء النفس في المآكل والملابس وغيرهما بما يسد
الخلل من اي جنس اتفق وقد ورد في شان القناعة والحث عليها من الكتاب
والسنة ما لا اخفاء فيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ولا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وبالقناعة فسر الرزق الحسن في
قوله تعالى ليرزقنهم رزقا حسنا وبها فسرت الحيوة الطيبة في قوله تعالى ولنحيينه
حيوة طيبة وعن الباقرين عليهما السلام من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس
بيان ذلك ان حاجات الناس كثيرة فاغناهم الله اقل حاجة لان الغنى هو
عدم الحاجة فلذلك كان الله سبحانه اغنى الاغنياء اذ لا حاجة به الى شئ
نقل ان رجلا من حاشية سلطان راى حكيما ياكل ما يساقط على راسه
من البقل فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت

لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقال صفوان بت ليلة استمتع
بالمنى واقلب قلبي على حواشي الغنى فكتبت البحر الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت
ما بين الكوفان الى اسياف عمان فاخرة اللباس وسارحة النعم فاذا الذي
يكفيني من ذلك رغيفان وتمران وقال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا
القناعة فاستقرا وقد فسرت في الاخبار بان تقنع بما يطلب من الدنيا يقنع
بالقليل ويشكر باليسير وفي الحديث القناعة كنز لا ينفد عز من قنع وذل من
طمع وعن صاحب الدعاء جعلت له الفداء لا كنز اغنى من القناعة ولا مال اذهب
للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم وتبوا خفض
الدعة والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب والحرص والكبر والحسد دواع
الى التقحم في الذنوب والشر جامع مساوي العيوب تشبه عليه السلام قوى
النفس الامارة بالسوء التي ينشاء منها الترق ويصدر عنها الشر وهي المفتقرة
الى التاديب لرقتها بالنوق بجامع عدم القيادة والسكون وترك الشهوة فاثبت
لها الازمة اما لتعددها او للاشارة الى انها لا ينقاد ولا يطيع بزمام واحد
او لاختلاف متعلقات الشهوة واحتياج النفس في الكيف عن كل واحد منها
بزمام وقناعة اخرى وصبر اخر ففيه استعارة بالكناية والتخييل او ترشيح
اضافة الازمة الى القنوع اضافة اللجين الى الماء او الاضافة بيانية او بتقدير
من وتعبير اخر شبه بزنق الحرق وهو من الكيفيات النفسانية بالناقة

المحتاجة الى التاديب بالدلو زمة وسكت عن ذكر المشبه به وذكر المشبه استعارة
فالاستعارة مكنية واثبات التاديب بالدلو زمة تخييلية ثم تشبيه القنوع بالازمة
فانه كما يمنع الزمام نزق الناقة يمنع القنوع نزق النفس ثم قدم المشبه به و
اضيف الى المشبه كما في ذهب الاصيل ولجين الماء وحاصل المعنى وامنع اللهم
او سكن وثوب نفسي واضطرابها لاجل الفقر وعدم الصبر بازمة القنوع
ولما كان الخرق اي الفقر منشأ نزق النفس وقلقها اضافه اليه والاضافة
مما يكفيه ادنى ملابسة كما في كوكب الخرقاء والمراد ازل واذهب شدة الخرق
مني بازمة القنوع واعطني لين العريكة باستعمال الرفق والخضوع
قد اجيبت دعوته ع هذه اذ لا خلاف بين الامة في انه كان ازهد اهل زمانه
طلق الدنيا ثلثا وكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان يفطر على جريش
الشعير من غير ادم وختمه لئلا يادمه الحسنان بسمن او زيت وكان اخشن
الناس ماكلا وملبسا ولم يشبع من طعام قط وكان يقول والله لدنياكم
هذه اهون من عراق خنزير في يد مجذوم وكان يقول يا دنيا يا دنيا اليك
عني ابي تعرضت ام الي تشوقت لا حان حينك هيهات هيهات غري
غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيك فعيشك قصير
خطرك يسير واملك حقير وهذا شيء اختص به ع لم يشاركه فيه غيره ولم
ينل احد بعض درجته وكان نعلاه من ليف وكان يرقع قميصه من جلد تارة

وليف اخرى وقل ان يأتدم فان فعل بالملح او الخل فان ترقى فبنبات الارض
فان ترقى فبلبن ومن كلامه ع وايم الله يمينا ابر فيها استثني فيها بمشية الله
لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت مطعوما وتقنع
بالملح مأدوما ولتلبسن الصوف لبوسا ولادعن مقلتي كعين ماء نضبت
معينها مستفرغة دموعها اتمتلي السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة
من عشبها فتربض وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد
السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية الى اخر كلامه وهو
مذكور في نهج البلاغة وعلى من انتسب بالزهد والقناعة اليه الهي ان لم
تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي اليك في واضح الطريق
الهي اي مالوهي ومعبودي او مفزعي وملجائي او من يسكن الله قلبي او من اليه
اتضرع في شدائدي والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود
بحق حيث لا يطلق على غيره نعم وان للشرط في الاستقبال وقد نص ارباب
البيان ان الاصل فيها ان لا يجزم بشيء من طرفي الشرط لكنها قد يستعمل
في مقام الجزم لنكتة قال صاحب التبيان قد يستعمل ان في الجزم اما للاحتياط
كما اذا سئل العبد عن سيده هل هو في الدار وهو يعلم انه فيها فيقول ان
كان اخبرك فيحتاط بالتجاهل خوفا من السيد واما التقرير وقوع الجزاء
وتحققه نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت

منك وعبارة الدعاء من هذا الباب والنكتة فيها اما الاحتياط واما تقرير
وقوع الجزاء وتحققه حيث علق انكار من يسلك به اليه تعـ في واضح الطريق
بعدم ابتداء الرحمة منه بجنس التوفيق فانه جازم بذلك وهو امر محقق عنده
كيف لا والهداية امر لديه وجميع اسبابه يعود اليه وهذا منه فرع الى
الطاف الله تعـ جريا على سنن الانبياء والاوصياء والصالحين في قصر نيل
الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر
عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه تعـ فكانه قال لا تحل بيننا وبين
انفسنا بمنعك التوفيق واللطف عنا فنعجز عن سلوك طريق معرفتك و
سبيل طاعتك وفي هذا الكلام دلالة على بطلان قول من قال بعدم مدخلية
توفيق الله وخذلانه في افعال العباد وهم المشهورون بالمفوضة اذ الانسان
بمجرد جده وجهده لا يصل اليهما فان وصوله اليه بالاجتهاد فان الجهد
وجده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط اخر وحسن
التوفيق عبارة عن استجماع جميع تلك الشرائط وسواء التوفيق عبارة
عن فقد انها كلا او بعضا والرحمة النعمة ومن ابتدائية اى الرحمة المبتدئة
من جنابك من غير استحقاق مني والاضافة اما بيانية او من اضافة الصفة
الى الموصوف اى بتوفيق حسن والتوفيق لغة جعل الشيء موافقا لاخر
وعرفا جعل الله تعـ فعل العبد موافقا لما يحبه ويرضاه وهو ان كان في

الأصل

الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة والشقاق ولذلك
قيده بان يكون حسنا لا قبيحا الا انه قد صار متعارفا في السعادة
فقط ولعل المراد بقولهم التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب الخير و
قيل هو الدعوة الى الطاعة والمال واحد والواحد مما لا يستغني الانسان
عنه في كل حال كما قيل لحكيم ما الشيء الذي لا يستغني عنه في كل حال فقال
التوفيق والمراد بتوفيقه تعـ له تسديده وتذكيره ولطفه به والهام
القيام بما اتاه من اداب الاوصياء واخلاق الاصفياء من صدق الانقطاع
اليه والتوكل عليه وقوة اليقين به واطمينان القلب بفضله فلم يلتفت
الى غيره ولا الى نفسه وهكذا من كان دائم المراقبة لربه مدققا للحساب على
نفسه قد قام معها على ساق مقام الخصم الالد عند الشقاق كان مستوجبا
للعصمة من ربه مطرحا لاشعة انوار لطفه ومحبته هذا ويقال سلكت
الطريق سلوكا من باب قعد اى ذهب فيه وفي القاموس سلك المكان
سلكا وسلوكا وسلكه غيره وفيه واسلكه اياه وفيه وعليه ويده في الجيب
واسلكها ادخلها فيه ولعله ضمنه معنى الهداية ولذا عداه بالى والسلوك
الى الله تعـ هو التقرب اليه بالاعراض عن الدنيا الدنية وحطامها وما فيها
ثم باتيان الفرايض على وجهها ثم النوافل فانها قربان كل تقي ثم بمراعات
الاداب والسنن ثم الصبر على البلايا والمحن وملازمة الذكر ومداومة الفكر

والتخلي عن الشهوات النفسانية والهواجس الشيطانية وجعل الهموم هماً واحداً
مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما يتعلمه شيئاً فشيئاً ومراقبة النفس
آناً فآناً الى ان يصير العلم عياناً بعد يقين ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين
ومنه الى حق اليقين وقد اشار اليه صاحب الدعاء جعلت له الفداء عند
ذكر السالك على ما هو المذكور في نهج البلاغة حيث قال قد احيى عقله
وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان
له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة
وثبتت رجلاه بطمانينة قلبه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه
انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه ويحتمل ان يكون المراد بابتداء الرحمة منه
تعم بحسن التوفيق اي التوفيق على السلوك اليه احداث الشوق في السالك و
احتياج قلبه وجذبه الى ارادته ومحبته والمواظبة عليه فان الشوق وهو
ادراك لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة يكون في حال
السلوك بعد اشتداد الارادة ضرورياً وربما كان حاصلاً قبل السلوك
وذلك اذا حصل الشعور بكمال المطلوب ولم يحصل له القدرة على السير وقلت
الصبر على المفارقة وكلما يترقى السالك في سلوكه كثر الشوق وقل الصبر حتى
يصل الى المطلوب فيتخلص حينئذ لذة نيل الكمال من الالم وينتفي الشوق كذا
افاد المحقق الطوسي في بعض رسائله والاضافة في واضح الطريق من اضافة

الصفة

الصفة الى الموصوف وفي الكلام استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه
العبادات والرياضات والمجاهدات الشرعية لسلوك الطريق ثم ذكر
المشبه به واريد به المشبه والمراد بوضوحه انه تعالى خلق الانسان بشراً
سوياً مكلفاً ونصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته واستحقاقه
الطاعة والعبادة لما ركب فيهم وفي غيرهم من عجائب خلقته وغرائب صنعته
وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهداية
لكن هذا الطريق على وضوحه مخوف وفيه مهالك ومواقع والسالك
فيه يحتاج الى العنايات الربانية والهدايات السبحانية فانه ما دام في سيره
الى الحق يكون مضطرباً غير مستقر الخاطر الخوف العاقبة وما يعرض في
اثناء السير والسلوك من العوارض العايقة كالانحراف عن القصد في عبادة
الله واستيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات
المألوفة فان هذه وامثالها قصد السالكين عن السلوك الى الله وهم على
خوف منها ومن خواطر الشيطان كما قيل السالك الى الله تعم خائف من
قطع الطريق من الشيطان وهو لا يأمن ان يأتيه من اي جهة امكن منها الاتيان
فليس للتخلص منه مساغ الا بان يلتجأ الى الله سبحانه ويسأله الحفظ من
جميع الجهات فاذا هب نسيم العناية الازلية وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانية
شوهد بنور القلب العيان وحصلت الراحة والاطمينان وزوال الخوف وظهرت

بتاثير الامن والامان كما سبق انفا فى كلام صاحب الدعاء جعلت له الفداء وهذا
المقام من مقامات اصحاب النهايات لا من احوال ارباب البدايات الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان اسلمتنى اناتك لقائد الامل و
المنى فمن المقيل عثراتى من كبوة الهوى يقال اسلم فلان فلانا اذا القاه فى الهلكة
ولم يحمه من عدوه وهو عام فى كل من اسلمته الى شيء لكن غلب عليه الالقاه فى
الهلكة ومنه الحديث انى وهبت لخالتى غلاما فقلت لا تسلمه حجاما ولا
صائغا ولا قصابا اى لا تعطيه لمن تعلم احدى هذه الصنائع والاناة على وزن
حصاة اسم من تانى فى الامر اذا تمكث ولم يعجل والمراد بها هنا الحلم وتاخير
العقوبة والاستدراج ولما كان الغرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى
كماله اقتضت عنايته سبحانه عدم معاجلة العباد بالعقاب والانتقام واخذهم
بالذنوب والمعاصى فى هذه الحيوة الدنيا ليراجعوا التوبة ويرجعوا الى
الانابة ولذلك انظرهم ببقاء الدنيا وامهلهم مدة حيوتهم فيها وقاد البعير جره
خلفه يقال قاد الدابة قودا من باب قاد وقيادا اذا تقدمها اخذا بقيادها
وهو خلاف السوق ومنه قائد الجيش لاميرهم كانه يقودهم وجمعه قادة
وقواد وقد يقال للدليل ايضا قائد بهذا الاعتبار ومنه القائد الغر المحجلين
والاضافة بتقدير من ولقائد الامل متعلق باسلمتنى ولعل اللام فيه بمعنى
الى واحتمال كونها لام التقوية للعمل بعيد فانها انما تزيد لتقوية عامل ضعيف

كالمصدر وشبهه فانه لكونه فرعا فى العمل عن الفعل ضعيف فاحتاج الى التقوية
والعامل هنا فعل متعد فلا حاجة له اليها فتامل والامل محركة الرجاء وحقيقته
ابتهاج النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم
وتقتضى عملا وقال بعضهم اكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله فان
من عزم على سفر الى بلد بعيد يقول املت الوصول اليه ولا يقول طمعت الا اذا
قرب منه فان الطمع لا يكون الا فيما قرب حصوله وقد يكون الامل بمعنى
الطمع والرجاء بين الامل والطمع فان الراجى قد يخاف ان لا يحصل مامولة
ولهذا يستعمل بمعنى الخوف فان قوى الخوف استعمل استعمال الامل وعليه
قول زهير ارجوا واملوا ان تدنو مودتها ومنشأ الامل الحرص على الاسباب
الدنيوية وجمع الهيئات الفانية وثمرته الاعراض عن الامور الاخروية المورثة
لا شقى الشقاء ولذلك قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء ان اخوف ما اخاف
عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق
واما طول الامل فينسى الاخرة بيان ذلك ان طول الامل توقع الامور
المحبوبة الدنيوية توجب دوام ملاحظتها ويستلزم دوام اعراض النفس
عن ملاحظة احوال الاخرة وهو مستعقب لانمحاء ما تصور فى الذهن
منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون هلاك الابدى والشقاء
السرمدى وقد ورد من الاثار والاخبار فى التحذير من طول الامل

والتّشفير عنه ما يضيق عنه دائرة الاحصاء ويقصر عن قطع مسافته قلم
الاستقصاء وكفى في ذلك قوله تعالى ربّما يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين
ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فنبّه على انّ ايثار التّلذّذ
والتّمتّع وما يؤدّي اليه طول الامل من اخلاق الكافرين لا من صفات المؤمنين
وعنه صلّى الله عليه وآله يا اباذرّ اياك والتّسويف بأملك فانّك بيومك
ولست بما بعده فان يكن لك غدٌ فكن في الغد كما كنت في اليوم وان لم يكن
غدا لم تندم على ما فرّطت في اليوم يا اباذر كم من مستقبل يوما لا يستكمله و
منتظر غدا لا يبلغه يا اباذر لو نظرت الى الاجل ومسيرة لابغضت الامل
وغروره يا اباذر كن كانّك في الدّنيا غريبا او عابر سبيل وعدّ نفسك
من اصحاب القبور يا اباذر اذا اصبحت لا تحدّث نفسك بالمساء واذا
امسيت فلا تحدّث نفسك بالصّباح وعن انس انّ النّبيّ صلعم خطّ
خطّا وقال هذا الانسان وخطّ الى جنبه خطّا وقال هذا اجله وخطّ
آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب وفي
خطبة لصاحب الدّعاء جعلت له الفداء واعلموا انّ الامل يسهي العقل
وينسي الذّكر فاكذبوا الامل فانّه غرور وصاحبه مغرور فنهى عن الامل
وبين شروره وضرره وفي حديث قدسي يا موسى لا تطوّل في الدّنيا
املك فيقسو لذلك قلبك وقاسي القلب منّي بعيد هذا ومن التّمنّي

قدره

قدره لانّ المتمنّي يقدّر حصول ما يتمنّاه والتّمنّي تشهّي حصول الامر المرغوب فيه
حصول ما يحتاج اليه من اهل ومال وادوات واسباب وحديث النّفس
بما يكون وبما لا يكون ومنه ما قال صاحب الدّعاء جعلت له الفداء لا
تتّكل على المنى فانّها بضائع النّوكى والاصل في من ان يطلب به الامر
الّذي يعرض لذي العلم فيفيد بتشخّصه الّا انّه هنا استعمل لمجرّد الاستبعاد
والاستنكار كما في قولك من ذا افعل كذا اي ليس لعثراتي مقيل دونك و
الاقالة التّجاوز عن الذّنب واصلها من اقال عثرته اذا رفعه من سقوطه
ومنه الاقالة في البيع لانّها رفع العقد ومنه اقيلوني فلست بخيركم
وعليّ فيكم وفي الحديث اقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم وفي رواية اخرى
ذوي المروّات واقالة العثرة استعارة للتّجاوز عن الذّنوب والعثرة
السّيّئة والخطيئة من عثر يعثر من باب قتل عثارا وبالكسر اذا كبا وسقط
لانّها سقوط في الاثم وقيل هي المرّة من العثار في المشي وهو الزّلّة ومنه العاثور
المكان الوعث الخشن لانّه يعثر فيه ومنه قول ابي يوسف يعقوب
المعروف بابن السّكّيت وكان من اكابر علماء العربيّة وعظماء الشّيعة وهو
من اصحاب الجواد والهادي عليهما السّلام في التّحذير من عثرات اللّسان
يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرّجل فعثرته في
القول تذهب راسه وعثرته في الرّجل تبرء عن مهل قيل فاتّفق انّ المتوكّل

العبّاسي الزمه تاديب ولديه المعتزّ والمؤيّد فقال له يوماً ايّما احبّ اليك
ابناي هذان ام الحسن والحسين فقال والله ان قنبر خادم علي خير منك
ومن ابنيك فقال المتوكّل للاتراك سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات
وهذا من غريب ما وقع منه رحمه الله هذا والكبوة العثرة ومنه الجواد قد يكبوا
ومن ابتدائيّة والاضافة من اضافة الصّفة الى الموصوف والهوى مقصور
وهو الّذي يميل اليه القلب من المحبوبات والمشتهيات هواي مع الرّكب
اليمانين مصعد والتّحقيق انّ الهوى ما يحكم الطّبع بملائمته ولا يراعي
فيه المال بل يخالف العقل والشّرع بمعونة الوهم والخيال فيختار العاجل
ولو كان باقيا فلا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله وفي الحديث ابغض
الله عبد في الارض الهوى والشّيطان وامّا من خاف مقام ربّه ونهى
النّفس عن الهوى فانّ الجنّة هي المأوى فغاص هو النّفس الّتي ما
اخر الاصله الهوى عن عقابه والمعنى ان ابقيتني اناتك وتاخير عقوبتك
وحملك الى قايد من جنس الامل والمنى يقودني ويجرّني الى حيث ما
يجرني فتكثر عثراتي فمن لمقيل عثراتي المتبدءة من الهوى الكائنة العاثرة
فشبّه النّفس الامّارة بالسّوء الميّالة الى الشّرّ بالشّخص الاعمى لجامع عدم
البصيرة والاهتداء الى طريق الصّواب استعارة بالكناية واثبات
القايد له تخييل واسناد الاسلام الى الاناة مجاز عقلي وتشبيه الاعلاط

التّاثير

النّاشئة من زلّة قدم النّفس بفعل المنهيّات وترك المامورات الموجبة
لكونها هيّنة بذلك مفتقرة الى الاقالة بالعثرات في المشي استعارة
مصرّحة او هو تشبيه للمعقول بالمحسوس وكذلك تشبيه الهوى بالنّاقة
الخالطة العاثرة مكنيّة اخرى واثبات الكبوة له تخييل اخر وهذه الفقرة
الجليلة من ادقّ الكلام وافصحه وفيها دلالة على انّ تعجيل بعض العقوبات
الدّنيويّة نعوذ بالله منه ومن موجباته لطف من الله على عباده يوجب
تنبّههم على سيّئات اعمالهم واعراضهم عن الدّنيا واقبالهم على الاخرة وانّ
تاخيرها استدراج ينشاء منه الامال والامانيّ وانّهما يقودان لصاحبهما
الى المهالك ثمّ يلقيانه فيها وادنى ما يترتّب عليهما نسيانه الاخرة وتاخيره
التّوبة واقباله على الدّنيا وامورها مستغرقا فيها الى ان يختطفه الموت
وهو غافل عنه غير مستعدّ له فتطول في الاخرة حسرته وندامته تذنيب
قوّة الفكر بين العقل والقوى والعقل فوقها والهوى تحتها فمتى ارتفعت
الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن واذا انصبّت و
مالت نحو الهوى صارت وضيعة فولدت المقابح ومن شان العقل ان
يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النّفس منه
في المبدا مؤنة ومشقّة والهوى على الضّدّ من ذلك فانّه يؤثر ما يدفع
المؤذي في الوقت وان كان يعقب مضرّة من غير نظر منه في العواقب

كالصّبى الرّمد الّذى يؤثّر اكل الحلوات واللّعب فى الشّمس على اكل الهليلج و الحجامة
ولذا قال ع حفت الجنّة بالمكاره وحفت النّار بالشّهوات وايضا فالعقل يرى
صاحبه ماله وعليه والهوى يريه ماله دون ما عليه ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولذا
قال ع حبّك الشّئ يعمى ويصمّ فعلى العاقل ان يتّهم رايه فى الاشياء الّتى هى له
لا عليه ويظنّ انّه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصى النّظر فيه قبل امضاء العزيمة
حتّى قيل اذا عرض لك امران فلم تدر ايّهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه
فاكثر الخير فى الكراهة قال تع عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال تع فعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولهذا قال الاحنف بن القيس كفى بالرّجل
رايا اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايّهما الصّواب ان ينظر اعجبهما اليه واغلبهما عليه
فيحذره هذا والانسان مع هواه ثلث احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيستعبده
كما قال تع ارايت من اتّخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا والثّانية ان يغالبه
فيقهره مرّة ويقهره مرّة واياه قصد بمدح المجاهدين وعناه صلّى الله عليه واله
بقوله وقد سئل ايّ الجهاد افضل جهاد هواك وقال ع جاهدوا اهواءكم
كما تجاهدون اعداءكم والثّالثة ان يغلب هواه كالانبياء والاوصياء وكثير
من صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد النّبىّ صلّى الله عليه واله بقوله ما من احد
الّا وله شيطان يتسلّط على الانسان بحسب وجود الهوى وان خذلنى
نصرك عند محاربة النّفس والشّيطان فقد وكلنى خذلانك الى حيث النّصب و

الحرمان

والحرمان خذله من باب قتل خذلانا ترك نصره واعانته فهو خاذل والاسم
الخذلان بالكسر والاسناد فيه وفى وكلنى مجازيان عقليان وفى الاوّل تجريد
فانّ الخذلان هو ترك النّصر كما سبق وخذلانه تع نعوذ به منه ان يترك المرء
نفسه لسوء استعداده وشناعة صنيعته فيمنع منه الطّافة الخاصّة وفيه دلالة
على مدخليته سبحانه فى افعال عباده بالتّوفيق والخذلان بحيث لا يصل الى حدّ
الالجاء والجبر فى شئ منهما فقول المعتزلة لا صنع لله اصلا فى فعل العبد
باطل والمحاربة مصدر من باب المفاعلة واقع بين اثنين فصاعدا يفعل كلّ
مع صاحبه ما يفعله هو به وهى من الحرب مستعارة من المجاهدة وهى الجهاد
الاكبر المشار اليه بقوله عليه واله السّلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر وهى مجاهدة النّفس الامّارة بالسّوء بشهوة البطن والفرج
والغضب وسائر الافات والعيوب وهى اعدى اعدو المرء يستحل بها عنك
كثير من النّاس فيامرهم بما يامرهم والمحاربة معها بالمجاهدة والرّياضة وتصفية
الباطن واركانها الجوع ثمّ السّهر ثمّ العزلة ثمّ الصّمت ثمّ ذكر الله تع وهو عند
اهل السّلوك كلمة التّوحيد والمحاربة مضافة امّا الى الفاعل او المفعول لى
محاربتهما اياى او محاربتى ايّاهما او محاربة كلّ مع الاخر على ان يكون المراد
بالنّفس النّفس اللّوامة او الملهمة وعلى الاوّلين الامّارة بالسّوء الميالة
الى الشّرّ فانّها فى حال الشّهوة بهيميّة وفى الغضب سبع وفى المصيبة طفل

وفي النعمة فرعون وفي الشبع تراها مختالة وفي الجوع محبوسة ان اشبعتها كربت
وان اصبتها صاحت وجزعت ومن ردائتها وجهلها انها اذا همت بمعصية
وانبعث لها شهوة لو تشفعت اليها بالله تعالى ثم برسوله وبجميع انبيائه
وكتبه ورسله والملائكة المقربين وتعرض عليها الموت والقبر والقيمة والجنة
والنار لا تعطي القيادة فلا تسكن ولا تترك الشهوة ثم انك لتستغلبها
بمنع رغيف واعطاء الرغيف فتسكن وتترك شهوتها فتعلم حسنها و
ردائتها وجهلها وغفلتها فاياك والغفلة عنها طرفة عين ابدا واعلم ان
المحققين على ان النفس الانسانية اي النفس الناطقة شيء واحد فاذا مالت
الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت
امارة وهذا في اغلب احوالها لالفها بالعالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا
خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي امارة
بالسوء وان كانت منجذبة تارة الى العالم العلوي وتارة الى العالم السفلي سميت
لوامة ومنهم من ذهب الى ان المطمئنة هي الناطقة بالعلوم والنفس الامارة
منطبعة في البدن يحمله على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة و
فيه ايماء الى قدرة العبد وكونها مؤثرة فيما يصدر عنه من الافعال والتروك
والالم يتصور منه المحاربة والمدافعة مع اعداء عدوها وخاصة في حال
تشكيمه وعتوه فقول الجبرية لا مؤثر في الوجود الا الله باطل فقد اشار عليه

السلام

السلام بهذا الكلام الى ان لا جبر ولا تفويض بل امر بين الامرين وقد فصّلنا
القول فيه في بعض رسائلنا المعمولة لشرح قوله ع وقد سئل عن معنى قولهم لا
حول ولا قوة الا بالله انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى
ملّكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا
من هنالك من اراد الوقوف عليه والشيطان وهو عدوك ومترصد صرف
قلبك عن الله حسدا لك عن مناجاته فيعال من الشطن وهو البعيد
لبعده عن الله تعالى او عن الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله لكونه ابعد من
اجله او فعلان من الشيط وهو البطلان والهلاك والاحتراق لانه
باطل في نفسه مبطل المصالحة ومصالح من ابطل من اجله هالك باللعنة
يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبنا عليه اذ راه يتقرب الى ربه
والالف واللام فيه للجنس فتدخل فيه جنوده ولو جعل للعهد جاز و
يدخل فيه جنده تبعا والمثبتون لوجود الشياطين اختلفوا في
حقيقتهم فالمتكلمون منهم قالوا هي اجسام شفافة تتشكل باي تشكل شاءت
وتقدر على الولوج في بواطن الحيوان وتنفذ في منافذها الضيقة
نفوذ الهوى المستنشق وظاهر بعض الاخبار يعضده وقال قوم هي
النفوس الارضية المدبرة للعناصر وقيل هي النفوس الناطقة الشريرة
المفارقة ابدانها وتتعلق بالنفوس الشريرة وتعاونها على الشر والفساد

وقيل هي نفوس مجرّدة تتصرّف بالتعلّق وتدرك بالدهي كرة الاصيل واوّل
به خلقهم من النار وقال جمهور الفلاسفة انّ الشيطان عبارة عن الوهم
المعارض للعقل وجنوده وسائر القوى التابعة له في معارضة العقل في
اشخاص الكفّار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه والوهم رئيس القوى
البدنيّة فهي اذن عند معارضتها ومتابعتها جنود ابليس وقيل قالوا
المراد بكونه خلق وقبيلة من نار انّ الارواح الحاملة لهذه القوى اجسام
لطيفة تتكون عن لطائف الاخلاط وهي حارّة جدا مائلة الى الافراط و
الناريّة والهوائيّة عليها اغلب وتولّدها عنها اسهل وهي احرّ اجزاء
البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان
لهذه القوى فلذلك نسبوا الى النار تذنيب فان قلت كيف يتصوّر المحاربة
بين الانسان والشيطان وهو لا يراه على العيان ولا يشاهده في المكان
قلت قد ظهر جوابه على مسلك الفلاسفة واما على طريقة المتكلّمين فمحاربة
الشيطان للانسان عبارة عن تسويله ووسوسته وتزكيته له ما حرّمه
الله عليه ودعوته الى ذلك رجاء ان يغلبه بذلك فيهلكه كما قال وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وحقيقة محاربته
انّ الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره ذلك فيحدث له ميل جازم يريد
الفعل على حصول ذلك الميل فمحاربته ذلك التذكير واجابته ذلك الميل

الذي

الذي هو من شان النفس ولذلك قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس
وذلك انّ الانسان اذا احسّ بشيء او ادركه يترتّب عليه شعوره بكونه ملائما
له او منافرا ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الترك وكلّ هذه
الاشياء من شان النفس ولا مدخل للشيطان في شيء من هذه المقامات
الا بان يذكره شيئا مثل انّ الانسان كان غافلا عن صورة امراة فيلقي الشيطان
حديثها في خاطره قال امين الاسلام الطبرسي في الاية المذكورة دلالة على
انّ الشيطان لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه عقاب
معاصيهم وانما عليه عقاب الدعوة فحسب ومحاربة الانسان للشيطان
عبارة عن كفّه نفسه عن اطاعته واجابته الى ما يدعوه اليه ويسوّله له
وذلك انما يكون بتوفيق الله وبصيرته على فعل الطاعة وترك المعصية
وعدم الالتفات الى ما يلقيه اليه الشيطان من خطراته فانه بذلك يقهره
ويغلبه ومما يطرد اللعين عن الانسان ذكر الله تعالى كما روي عن النبي صلعم
انّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان
نسي التقم قلبه والخطم من كلّ طائر منقاره ومن كلّ دابة مقدم انفه و
فمه وعنه ص انّ الشيطان ليجثم على قلب بني ادم له خرطوم كخرطوم
الكلب اذا ذكر العبد الله عزّ وجلّ خنس اي رجع على عقبيه واذا غفل
عن ذكر الله تبارك وتعالى وسوس وعن ابن عبّاس انّ الله تعالى جعل الشيطان

يجري من بني ادم مجرى الدم قيل وجريانه اما حقيقي فانه لطيف من نار لا
يمنع سريانه كالدم او مجازي لكثرة وسوسته وعلى هذا سد المجاري بالجوع
وقيل انه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فتصل الى القلب وقيل معنى
جريانه مجرى الدم انه لا يفارق ابن ادم مادام حيا كما لا يفارقه دمه وهذا على
ضرب المثل والجمهور حملوه على ظاهره قالوا ان الشيطان جعل له هذا القدر
من التطرق الى باطن الادمي بلطافة هيئته فيجري في العروق التي هي مجرى
الدم الى ان يصل الى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف ايمانه وقلة ذكره
وكثرة غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه الى باطنه بمقدار قوته
وتيقظه ودوام ذكره واخلاص توحيده وقيل ان ابليس قال يا رب
انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال جعلت
صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد لادم ولد الا ولد لك عشرة
فقال رب زدني فقال تجري منهم مجرى الدم فقال رب زدني قال اجلب
عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد فشكى ادم الى ربه
فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضا وسلطته
علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين
يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب
زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد

الروح

الروح في الحلق وفي الكافي بسند صحيح عن احدهما عليهما السلام قال ان ادم
قال يا رب سلطت علي الشيطان واجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا
فقال يا ادم جعلت لك ان من هم من ولدك بسيئة لم يكتب عليه فان عملها كتب
له سيئة ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له
عشرا قال رب زدني قال جعلت لك ان من عمل منهم سيئة ثم استغفر
غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى
يبلغ النفس هذه قال رب حسبي هذا وقوله فقد وكلني اي الجاني ومنه
وكلت امري الى فلان اي الجأته اليه واعتمدت فيه عليه كذا في نهاية ابن الاثير
وفي القاموس وكل الامر اليه وكلا ووكولا سلمه وتركه وحيث ظرف المكان
بمنزلة حين وهو ظرف الزمان ويجوز ان يكون مستعارا للزمان وهو على
المشهور بين اكثرهم مبني على الضم اضيف الى الجملة كما في قولك قعد زيد
حيث قعد عمرو ام الى المفرد كما في حيث النصب والحرمان اما على الاول
فلشباهته بالظروف والغايات في حذف المضاف اليه لان الجملة المضاف
هو اليها لما كانت مأولة الى المفرد كانت كانها محذوفة واما على الثاني
فلان اضافته الى المفرد لما كانت نادرة والنادر كالمعدوم حكما حكموا عليه
بالبناء واجروا عليه حكم الاغلب والاكثر خلافا لبعضهم حيث ذهب الى
انه في هذه الصورة معرب لانتفاء ما يوجب بناءه فعلى الاول حيث هنا مضموم

وعلى الثاني مجرور والنصب التعب ومنه فاطمة بضعة مني ينصبني ما
انصبها اي يتعبني ما اتعبها والحرمان مصدر حرمه الشيء حرمانا بالكسر
منعه والمحروم الممنوع من الخير ووجه ظاهر فان عداوة الشيطان للانسان
بالجبلة والذات فاذا وجد معاونا وهو النفس الامارة بالسوء غلب عليه
وظفر به وخاصة عند خذلانه تعالى وتركه نصره فياسره ويستعبده ويستخدمه
في مراداته المشاكلة لافعاله القبيحة واعماله السيئة وتصير تلك الاشياء عادة
للانسان وجبلة فيه وطبيعة ثابتة فيصير النفس الناطقة التي هي جوهرة
شريفة ودرة نفيسة شيطانية فيكون من الهالكين محشورة مع الشياطين
محترقة بنار الجحيم مشاركة لهم في عذاب الجحيم فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم

الهي اتراني اتيتك من حيث الامال ام علقت باطراف حبالك حين باعدتني
ذنوبي عن دار الوصال حرف النداء محذوف كما في يوسف اعرض عن هذا
يعني اخبرني يا الهي عن حالي هل اتيتك دون الامال وكلمة ام متصلة و
يكون لطلب تعيين احد الامرين وعلامتها ان يكون معادله الهمزة الاستفهام
كما في قولك ادبس في الاناء ام عسل ويجوز ان يليها الجملة والمفرد بخلاف
المنقطعة اي اخبرني اي الفعلين كان واقعا والهمزة لانكار الفعل اي لم يقع
شيء منهما ولكن ما كان ينبغي عدم وقوعهما وهذا معنى التوبيخ والتنبيه على
الخطاء لترتدع وتنزجر عما كانت تفعله فيما مضى فعلى هذا الاستفهام

يصير

يصير بمعنى التحقيق والتثبيت فان عدم وقوعهما امر ثابت محقق وانكار
بمعنى انه ما كان ينبغي ان يكون ما كان ويوجد في بعض النسخ لفظة لعل
قوله اتيتك وقوله باطراف حبالك والاظهر على هذه النسخة في مقام الاعتراف
بعدم رجوع النفس عن المعاصي والذنوب والاقرار بعدم انقلاعها عن
المساوي والعيوب وفي صدد توبيخها وتهديدها بانها مع كونها ذات
امال وذنوب لا تاتي الله لاجل الامال بل ياتي غيره ولا تعلق باطراف
حباله حين باعدتها ذنوبها عن دار الوصال بل لا ترجع ولا تتوب عما
صدرت عنها من الذنوب ولا تتنبه على قبائح اعمالها وشنايع اقوالها
وهذا من خصائص النفس الامارة واما على النسخة الاخرى فلعله
اشارة الى مقام النفس اللوامة بانها لا تاتي الله الا من جهة الامال
ولا ترجع اليه الا وقت البعد عن دار الوصال واما في غيرها تين الحالتين
فلا وهذا ايضا قبيح مذموم واجب تركه بل ينبغي عبادته والنظر مقطوع
عن جلب النفع ودفع الضرر كما اشار اليه علي خير البشر ما عبدتك خوفا
من نارك وطمعا في جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك و
الاولى ان يكون اصل الكلام صادرا عن اللوامة واللوم فيه متوجه
الى الامارة وكلمة من تعليلية مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا
فادخلوا نارا وقوله تغضي حياء ويغضى من مهابته وقوله يحرم من الرضاع

مايجر من التشبث اي لكان الامال والحبل الرباط والرسن والعهد والذمة
والامان والجمع حبال قوله تع فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى وانما اسند التعلق باطراف الحبال دون نفسها اظهارا للعجز و
القصور والمراد بها هنا التوبة والانابة والندامة على ما مضى وتهيئة ب
ترك المنهيات وفعل المامورات فيما ياتي من زمان التكليف فانها اسباب
اذا علق المذنب باطرافها توصله الى دار الوصال وتقربه الى من هو منتهى
الامال والدار محل يجمع البناء والعرصة ففي الكلام استعارة تصريحية
او تشبيه للمعقول بالمحسوس فان دار وصاله تع عبارة عن محل الزلفة
لديه حيث تناله غواشي رحمته وفضله وكرامته الدائمة التي لا يتغير صاحب
نعله القهر ولا يزول عنه بالستر والعفاف والحجاب وهو كناية عن القرب
منه والرفعة عنده بواسطة نيل الثواب تشبيها بالقرب المكاني وليس
المراد به الملاصقة في المساكن ولا بالوصال اتصال الشيء بالشيء كما توهمه
المجسمة ومن يحذو حذوهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد التبتل
الى الله والانقطاع الى الله والتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم
النور والانس بالله والوحشة عما سواه وتصيير الهموم هما واحدا وجعل
الفكر مستغرقا في اسرار الملكوت وقصر الحواس على اجتلاء انوار الجبروت
فان العارف اذا جلس متخليا بربه يلقى ذلك راحة لنفسه وفراغا للهمة

ودعة

ودعة لعقله وطمأنينة لقلبه ونورا مشرقا قد جلله وتاج بهاء مكللة وصار
جليسا للوتر وثار الخالقه ومفرحا على دار فخره ومنادما للمالك دار الفناء ودار
البقاء ومشرفا بحضرة سلطان السماء وهو شوق نفسه في اوقات البكاء
والدعاء اليه تع كما شوق نفس المريض الى العافية والشفاء والعطشان
الى لذيذ الشراب والماء قيل لراهب ما اصبرك على الوحدة قال انا جليس
ربي اذا شئت ان يناجيني قراءة كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وفي
كتاب التوحيد عن الصادق ع ان روح المؤمن لاشد اتصالا بروح الله
من اتصال شعاع الشمس بها وفي مصباح الشريعة عنه ع العارف
شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات
شوقا اليه والعارف امين ودائع الله وكنز اسراره ومعدن نوره و
دليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غني
عن الخلق والمراد والدنيا ولا مونس له سوى الله ولا نطق ولا اشارة ولا
نفس الا بالله من الله مع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف
فضله متزود والمعرفة اصل فرعه الايمان وعن العسكري ع من انس بالله
استوحش من الناس وعلامة الانس الوحشة من الناس وسئل الصادق ع
ما بال المتهجدين احسن الناس وجها قال لانهم خلوا بالله سبحانه فكساهم
من نوره وعنه ع عن ابيه قال كان فيما اوحى الله الى موسى بن عمران كذب

من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام يا ابن عمران لو رأيتنا الذين يصلون لي
في الدجى وقد مثلت نفسي بين اعينهم يخاطبوني وقد جليت عن المشاهدة
ويكلموني وقد عززت عن الحضور يا ابن عمران هب من عينك الدموع ومن
قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ثم ادعني في ظلم الليل تجدني قريبا
مجيبا وعن سيد الساجدين في مناجات المحبين الهي من ذا الذي ذاق حلاوة
محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي
فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى
لقائك وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك
واعذته من هجرك وقلاك وبوأته مقعد الصدق في جوارك وهذا الكلام
منه ع اشارة الى الجنة العقلية التي للمقربين وهي جوار الله وحضرته
المشار اليها بقوله سبحانه ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند
مليك مقتدر فلا يبعد ان يراد بدار الوصال هذه الجنة والمجاورة قال صاحب
عرائس البيان وصف الله سبحانه بقوله هذا منازل المتقين الذين اقبلوا
على الله بنعت المعرفة والمحبة وخرجوا مما دونه من البرية وتلك المنازل عالم
الشهادة ومقامات العندية جنانها وفرف الانس وانوارها انوار القدس
اجلسهم الله على بساط الزلفة والمداناة التي لا يتغير صاحبها بعلة القهر و
لا يزول عنها بالحجاب والستر لذلك سماه مقعد الصدق اي محل كرامة

دائمة

دائمة وقربته قائمة ومواصلة سرمدية وزلفة ابدية انتهى وسئل ابو جعفر
الشاشي من الغريب فقال الذي يطلبه رضوان في الجنة فلا يجده ويطلبه
مالك في النار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في السموات فلا يجده ويطلبه ابليس في
الارض فلا يجده فقال له اهل المجلس وقد تفطرت قلوبهم يا ابا جعفر فاين
يكون هذا الغريب فقال في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال بعض
العارفين من اصحابنا ان هؤلاء الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم
العقلية مقربين منه تعالى جالسين في مقعد الصدق تحت قبة الجبروت
لكنهم من جهة نفوسهم المطيعة لامر الله المسلمة لحكمه يسترحون في مراتع اللذات
ويتنعمون بنعيم الجنان فللارواح التي هي عقول بالفعل جنان معنوية
من المعارف والعلوم وللانفس جنان صورية من اللذات والشهوات
مثالها من طريق قواها الحسية العملية من اكل وشرب ونكاح وغيرها اجزاء
بما صبرت في الدنيا من لذاتها وحبست عنه قواها من شهواتها والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار هذا و
لما كانت الذنوب المبعدة عن دار الوصال من دواعي النفس الامارة بالسوء
ومشتهياتها البهيمية المسبغة من الكبر والحسد والغل والغرور
الحسد وحب المال والجاه وما شاكلها ذمها وفرع على الفقرة الماضية
قوله ع فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها فان الهوى مادام

متمكنا فى ارض النفس لا يمكن حسم مواد هذه الافات عنها راسا بل كلما دفعتها
عادت الى ما كانت اولا والا لزم تخلف المعلول عن علته التامة والمطية فعل
الذم والموصول بصلته صفة للمخصوص بالذم وهو المطية المحذوفة المعينة
بصفته للمطية المذكورة لان اللام فيها للعهد الذهنى وهى لواحد غير
معين يصير معينا بذكر المخصوص ففى الكلام تفصيل بعد الاجمال ليكون
اوقع فى النفس ومن هواها بيان للمطية المخصوصة بالذم فهو المخصوص به
حقيقة لانه لما قال فبئس المطية واجمل فكانه سئل عنها وقيل ما هى فقال
هى هوى النفس الذى امتطئته اى جعلته مطية لها تعطى بها فى السير
اى تمد وتسرع ولا تقف الى احد وهذا بعينه حال الهوى فانه سريع السير
مديد الذهاب جدا لا يقف موقفا اصلا ولذلك شبهه بالمطية تشبيها
والمطية الناقة التى تركب مطاها اى ظهرها يقال مطا اذا جد فى السير و
اسرع وهذا مقام النفس اللوامة والذم فيه يتوجه الى الامارة فدل الكلام
على انه ع كان ماقتا عليها نادما عما درت عنها من الذنوب تائبا عما
ارتكبه من المساوى والعيوب وهذا من اجل المقامات واشرف الصفات
واحسن السمات روى ان عابدا عبد الله سبعين عاما صائما نهاره
قائما ليله فطلب الى الله حاجته فلم تقض فاقبل نفسه فقال من قبلك اتيت
لو كان عندك خير اقضيت حاجتك فانزل الله اليه ملكا فقال يا ابن ادم

ساعتك

ساعتك التى ازريت فيها على نفسك خير من عبادتك التى مضت تذنيب
لو بيج النفس ومعاتبتها باب عظيم فى ابواب المرابطة فى سبيل الله فان للعارفين
فى سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمس المشارطة ثم المراقبة ثم
المحاسبة ثم المعاتبة ثم المعاقبة وضربوا لذلك مثالا قالوا ينبغى ان يكون
حال الانسان مع نفسه حاله مع شريكه اذا اسلم اليه مالا ليتجر به فالعقل
هو التاجر فى طريق الاخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بها فلاحها قد
افلح من زكيها فالعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة او يستسخرها فيما
يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه وكما ان الشريك يصير خصيما منازعا يجاذبه
فى الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه
رابعا فكذلك العقل يحتاج الى هذه المقامات الخمس الاول المشارطة و هى
ان يشارط النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويامرها بسلوك طريق
ويرشدها اليه ويحرم عليها غيره كما يشترط التاجر على شريكه الثانى المراقبة
وهى ان لا يغفل عنها لحظة فلحظة عند خوضها فى الاعمال ويلاحظها بالعين
الكالئة فان الانسان ان غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة
وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالث المحاسبة
وهى ان يحاسبها بعد الفراغ من العمل ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها
اولا فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب فى هذا اهم

من التدقيق في الرباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان
ترك مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان
كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى به كنز من
كنوز الاخرة لا يتناهى نعيمه ولا ينقطع مقيمه قالوا وينبغي للانسان ان
يخلو عقيب فريضة كل صبح بنفسه ويقول لها اى نفس ما لى بضاعة الا العمر و
مهما فنى فقد فنى راس مالى ووقع اليأس من التجارة وطلب الربح وهذا
يوم جديد قد امهلني الله فيه ولو توفاني لقلت ربي ارجعوني لعلي اعمل
صالحا فيما تركت فاحسب انك توفيت ثم رددت فاياك وتضييع هذا اليوم
والغفلة فيه الرابع المعاتبة والتوبيخ وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء
ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها
وطاعة خالقها فسبيل المعاتبة والتوبيخ ان يعد على النفس عيوبها ويذكر
لها ما هي عليه من الجهل في ارتكاب المعاصي وانحرافها عن سلوك سبيل الله
لتذل وتنكسر وتضعف سورة شهوتها وتستعد بذلك الى استنزال
رحمة الله تعالى ورافته قال بعض العارفين النفس شرود جموح فان اهملتها
لم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملائمة كانت نفسك
هي النفس اللوامة الخامس المعاقبة والمجاهدة وذلك اذا رأى نفسه قد
فارقت معصيته او همت بها فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها في الامور

المباحة

المباحة ويأخذ بالصبر عنها واذا راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل
وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها افنونا
من الطاعات جبر المافات وواها لها ما سولت لها ظنونها ومناها اى تلهفا
وتوجعا او تعجبا فان واها في الاصل من الاصوات الجارية على لفظ الانسان
ثم نقل الى باب المصادر ولزمته المصدرية من غير ان يصير اسم فعل فحكمه
حكم المصادر وهو للتعجب وفي الحديث من ابتلى فصبر واها قيل معنى هذه
الكلمة التلهف وقد توضع موضع الاعجاب بالشيء يقال واها له وقد ترد
بمعنى التوجع وقيل التوجع يقال فيه اها ومنه حديث ابى الدرداء ما
انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم ان تكن خيرا فواها واها وان تكن شرا
فاها اها وفي كتب الادبية في افعال التعجب واها كلمة تستعمل في التعجب
منصوبة على المصدرية ولم يجئ فعلها عند الاكثر وقال الجوهري تعجبت
من طيب الشيء فقلت واها له اى ما اطيبه والتسويل تحسين الشيء وتزيينه
وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله يقال سولت له نفسه كذا وسول
له الشيطان اغواه وفي التنزيل سولت لهم انفسهم ما كانوا يعملون وانما اسند
التسويل الى ظنونها ومناها ليدل بذلك على خستها وغرورها بانها تظن
امرا وتتمناه فيصير بذلك عندها محبوبا مستحسنا مقبولا فاستاثرته متعطلة
وهي على غير بصيرة ويقين منه فانها مثلا تتمنى البقاء في الدنيا ولا بقاء

فيها فيأخذ في تحصيل ما يحتاج اليه من اهل ومال وادوات واسباب وتؤخر
التوبة والاقبال على الامور الاخروية الى الكهولة ومنها الى الشيخوخة
وهكذا من وقت الى وقت ومن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر ومن سنة
الى سنة وهذا منها مجرد تسويل شيطاني وتغرير نفساني مستند الى
ظنونها ومناها فانها ليست على يقين من بقائها الى الكهولة فربما يأتيها
موتها من ساعتها بغتة فيختطفها وهي غافلة عنه غير مستعدة له مستغرقة
في الدنيا وامورها فتطول حسرتها وندامتها في الآخرة فهذا منها غريب عجيب
توقع هجوم الموت في كل ساعة فانك لا تدري متى الموت نازل فما عذر من
يلهو وقد شاب راسه وقد نفدت ايامه وهو غافل وتبا لها لجرأتها
على سيدها ومولاها التب النقص والخسار والقطع والهلاك تبت يدا
ابي لهب يقال تب يتب تبا فهو منصوب بفعل مضمر متروك الاظهار اي
تبت نفسي تبا لجرأتها بالاقدام على معصية سيدها والاحجام عن طاعته
فالمضاف محذوف واضافة الجرأة الى الضمير لقصد تعظيم شأن المضاف
فان تعظيم الذنب حال الاعتراف والاعتذار ادعى بقبول التوبة واما
اضافة السيد الى الضمير فاما للتهويل او تعظيم شان المضاف او اظهار التاسف
والتحسر على عدم اطاعته وانقيادا مره والتعبير عنه بانه سيده ومولاه
ادخل في المقصود والاضافة احضر طرق الموصلة اليه او للتشديد بانه ماكان

ينبغي

ينبغي للعبد ان يجترئ على سيده وسيما سيد السادات ومالك الملوك الذي
اوجده وانعمه نعمة ظاهرة وباطنة غير متناهية بل ان تعد وان نعمة الله لا تحصوها
والجرأة بالضم الشجاعة وهي جراءة القلب على الاهوال وربط الجاش في
المخاف وهي فضيلة بين التهور والجبن فالتهور هو الثبات المذموم
في الامور المخطئة والجبن هو الفزع من الامور المعطبة فان قلت كيف يجوز
على امام معصوم ان يسول به نفسه ويغلب عليه هواه الى ان يجترئ على سيده
ومولاه قلت هذا من باب تعبيرهم بالفعل عن مشارفته اي شارفت ان تسول
نفسي لا ان التسويل قد وقع فهو من قبيل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله اي شارفوا ان يتركوا ليصح وقوع
خافوا جزاء لانتفاء الخوف بعد الموت ومنه قول الشاعر الى ملك كادت الجبال
لفقده تزول وزال الراسيات من الصخر فان المراد شارفت الزوال لا
ان الزوال وقع وعلى هذا فلا بعد في ان يقال ان المعصوم لما كان في قالب
البشرية وجلباب ناسوتي وكانت له قوى حيوانية متجاذبة متداعية الى الشر
والضر شارفت ان تسول له المعصية والجرأة عليها وليس في ذلك ما ينافي
العصمة او يكون هذا من باب عدهم للاشتغال بالمباحات ذنبا واعتقادهم
كونه خطيئة مع ما فيه من كمال الخضوع والخشوع له تعالى والاعتراف بالتقصير
اذ كانوا لا يخرجون انفسهم عن حد التقصير ابدا في جميع الطاعات و

العبادات وسياتي فيه كلام البسط او يكون هذا من باب تعليمهم الامة و
الرعية كيفية الطاعة والعبادة والخضوع والخشوع هذا والمولى اسم يقع
على جماعة كثيرة والمراد به هنا اما الرب او المالك او المنعم او المعتق بالكسر او
السيد فالعطف تفسيري ولما تنبه لسوء حاله وشناعة ما له وذمائم افعاله
وقبائح اقواله واستشعر خوفا وندم عما كان منه وجع الى قرع باب الرجاء
والهرب من كثرة الاهواء فقال الهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي وهربت
اليك لاجيا من فرط اهوائي ما لي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت
فاي باب اقرع القرع الدق والضرب قرع نا قته ضربها بالسوط ومنه ولا
فيهم عيب غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ومنه من قرع الباب ولج
ولج ومنه ما ورد في الخبر متى تكثر قرع الباب يفتح لك والرجاء بالفتح و
المد حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع امر مطلوب مظنون حصوله
ويقال لجات الى فلان اذا استندت اليه واعتضدت به والفرط من افرط
في الامر اذا جاوز فيه الحد اي من كثرة اهوائي وتجاوزها الحد وبيد
رجائي متعلق بقرعت وفيه استعارة بالكناية وتخييل وكذا في تشبيه
الرحمة بالنفائس المصونة في دار مغلق بابها استعارة واثبات الباب تخييل
والقرع ترشيح والبواب الديار الفاتح لباب الرحمة هو المخاطب جلت
عظمته وعمت رحمته ومن فرط اهوائي متعلق بهربت والاضافة لامية

واليك

واليك متعلق بلاجيا وهو منصوب على الحالية من ضمير المتكلم اي وليت
عنه مستندا اليك ظهري ومعتضدا بك قهري فتشبيه الاهواء المفرطة
بالاعداء المهلكة والهرب منهم والالتجاء الى الله تع استعارة بالكناية
وترشيح وفيه دلالة على غالبية تلك الاهواء الطاغية ومغلوبية النفس
الضعيفة وافتقارها في الغلبة عليها وجعلها منقادة تحت قدم العقل
الى اعانة الله تع ونصرته والاعتصام بحبله وعلقت باطراف حبالك
انامل ولائي محقق اياك فالاضافة لامية والاستعارة مكنية وتخييلية
وترشيحية حيث شبه الولاء بالشخص الانساني ثم اثبت له الانامل والعلاقة
او عبوديتي او معتقبتي لك لانك منعمي تبرعا ولم يتيسر من ضمان جريرتي
وليس لي وارث سواك والانامل رؤس الاصابع وفيه وفي اسناد العلاقة
الى الاطراف نوع اشعار بالعجز والقصور كما سبق في نظيره والولاء بالفتح
اصله القرب والدنو ويطلق على ولاء العتق وهو تعرب احد الشخصين
بالاخر على وجه يورث الارث لغير نسب ولا زوجية وفي اطراف حبالك
استعارة تصريحية وترشيح او تخييل ولما اعترف لمساويه واقر بذنوبه
ومعاصيه ثم التجأ الى الله تع قارعا باب رحمته عالقا باطراف حباله وهو
تعالى حث على التوبة والندم وكتب على نفسه الرحمة والكرم فقال توبوا
الى الله جميعا ان الله هو التواب الرحيم ان الله يغفر الذنوب جميعا

فرع على ذلك قوله فاصفح اللهم عما كان من زللي وخطائي ايماء الى ان
الاعتراف بالذنوب والاقرار بالمعاصي والعيوب موجب لغفرانها سيما
لكنها باعث لسترانها ففي الكافي عن الباقر ع لا والله ما اراد الله من
الناس الا خصلتين ان يعترفوا بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرهم
وعنه ع والله ما ينجو من الذنوب الا من اقر بها وقال الصادق ع والله
ما خرج عبد من ذنب الا باقرار وفي الاقرار به خمس فوائد الانقطاع
الى الله وانكسار القلب وفيه من الفضيلة ما لا يخفى ان الله عند المنكسرة
قلوبهم وربما يحصل عنده رقة القلب وهي دليل الاخلاص وعنده يكون
الاجابة وربما كان سبب البكاء وهو سيد الاداب الخامس موافقة آل
الباقرين عليهما السلام والصفح العفو والتجاوز واصله من الاعراض
بصفحة الوجه كانه يعرض بوجهه عن ذنبه ومنه الصفوح في صفة
الله تع وهو العفو عن ذنوب العباد والمعرض عن عقوبتهم تكرما وقيل
الصفح هو ان تعرض عن الشيء وتوليه بصفحة وجهك وتبقى له اثرا ما
العفو ان تعفو فلا تبقي له اثرا وقيل العفو ان لا تؤاخذ والصفح الاعراض
وعلم الترتيب والاعراض فهو من حيث شموله لعدم تذكر الخيانة كان
ابلغ ولعله لذلك اثره عليه السلام والعفو ابلغ من وجه اخر وهو المحو
بالكلية من عفى الرسم اذا ذهب اثره ومنه رسم عفى من بعد ما قد انمحى وكلمة

ما عبارة عن الذنوب والمعاصي وكان تامة ولفظة من تعليلية اي عن الذنوب
التي وقعت وصدرت مني لاجل زلتي وخطائي ويحتمل ان يكون مبهمة مفيدة
للعموم مفسرة بمدخولها فلفظة من بيانية والزلل الخطاء والذنب فالعطف
للتفسير واصله من زلت القدم وانزلقت ولم يثبت ففيه استعارة مصرحة
او تشبيه للمعقول بالمحسوس وقال الزمخشري هو نوع من انتقال الجسم
من مكان الى مكان يقال زل عن مكانه زلا من باب ضرب نحي والاسم
الزلة بالكسر والزلة بالفتح المرة ثم استعير للزوال عن الحق والصواب
الخطاء مهموز بفتحتين ضد العمد وهو ان تفعل شيئا من غير ان تقصد
فعله ومنه رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل انه
العدول عن الصواب بان يريد غير ما يحسن ارادته فيفعله وهو المأخوذ
به او يريد ما يحسن فعله ولكن يقع له خلافه فهو ما يريد او يريد ما لا
يحسن فعله ويتفق منه فهو مخطأ ارادة مصيب فعلا فهو غير مؤ
يقصده غير محمود بفعله وقد يطلق على المعصية وان كان فاعلها متعمدا
من حيث انها ضد الصواب والخطئ الذنب والاثم يقال خطئ في دينه
خطاء اذا اثم فيه واقلني اللهم من صرعتي ردائي الصرعة بضم الصاد و
فتح الراء الذي يصرع الناس ولا يصرعونه وبفتح الصاد وسكون
الراء مصدر صرعه اذا رماه والقاه على الارض ومنه المصروع وهو

المخبل الفاسد العقل لمرض يعرض له في العقل والفكر فيورثه اضطرابا كالجنون
فيلقيه على الارض والعامة يزعمون ان الشيطان يخبطه فيصرع وبعضهم
يظنون ان الجن يمسه فيختلط عقله والرداء بالمد معروف وهو الثوب
او البرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه وفوق ثيابه شبه
به الخطيئة والذنوب والاثام والعيوب مبالغة في كثرتها واحاطتها
واشتمالها عليه وهو من قبيل قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
او اشعار الملزومها وعدم انفكاكها من باب خير ثلث صاحب الدعاء
جعلت له الفداء من اراد البقاء ولا بقاء فيخفف الرداء فالاستعارة تحقيقية
تصريحية او يكون من الردى بالقصر الهلاك كما يوجد في بعض النسخ و
اراد به هنا الوقوع في الاثم فانه يوجب الهلاك الابدي والشقاء السرمدي
والاضافة من اضافة الصفة الى الموصوف او لامية اي اقلني من ذنوبي
واثامي الصادر عني والاول اوفق بالفقرة الماضية والثاني بالتالية
وهي قوله انك سيدي ومولاي تعليل للدعاء وعزيز استدعاء للاجابة
فان العبد اذا جنى خطاء فتربيته على سيده ومولاه فكيف اذا كانت
الجناية بالاضافة الى المولى وتاكيد الجملة لغرض كمال القوة يقينية فانك
بحذف حرف الجر وهو قياس مطرد او يقال لما كانت مضمون الخبر عن
التردد والانكار حسن فيه التاكيد والقول بان المخاطب به هو الله تعالى

وهو لا يتردد

وهو لا يتردد في سيادته وفي سيادته ومولويته كيف وهو سيد السادات
ومولى الموالي مجاب بان امثال هذه الخطابات من قبيل اسمعي يا جاره
واكثر ما يخاطب الله به العباد مما فيه التاكيد من هذا القبيل وقد ذكر الزمخشري
وعبد القاهر ان له فوائد اخرى غير دفع الشك ورد الانكار منها الاهتمام
بمضمون الكلام وتقريره واظهار كمال العناية كما في انا فتحنا وانا اعطيناك
وكم مثلها والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة الرب والمالك والسيد والمنعم
والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد
والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه والاولى بالتصرف ومنه من كنت
مولاه فعلي مولاه اي من كنت اولى منه بنفسه فيضاف كل واحد الى ما
يقتضيه المقام وسياتي معنى السيد ومعتمدي لاني لا اعتمد الا بقولك
ولا اثق الا بصفحك واقالتك ولا التفت الى شيء من الوسائط بيني وبينك
فاوردت رجائي عليك مسترفدا افضالك متلبسا بالاعتماد على وفائك
بما وعدت الراجين لك من انجاح مطالبهم واسعاف ماربهم قال او من عرف الله
بجوده وكرمه وغناه وقصده ورجاه وعلامة رجائه رغبته في عبادته و
حبه لطاعته والاعتماد على فضله وخيره وعدم الالتفات الى غيره واليه
اشار بقوله ورجائي لاني لا ارجو الا فضلك والرجاء قيل ظن يقتضي
حصول ما فيه مسرة وقيل تعلق النفس بحصول محبوب في المستقبل وهو على

رجاء المغفرة مع علم التوبة عن السيئات ورجاء القبول الحسنات ورجاء التفضل
والمصدر بمعنى المفعول اى مرجو ففيه مبالغة كما فى قولنا انما هى اقبال وادبار وقوله
هواى مع الركب اليمانين مصعد فالمجاز لغوى ويمكن ابقاء المصدر بحاله على ما هو
حقيقته بجعل التجوز فى الاسناد وهو اوفق بما عليه ائمة المعانى حيث رجحوا
التجوز العقلى فى انما هى اقبال وادبار على المجاز اللغوى قالوا لم ترد بالاقبال
والادبار غير معناهما اللغوى حتى يكون مجازا فى الكلمة وانما المجاز فى ان
جعلها لكثرة ما تقبل وتدبر كانها تجسمت من الاقبال والادبار فهو سبحانه
لما كان حقيقيا بان يكون رجاء كل راج فى كل ما يرجو محسنا كان ام مسيئا فكانه
صار رجاء بحتا فالتجوز فى الاسناد وينبغى ان يكون الرجاء معادلا للخوف
كما ورد ان ليس من عبد مؤمن الا وفى قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو
وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا قال بعض الاصحاب
وذلك لان المؤمن لا يخلو من تصور اسباب الخوف والرجاء وتجويز
وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلا من الاخر بحيث لا يرجح احدهما على الاخر
اذ لو رجح الرجاء لزم الامن فى غير موضعه افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون ولو رجح الخوف لزم الياس الموجب للهلاك انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومنه ظهر ان الخوف غير القنوط
وانه والرجاء ينبغى ان يكونا متساويين مطلقا واما الرجاء الصرف البحت

تقم

فمنهم قيل لسيدنا الصادق سلام الله عليه ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصى
ويقولون نرجو فقال كذبوا اولئك ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت
بهم الامانى ومن رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه قال بعض العارفين
الرجاء والخوف كجناحى الطائر اذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه و
اذا انقص احدهما كان جاذبا له فسقط على رأسه فاذا ذهب هلك الطائر
وقال ابو عثمان المغربى من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه على
الخوف قنط ولكن ينبغى ان يخاف العبد راجيا ويرجو خائفا وغاية منى
وذلك ان لكل احد مطلوبا فى حوائجهم حتى ينتهى اليك فليس فوقك
مطلوب او يطلبون منك الحوائج بعد ياسهم عن المخلوقين وطلبهم منهم و
الحاصل ان الغاية تطلق على المدى والنهاية وعلى امتداد المسافة وعلى
الغرض والمقصود من الشىء وعلى الراية والعلامة وهذه العبارة تحتمل
وجوها الاول ان يكون الغاية بمعنى الغرض والمقصود اى هو جل وعز
مقصود من جعله مقصودا وذريعة من جعله ذريعة اى كل من له مطلب
وعجز عن تحصيله لسعيه يتوصل اليه به تعالى الثانى ان يكون المراد
بها النهاية اى الرب تعالى غاية امال الخلق يدعونه عند الشدائد باسمائه
العظام الثالث ان يكون المقصود انه تعالى غاية افكار من جعله غاية
وتفكر فيه لكن ذاته غير ما هو غاية افكارهم ومصنوع عقولهم اذ

غاية ما يصل اليه افكارهم ويحصل في اذهانهم موصوف بالصفات الزائدة الامكانية
وكل موصوف كذلك فهو مصنوع في منقلبي ومثواي في وقت رجوعي
عن الدنيا الى الاخرة بعد الموت وقراري في قبري او الجنة بعد الحساب او
بعد النجاة عن العذاب والمنقلب الانقلاب من السفر والعود الى الوطن
ومنه دعاء السفر اعوذ بك من كابة المنقلب وهو بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى
الانقلاب وهو الرجوع مطلقا اي مرجعي يعني انه تعتو في كل روح بعدما
فارق البدن الى وطنه الاصلي ومقامه الحقيقي وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون والمثوى المقام والمسكن والمنزل من ثوى بالمكان يثوي اذا
اقام فيه والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى
لهم والله يعلم منقلبكم ومثويكم والجار بمجروره اما متعلق بكل من الفقرات
الثلث او مقصور على الاخيرة منها اي انت غاية مناي في انقلابي من سفري
هذا واقامتي في جوارك ودارك ولما طلب منه عز اسمه الصفح عن ذنوبه والاقالة
من صغير عيوبه ورام الاقامة في جواره وදياره وكان الوهم يزاحم العقل في
ذلك زعما منه انه يطرده ويرده ويجتنبه عما قصده استبعد منه ذلك فقال
الهي كيف تطرد مسكينا التجأ اليك من الذنب هاربا الاصل في كيف ان يسأل
به عن حال اي عن كيفية الشيء وصفته التي هو عليها وهي هنا للاستفهام
لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية بل بمعنى

انكار

انكار الوقوع والتعجب منه كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله و
عند رسوله الاية وفي توجيه الانكار الى كيفية طرده تعالى المسكين الملتجي
اليه من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفس طرده بان يقال اتطرد مسكينا التجأ
اليك لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انتفى
جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وهي اعني كيف
في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف اي على اي حال او في اي حال
وهي صفة تطرد مسكينا والطرد الدفع والابعاد طردت الرجل طردا اذا ابعدته
فهو مطرود وطريد وطردته اي دفعته والمسكين من المسكنة وهي الذلة
والافتقار وهو مفعيل من السكون ويطلق على من لا كسب له ولا مال يفي
بمؤنته وهل هو اسوء حالا ام الفقير خلاف والحق انه اسوء حالا لما ورد
في الصحيح عن ابي عبد الله الصادق ع انه قال الفقير الذي لا يسأل الناس و
المسكين اجهد منه والبائس اجهدهم والمراد به هنا من لا حسنة له ولا
قدرة له على كسب حسنة بل هو مغمور في بحار الذنوب مستور في حجب العيوب
فهو اسوء حالا من الفقير ولذا اثره عليه وفي الكلام استعارة تحقيقية
تصريحية او استعارة تمثيلية وجملة التجأ اليك منصوبة محلا صفة له
والالتجاء الاستناد والاعتضاد تقول لجأت الى فلان والتجأت وتلجأت
اذا استندت اليه واعتضدت به اي التجأ الى رحمتك ومغفرتك وعفوك

وصفعك بحذف المضاف وهارباً حال من ضمير الفاعل ومن الذنوب متعلق به
والهرب الفرار وهما مترادفان وفرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها
الفرار من بعض اثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال
حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا الآية فكانهم لم يروا الا الله تعالى وافعاله ففروا من
بعضها الى البعض الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في
درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعض
الى البعض كما ورد عن زين العابدين ع اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته
بتجاوزك عن مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والسخط
والعفو صفتان فاستعاذ باحدهما من الاخرى الثالث ان يترقى عن
مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجأ
من الله الا اليه وكالوارد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك
ولك واليك اي منك بدؤ الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك
رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجى ولا مفر منك الا اليك وقد
جمع الرسول ص هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى فاسجد واقترب
فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بك منك فاستعاذ اولا ببعض افعاله من بعض ثم ترقى الى

مصادرها

مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته من بعض ثم يترقى الى ملاحظة
الذات فاستعاذ به منه فهذه ثلث مراتب للفرار الى الله تعالى والمرتبة
الثالثة هي اول مقام الوصول الى ساحة العزة ثم للسباحة في لجة الوصول
درجات لا يتناهى كذا نقل عن بعض العارفين ولا يخفى ان ما نحن فيه
من القسم الاول اذ المراد انه فر من عقاب الذنوب وهو اثر الغضب الى
كنف حمايتك وهو اثر الرحمة فتامل وعلى هذا التقدير فكلمة من ابتدائية
والمضاف محذوف اي هرب من عذابها او خوفها اليك وهذا التقدير
متحتم اذ لا معنى للهرب من ذات الذنوب فان قلت هلا حملت من على
معنى التعليل ليكون المعنى هرب اليك من اجل الذنوب قلت يعين كونها
ابتدائية مقابلتها بالى قال الرضي وتعرف من الابتدائية بان يحسن في
مقابلتها الى نحو تبرأت من فلان الى فلان على انه قال من التعليلية نحو لم
اتك من سوء ادبك كانها ابتدائية لان ترك الاتيان حصل من سوء الادب
انتهى وتشبيه الذنوب بالعدو الغالب الجامع للاهلاك والاضرار
مكنية والهرب منه الى الله ترشيح ثم انه ع التفت بعدما استبعد من التكلم
الى الغيبة حيث لم يقل كيف تطردني تفننا في الكلام واستعطافا بالمسكنة
والذلة واشعارا بان المسكين الملتجي لا ينبغي طرده فهو على طريقة قوله
الهي عبدك العاصي اتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا فان تغفر فانت لذلك

اهل فان تطردني فمن يرحم سواك فاني في ذكر المسكنة وكذا الاسترشاد والضمائر
من استحقاق الرحمة وترقب الشفقة ما ليس في تطردني وتخيبني وتردني وهو
ظاهر ام كيف تخيب مسترشدا قصد الى جنابك ساعيا خاب يخيب خيبة حرم و
خيبه الله لم ينل ما طلب وفي المثل الهيبة الخيبة ويقال خيبة لزيد بالرفع والنصب
دعاء عليه ومنه الحديث خيبة لك ويا خيبة ويا خيبة الدهر والرشد بالضم و
السكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة وقال الواحدي الرشد
اصابة الخير وهو خلاف الغي ومنه ارشاد الضال اي هدايته الطريق وتعريفه
وقال الراغب الرشد عناية الهية تعين الانسان عند توجهه في اموره فتقويه
على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده واكثر ما يكون ذلك في الباطن نحو قوله تعالى
ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالمسترشد من يطلب الرشد و
الهداية ساعيا وجاهدا فهدايته على الله تعالى واجب لقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقصدت الشيء وله واليه من باب ضرب طلبته بعينه
وقصدت قصده نحوت نحوه والجملة في محل النصب على الوصفية والسعي العدو
والمبالغة في الذهاب والمشي والكد فيه والجد والتصرف في كل عمل ويعدى
بالمعنى الاول بالى والمعنى الثاني باللام وفي محكم اللغة السعي الكسب وكل عمل
من خير او شر سعي وقال الفيومي في المصباح اصل السعي التصرف في كل عمل و
عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وساعيا منصوب على الحالية او

التميزية فتشبيه المخاطب جل عن ذلك بالملك الكريم المنيح النعيم استعارة بالكناية
واثبات الجناب وهو الفناء والرحل والناحية له تخييل او ترشيح والمراد انه
نزه سره عما يشغله عنك وتبتل بشراشره اليك لترشده مراشد الحق واليقين
وتنظمه في سلك الاولياء والمتقين ام كيف ترد ظمآنا ورد الى حياضك
شاربا الرد المنع يقال رده عنه ردا وهو كناية عن الحرمان ومنع المعروف
ومنه رد السائل اذا حرمه ولم يعطه شيئا والظما شدة العطش ومنه
قول القاضي عبد العزيز الجرجاني يقولون لي فيك انقباض وانما راوا رجلا
عن مورد الذل احجما اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ولكن نفس الحر
تحمل الظما والظمان كالعطشان وزنا ومعنى ويقابله الريان وفيه استعارة
تحقيقية تصريحية حيث شبه العاصي المحتاج الى الرحمة والمغفرة بالظمان
ثم ذكر المشبه به واريد به المشبه ويقول وردت الماء اورده ورودا اذا
حضرته لتشرب ويقال ورد زيد علينا اي حضر واصل الورود بلوغ الابل
الماء وموافاتها اياه ثم استعمل في غيره مجازا قال في الاساس ورد عليه امر
لم يطقه واوردت على ما غمني وهذا يدل على انه مستعمل بعلى فلعله ضمنه
معنى التوجه فعداه بالى والحوض معروف وهو ما يجتمع فيه المياه وحياضك
بحذف المضاف اي حياض رحمتك وعفوك ومغفرتك ففيه استعارة
بالكناية وتخييل والورود ترشيح وشاربا منصوب على الغائية اي لتشرب

او الحالية اى قاصد للشرب كما قالوا انظير مخى قوله تعـ فتبسم ضاحكًا وهو ايضا
من ملائمات المشبّه به **تذنيب** كلمة ام متّصلة لطلب التّصور وتعيين احد
الامرين مع العلم بثبوت اصل الحكم وعلامتها ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام
وقرينة لها كما فى قولك ادبس فى الاناء ام عسل ويجوز ان تليها الجملة والمفرد
ومنقطعة لطلب التّصديق ولا تليها الّا الجملة وهى كبل فى الاضراب عن
الاوّل ومثل الهمزة للشكّ فى الثّانى والواقع قبلها امّا خبر كقولك انّها
القطيعة الّتى هى اراها الابل ام شاة فانّك لما علمت انّها ليست بابل اعرضت
عن هذا الاخبار ثمّ شككت فى انّها شاة او شيء اخر فاستفهمت عنها بقولك
ام شاة اى بل هى شاة وامّا استفهام كقولك ازيد عندك ام عمرو اى بل عمرو
حين يقصد الاضراب عن الاستفهام الاوّل بالاستفهام الثّانى وما نحن
بصدد بيانه من هذا الباب لانّ كلمة ام فيه منقطعة لانتفاء همزة الاستفهام
والجملة الواقعة قبلها استفهاميّة فيكون للاضراب عن سؤال الى اخر
وذلك انّه لما عنّ له انّ الله تعالى لا يطرد الهاربين اليه قصد الاضراب عنه
الى الاستفهام الثّانى ثمّ لما ظهر له انّه اعزّ اسمه لا يخيب المسترشدين القاصدين
الى جنابه اضرب عنه ثانيًا فاستفهم ثالثًا ثمّ لما علم انّه جلّ جلاله لا يرد الشّاربين
الواردين الى حياضه انكر ذلك ايضا بقوله كلّا وحياضك مترعة فى ضنك
المحول حاشاك وسبحانك وانزّهك عن ان اصفك بهذه الصّفات او انسبك

الى تلك

الى تلك السّمات فانّها صفات واجب تنزيهك عنها وكلّا ردع فى الكلام وتنبيه
وزجر ومعناه انته لا تقل انّه تعالى متّصف بها ومنسوب اليها فهو ردّ على
من وهم اتّصافه تعـ بها كما سبق اليه الايماء الّا انّه لما اضرب عن الاوّلين
خصّ الانكار بالثّالث ولذا قال وحياضك مترعة مملوة ومنه قوله فيا قبر
معن كيف واريت جوده وقد كان منه البرّ والبحر مترعا واترعت الحوض ملأته
والضّنك الضّيق مصدر يستوى فى الوصف به المذكّر والمؤنّث ومنه
قوله تعـ ومن اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكًا ضيّقًا والاضافة من باب
جرد قطيفة واخلاق ثياب والمحول كالفحول جمع محل وهو الجدب وفى
الاصل انقطاع المطر ارض محلّ وزمن محل وماحل والحاصل انّه كيف اصفك
بهذه الصّفات وحياض جودك وكرمك مملوّة من مياه العفو والاحسان
والرّحمة والغفران فى سنهات مجدبة مقطوعة المطر منبته الغيث ففى
الكلام استعارة تمثيليّة او استعارة مكنيّة وتخييليّة وترشيحيّة حيث شبّه
الجود والفضل والكرم والرّحمة والمغفرة والنّعم والمغفرة والنّعم بحذف المضاف
بالمياه ثمّ اثبت لها الحوض والاتراع لبشارة هذا الكلام منه اشارة الى انّ
خزائن رحمة ربّه جلّ وعزّ لا تنفد وبحار مغفرته وفضله لا تنزف فاستوسع
ايّها المذنب العاصى والمدبر اللّاهى رحمة ربّك تعـ ولا تقنط من رحمته ومغفرته
انّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم انّه يغفر الذّنوب جميعًا انّه هو

العفوو الرحيم وورد في الخبر عن سيد البشر عليه واله السلام الملك العلام عدد قطرات
المطر انه قال ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى
ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه بان تقول تطاولت لها تشاورت و
حرصت عليها حتى ابديت واظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني وفي
الكافي عنه عليه واله السلام لولا انكم تذنبون وتستغفرون الله لخلق الله خلقا
حتى تذنبوا ثم ليستغفروا الله فيغفر لهم ولكن لا بد لمن يرجوها من عمل خالص معد
لحصولها بترك الانهماك في المعاصي الا بل لهذا الاستعداد ولا تنظر الى حال
الانبياء والاوصياء والاولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر في
العبادات ليلهم ونهارهم اما كانوا يرجون الله عفوه ورحمته واحسانه و
مغفرته بل انهم كانوا اعلم بسعة رحمته وارجى لها ولكنهم علموا ان رجاء
الرحمة من دون سابقة العمل غرور محض وسفه بحت فصرفوا في العبادات
اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم فاياك ان يغرك الشيطان و
تثبطك عن العمل ويقنعك بمحض الرجاء ومجرد الامل وقد عرفت ما قيل لسيدنا
الصادق ع وما قال صلى الله عليه واله في جوابه فتذكر واعلم انه قد جاء في
الخبر عن الصادق ع ان الله تعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليلة في
الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل فيامره فينادي هل من سائل فاعطيته
سؤله هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له يا طالب الخير اقبل

ويا طالب الشر اقصر فلا يزال ينادي بها حتى يطلع الفجر فاذا طلع عاد الى
محله من ملكوت السماء حدثني بذلك ابي عن جدي عن ابائه عن رسول الله
صلى الله عليه واله والى ذلك اشار عليه السلام بقوله وبابك مفتوح للطالبين و
الوغول الباب مدخل الشيء واصله مداخل الابنية كباب المدينة والدار
ثم تجوز فيه فاستعمل فيما يتوصل به الى الشيء ومنه انا مدينة العلم وعلي بابها
يعني به يتوصل اليه وابواب المغفرة هي الاسباب التي بها يتوصل اليها
اي باب رحمتك وفضلك واحسانك وجودك وامثالك بحذف المضاف
ففيه مكنية وتخييل وترشيح او تشبيه المخاطب جل طوله وعم نواله بالمنعم الجواد
المحسن الكريم فاثبت له باب مفتوح لطلب الطالبين ودخول الراغبين ليستفيضوا
من كرمه وينتفعوا من نعمه جلت نعماؤه وعظمت الاؤه او يقال الباب تعم عبارة عما
يتوصل به الى تحصيل نعم من الاسباب اذا كان الباب في الاصل كما سبق مدخل
الدار الذي يتوصل الى البهائم استعير لكل ما يتوصل به الى شيء وذكر الفتح
تخييل او ترشيح ويشبه ان يكون هذا جوابا عما يقال من اين علمت انه لا يطرد
المسكين ولا يخيب المسترشد ولا يرد الظمآن فقال لان بابه مفتوح للداخلين
وجوده مباح للطالبين هر كه خواهد كو بيا و هر چه خواهد كو بكو كبر و دار و
حاجب و دربان درين دركاه نيست قال محمود الوراق شار الملوك وقصورهم
وتحصنوا من كل طالب حاجة او راغب فارغب الى ملك الملوك ولا تكن بادي

الضراعة طالباً من طالب حكي ان رجلاً قال لرابعة العدوية اني قد عصيت الله
افترينه يقبلني ان انا انبت قالت ويحك انه يدعو المدبرين عنه فكيف لا
يقبل المقبلين عليه والوغول الدخول في الشيء ومنه حديث المقداد فلما ان
وغلت في بطني اي دخلت وقد وغل يغل وغولاً وانت غاية المسؤل ونهاية
المأمول اي كان جمع سائل كالقعود والجلوس والفسوق جمع قاعد وجالس و
فاسق فالمراد انه تع غاية سؤال السائلين بحذف المضاف ونهاية امال
الاملين على ان يكون المفعول بمعنى المصدر كالمفتون في قوله تع بايكم المفتون
وان كان مصدراً كالغلول والغموس والحدوث فهو بمعنى المفعول كالخلق
والعكس ويوجد في بعض النسخ المسئول على هيئة المفعول وهو الاظهر والتوجيه
الفريقان والمراد كما سلف ان لكل احد في حوائجهم مطلوباً حتى ينتهي اليه تع
فليس فوقه مطلوب فهو الغاية والنهاية وهذا وان كان خبر لفظاً الا انه
انشاء معنى اي ينبغي لكل احد ان يجعل الله تع غاية مطالبه ونهاية ما دبر بان
ينوي مثلاً باكله وشربه ولبسه وجماعه الى غير ذلك تقوية جسمه على
عبادة الله من حيث انه مستحق للعبادة ولو قال في اول نهاره اللهم ما عملت
في يومي هذا من خير فهو لابتغاء وجهك وما تركت فيه من شر فتركته نهيك
عنه وبارك ذهل عن النية في بعض الافعال او التروك وكذا يقول
في اول ليله وتجري نية اعمال متصلة في اولها ولا يحتاج الى تجديدها لا فرادها

وان كان

وان كان كل واحد منها مباين الصاحبه كالتعقيب الواقع بعد النية وبالجملة
كلما كان لله سبحانه من الافعال والتروك حتى المباحات لو قصد فيها الله
تعالى وفعل توصلاً الى عبادته فهو تع غايته ولما كان الله عز اسمه مدخلية
في كل شيء جواهره واعراضه التي هي من فعله او من فعل العباد من حيث الخلق
والاقدار والتمكين والحكم والامر والنهي كان كل شيء صالحاً لان يكون
الله تع غايته فالاعتبار انما هو بالقصد والملاحظة وبهذا التقرير يظهر ان
الالف واللام في المسئول والمأمول للاستغراق الافرادي ويحتمل ان
يكون المراد كما سبق انهم يطلبون منه تع حوائجهم بعد يأسهم عن المخلوقين
قال زرعة بن محمد كان رجل بالمدينة وكانت له جارية نفيسة فوقعت في
قلب رجل واعجب بها فشكى ذلك الى ابي عبد الله ع فقال تعرض لرؤيتها
وكلما رايتها فقل اسئل الله من فضله ففعل فما لبث الا يسيراً حتى عرض
لوليها سفر فجاء الى الرجل فقال يا فلان انت جاري واوثق الناس عندي
وقد عرض لي سفر وانا اود على فلانة جاريتي لتكون عندك فقال
الرجل ليس امرأة ولا اسعى في منزلي امرأة فكيف يكون جاريتك عندي
فقال اقومها عليك بالثمن وتضمنه لي ويكون عندك فاذا انا قدمت فبعنيها
اشتريتها وان نلت منها نلت ما يحل لك ففعل وغلظ عليه في الثمن وخرج
الرجل فمكث عنده وصعه ما شاء الله حتى قضا وطره منها هذا ولما تنبه

النفس في جموحها بالناقة واثبت لها الازمة وهي امر محسوس مشاهد جعلها
مشارا اليها بالاشارة الحسية فقال الهي ازمة نفسي عقلتها بعقال مشيتك
هذه مبتدا وازمة نفسي خبره وعقلتها جملة مستانفة كان المخاطب عز اسمه قال بأي
شيء عقلتها حتى تسكن وتنقاد لك في امر دينك ودنياك قال عقلتها بعقال
مشيتك او هذه مبتداء وازمة نفسي بدل منه وعقلتها بعقال مشيتك
خبره والعقل الشد والحبس والمنع عقل البعير يعقل عقلا شدّ وظيفه
الى ذراعه ومنه العقل لانه يعقل العاقل ويمنعه عن ارتكاب الامور التي
لا ينبغي ارتكابها والعقال الحبل الذي يعقل به البعير ومنه قوله ربما
تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال واضافته الى المشية اضافة
اللجين الى الماء او بيانية او لامية بتشبيه المشبه لتشخص له عقال يعقل
الجموح ثم لتشبيه النفس بالبعير الجامح استعارة بالكناية والازمة والعقل
والعقال كلاهما من ملائمات المشبه به وقد سبق ان في العدول عن الزمام
الى الازمة ايماء لطيف الى انها لا يكفي لها زمام واحد بل لا بد في انقيادها
واطاعتها من ازمة متعددة هي تسليط القوة العقلية على القوى النفسانية
المتضادة واهوائها المتنازعة المتداعية الى الشرور والغرور وجعلها
منقادة تحت قلم العقل وذلك انما يحصل بدوام الذكر والفكر وقصر النظر
في عواقب الامور والنيل عن دار الغرور والتوصل الى عالم النور كما هو من

شان صاحب الدعاء ومن في مرتبته سلام الله عليهم وعقل زمامها بعقال مشية الله
كناية عن تفويض امرها اليه والتوكل في اصلاحها عليه والتبتل عن غيره والذهاب
لبتر اشره اليه وفيه دلالة على انها امارة بالسوء ميالة الى الشر لولا ان تداركها
رحمة من الله والطائفة الخاصة فنفوسهم الجبر مدفوع والمشية لها معنيان احدهما
متعلق بالمشي وهو من صفات الذات قديمة هي نفس ذاته سبحانه وهي كون
ذاته بحيث يختار ما هو الخير والصلاح وهي نفس علمه الحق بالمصالح والخيرات
وثانيهما متعلق بالمشاء وهو من صفات الفعل حادث بحدوث المخلوقات ولا
يتخلف المخلوقات عنه وهو ايجاده سبحانه اياها بحسب اختياره وليست زائدة
على ذاته تعالى وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما يحدث بحدوث المنتسبين وهذه
اعباء ذنوبي درأتها برحمتك اي باشر اليها اشارة عقلية او حسية فهو امر
مبهم تفسره الاعباء فصحة الحمل وافادته باعتبار ابهام الموضوع وتعين المحمول
كما في هذا زيد والحاصل انه لما شبه الذنوب بما له ثقل وحجم يحتاج الى
فراغ ليشغله اخترع له الاعباء وهي امر محسوس مشاهد فجعلها مشارا اليها
بالاشارة الحسية وعلى قياس ما سبق والعباء ضرب من الاكسية الواحدة
عباءة وعباية وقد يقع على الواحد لانه جنس فالاعباء اما جمع او جمعه
المراد بها هنا صحائف اعمال ففيه استعارة تحقيقية تصريحية او هذه
اشارة الى الصحائف وهي المشبه والاعباء بحذف اداة التشبيه هي المشبه به

والاضافة لامية اى صحائف اعمالى كاعباء الذنوب فيكون من تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه الحجة بالشمس وتشبيه الذنوب وهى الاعراض العقلية بالذات المالية للمكان ثم اثبات الاحيار لها وهى الاعباء مكنية وتخييل والقول بتجسم الاعمال على تقدير ثبوته انما هو فى النشاءة الاخرة ولعله تعالى نشير بذلك الى قوله تعالى وكل شيء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقد ورد فى الخبر ان لكل انسان معه ملكان بين كتفيه قلمهما لسانه ودواتهما فمهما ومدادهما ريقهما وصحيفتهما فؤادهما فيكتبان عمله الى موته وبرحمتك متعلق بالمنفية كان المخاطب جل قدره قال لما يفعل وهذه الذنوب الكثيرة وان عذابى لشديد قال ادرأتها السابقة غضبك والباء اما سببية او للاستعطافية والدرء الدفع ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات و الحديث الاخر اللهم ادرء بك فى نحورهم ويمكن ان يكون هذه اشارة الى الصفات الذميمة والاخلاق الردية الحالة او الملكة فى النفس فان كلما يدركه الانسان بحواسه يرتفع منه اثر الى روحه ويجتمع فى صحيفة ذاته وخزانة مدركاته وكذلك كل مثقال ذرة من خير او شر يعمله يرى اثره مكتوبا بثمره وخاصة ما رسخت بسببه الهيئات وتاكدت به الصفات وصار خلقا وملكة فان ذلك مما يوجب خلود الثواب والعقاب لكل انسان نفسه صحيفة اعماله وهو كتاب مكتوم اليوم عن مشاهدة الابصار

برحمتك م

وانما يكشف

وانما يكشف بالموت ورفع ما تورده الشواغل الحسية المعبر عنها بقوله واذا الصحف نشرت فاذا حان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسر علانية والخبر عيانا فيقال لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد هذا كتابنا ينطق عليكم انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فمن كان فى غفلة من حساب سره فاذا وقع بصره على ذلك و التفت الى صحيفة باطنه وصفحة قلبه يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها قال الله تعالى كل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وعلى هذا فيكون قوله وهذه اهوائى المضلة وكلتها الى جناب لطفك كالتفسير لما سبق ولما شبه هواه بالشخص المضل فكانه جعله امرا محسوسا فاشار اليه بما يشار اليه وكلت فلانا الى فلان من باب وعد الجائه اليه وفوضت امره اليه فجعلته متوكلا ومعتمدا عليه ومنه لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وكلتها جملة مستأنفة او خبر على قياس ما سبق من اختيها والجناب الفناء والرحل والناحية اى صرفت امرها الى ما حيته لطفك لتلطف بى وتعينى عليها وتحفظنى عن اضلالها ففى الكلام استعارة تمثيلية او مكنية وتخييلية حيث شبه الهوى بالشخص المضل ثم اثبت له الاضلال وكذا الحال فى تشبيه اللطف بالفضاء الواسع او

بالشخص القادر على اصلاح الفاسد وترويج الفاسد بارشاد الضال وصرفه
عن الضلال ثم اثبات الناجية والجنابة الاستعارات المذكورة ولطفه
علمه بدقائق المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف ثم ايصالها الى المستصلح
بالرفق دون العنف وقيل هو تصرفه في الذرات تصرفا حقيقيا لفعل الاسباب
المعدة لها لافاضته كالانهار وقيل هو اجراء القضاء على وفق الارادة وايصال
نفع فيه ويمكن ان يراد به هنا المعنى العرفي المشهور وهو ما يقرب العبد الى
الطاعة ويبعد عن المعصية واللطف في اللغة البر والتكرمة وفلان لطيف
بالناس بانه يبرهم ويلطفهم وفي بعض الاخبار في جواب زنديق اللطيف
منا على حد اتحاد الصنعة اوما رأيت الرجل يتخذ شيئا يلطف في المادة فيقال
ما الطف فلان فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف اذ خلق خلقا لطيفا وجليلا
وركب في الحيوان منها ارواحها وخلق كل جنس متباينا من جنسه في الصورة
لا يشبه بعضه بعضها فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته
ثم نظرنا الى الاشجار وحملها اطايبها المأكولة وغير المأكولة فقلنا عند ذلك
ان خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم الحديث ولما فوض امره اليه تعالى
واقر بكثرة الذنوب والمعاصي والهوى اخذ في التضرع والاستعانة و
الدعاء فقال فاجعل اللهم صباحي هذا نازلا علي بضياء الهدى لفظة هذا
اشارة الى الصباح الحاضر فهي اما بدل منه او تاكيد له كما في قولك اخي هذا

امير البلد

امير البلد والباء للملابسة وهي مع مدخولها متعلقة بنازلا منصوبة محلا على
الحالية من ضمير نازلا والمراد بملابسه للهدى وقوعه فيه بان يكون ظرفا
للحسنات والطاعات دون المعاصي والسيئات واضافة الضياء الى
الهدى اضافة اللجين الى الماء فشبه الهدى بالنور في الدلالة على المطلوب
والتقدير وهدى كالنور ثم قدم المشبه به واضيف اليه كقوله والريح
تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء وهذا التشبيه
متداول بينهم حتى انهم شبهوا السنة وكل ما هو علم وهداية بالنور تخيلا
منهم انهما مما له بياض واشراق والبدعة وكل ما هو جهل وضلالة بالظلمة
ظنا منهم انهما مما له سواد وظلام والنزول هنا مجاز اذ الصعود والنزول
مستلزمان للحركة وهي من خواص الاجسام والصباح كما علم سابقا ليس
منها ففي الكلام استعارة مكنية وتخييلية ولعله صلوات الله عليه تجوز
عن استضاءة الاجسام بمقابلة الضياء النير الاكبر في اول النهار الذي هو
عبارة عن الصباح وبنزول الضوء منها اليها او هو مبني على كون الضوء
جسما متحركا من المضيء الى المستضيء كما ذهب اليه قوم من الاوائل والاكثر
وان كانوا على بطلانه الا ان ادلتهم كلزوم كونه سائرا او كون ما هو اشد
ضوء اشد استنارا لا يقوم عليه حجة فان لبعض الاجسام الشفافة بسبب
وكثرته موجبة لزيادة ظهور ما خلفه والقول بان غلظة صفحة من البلور

جلّ اموره لما تحتها ستر الايدلّ على انّ كلّ شفاف كذلك فانّ كرّتي الهواء والنار والافلاك ما تحت الثوابت مقدارها على ما بين في الابعاد والاجرام يزيد على خمسة وعشرين الف الف فرسخ ولا يورث ما خلفه ستراثمّ على تقدير حسبيّته الضوء يجوز ان لا يصل تحته الى حدّ يستتر ما خلفه لا بدّ لنفيه من دليل والسلامة في الدين بفعل المامورات وترك المنهيات والدنيا بجلب النفع ودفع ومنه ترك الدنيا بل ترك الاخرة فانّ الدنيا حرام على اهل الاخرة و الاخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله تعر قال صاحب الدعاء وسيّد الاوصياء وسيّد الاصفياء عليهم السلام الملك العلام ما بقيت الارض والسماء ولقد كان في رسول الله ما يدلّك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصّته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمّدا بذلك ام اهان فان قال اهانه كذب العظيم وان قال اكرمه فليعلم انّ الله تعر قد اهان غيره حيث بسط الدنيا وزواها عن اقرب الناس منه فتاسّى متاسّ بنبيّه واقتفى اثره وولج مولجه والّا فلا يامن الهلكة فانّ الله جعل محمّدا علما للساعة ومبشرا بالجنّة ونذيرا بالعقوبة وخرج من الدنيا خميصا وورد الاخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتّى مضى لسبيله واجاب داعي ربّه فما اعظم منّة الله علينا حين انعم علينا به سلفا نتّبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت بدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها

ولقد قال

ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اعزب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى ومن طريق العامّة والخاصّة انّه صلى الله عليه واله قال عرض على ربّي ان يجعل لي بطحاء مكّة ذهبا فقلت لا يا ربّ ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرّعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وعن صاحب الدعاء جعلت له الفداء النفس تبكي عن الدنيا وقد علمت انّ السلامة فيها ترك ما فيها وقال بابي وامّي صلى الله عليه لما بلغه كلام حكيم من الحكماء كلّ من تلقاه يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن هذه الدنيا لمن طلقها واكتفى فيها بقوت وكفن فانّ بذلك يسلم دينه ودنياه فلا منافات بين ما طلبه هنا وما روى عنه سلام الله عليه انّ الدنيا والاخرة عدوّان متضادّتان وسبيلان مختلفتان فمن احبّ الدنيا وتولّاه ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلّما قرب من واحد بعد عن الاخرى وهما بعد ضرّتان ان رضيت احدهما اسخطت الاخرى وبيان ذلك انّ الطالب لاحدهما بقدر توجّهه في طلبها وامعانه في تحصيلها يكون غفلته عن الاخرى وبعده وانقطاعه عنها وليعلم انّ الناس في امر الدين والدنيا على ثلثة اصناف صنف منهم كون في الدنيا بلا التفات منهم الى مراعاة الدين وهم عبد الطاغوت وشرّ الدوابّ وصنف يراعون امر الدين من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا وصنف متوسّط وفي الجانبين حقّهما

عند الحكماء هم الافضلون لانّ بهم قوام امر الدين والدنيا وقال البعض من المحققين
اصحابنا انّ ترك الدنيا بالكلّية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها و
التخلّي عنها لانّ الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا
وتعاونهم على المصالح ليتمّ بقاء النوع الانسانية وترك الدنيا واهمالها بالكلّية
يهدم ذلك النظام وينافيه بل الذي يأمر به الشارع القصد في الدنيا واستعمال
متاعها على القوانين التي وردت به الرسل والوقوف فيها عند الحدود
المضروبة في شرائعهم دون تعدّيها وقد كان رسول الله صلى الله وعلى جماعة
من اكابر الصحابة اميل الى طريق التعسّف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا في
تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها ولا منعزلين
هذا وهذا عطف على الضياء وسلّم تسليم من باب تعب سلامة خلص من الآفات
النفسانية والآراء الفاسدة والعقايد الباطلة مثل الكفر والكبر والحسد و
النفاق في الدنيا ومن العقوبة في الآخرة والسلامة لغة الخلوص من الآفات
واصطلاحا هيئة يكون بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر
عنه الافعال كلّها صحيحة سليمة فهي بهذا المعنى مرادفة للصحّة فيكون
اسنادها الى الصباح مجازا او المراد ان يكون صاحبه فيه سالما في دينه
ودنياه فالالف واللام فيهما عوضان عن الضمير وتقديم الدين على
الدنيا امّا للاهتمام او لرعاية الفاصلة والدين في اللغة الطاعة وفي العرف

الشرعي

الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع
الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمّياته
ولكثرة استعماله صار حقيقة دون سائر المسمّيات لانّه المتبادر الى
الفهم حين اطلاق لفظ الدين وقال الراغب الاصفهاني الملّة كالدين و
هما اسمان لما شرع الله لعباده على لسان الانبياء ليتوصّلوا بها الى جوار الله
والفرق بينهما انّ الملّة لا تضاف الا الى النبيّ الذي تستند اليه نحو اتّبعوا
ملّة ابرهيم ولا تكاد توجد مضافة الى الله والى احاد امّة النبيّ ولا تستعمل الا
في جملة الشرايع دون احادها فلا يقال للصلوة ملّة الله كما يقال دين الله
انتهى وفي عدم اضافتها الى الله تعالى نظر قد بيّنّا وجهه في رسالتنا المسمّاة
بجامع الشتات فليطلب من هناك وقيل الملّة والدين يتّحدان بالذات و
يختلفان بالاعتبار فانّ الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمّى ملّة ومن حيث
انّها يطاع بها تسمّى دينا والدنيا اسم لهذه الحيوة الفانية وهي فعلى من الدنوّ
سمّيت بها لدنوّها وبعد الآخرة عنها وبعد الآخرة ومنه السماء الدنيا
لقربها من ساكني الارض ولما اختصّ كونها صفة بحال التعريف لا يقال
دار دنيا مع عدم اختصاص الصفة بحالة واحدة بل تكون تارة نكرة واخرى
معرفة كان كونها صفة كلا صفة وكذا حكم عليها بالاسمية قال ابن جنّي
الدنيا وان كانت صفة الا انها خرجت الى مذهب الاسماء ومسافي حبّة

من كيدي الأعداء عطف على صباحي وترك الاشارة الى عدم قابليته للاشارة
لعدم حضوره لبعده فان اصل اسم الاشارة ان يشار به الى محسوس مشاهد
والمعدوم يستحيل احساسه ومشاهدته فيمتنع الاشارة الحسية ومسائي
مفعول اول للجعل وجنة ثان له وهي بالضم الستر والوقاية ومنه الصوم جنة
من النار والجمع الجنن بضم الجيم وفتح النون ومنه سميت الترس جنة
لانه يواري حامله ويستره ويقيه مما يؤذيه من الضراب والترقات وهذا
هو المراد هنا ففي الكلام تشبيه بليغ اي اجعله جنة واقية تدفع بها عني
ما هو شر لي من كيدي العدى الداخلة او الخارجة او الاعم والاوسط
اوسط ليكون الفقرة التالية تاسيسا لانه خير من التاكيد ولا يخفى لطافة
تشبيه المساء بالجنة لجامع الستر والتواري بينهما ومن كيد العدى متعلق
بالجنة والاضافة لامية والكيد المكر والخدعة والاحتيال والاجتهاد
وبه سميت الحرب كيدا وقيل هو ارادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد
لكن اكثر ما يستعمل ذلك في الشر وبالجملة هو السعي في افساد الحال على
جهة الاحتيال وقال بعض العلماء الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من
الخلق الحيلة السيئة ومن الله تعالى التدبير بالحق بمجازاة اعمال الخلق والمكر
من جانب العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر ومن جانب
الحق هو ارداف النعم مع المخالفة والقاء الحال مع سوء الادب واظهار

الكرامات

الكرامات من غير جهد وقيل الكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخدعة ونهايته
القاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل الى دفعه والعدى
بالكسر الغرباء والاجانب والاعداء واما بالضم فهم الاعداء خاصة وهو
الاوفق بالمقام لقوله عليه السلام الهدى والدنيا والاعداء اربعة الهوى و
الدنيا والشيطان والنفس الامارة بالسوء وهذه الاربعة مجموعة في
دعائهم عليهم السلام فيا غوثاه ثم واغوثاه بك بالله من هوى قد غلبني ومن
عدو قد استكلب علي ومن دنياي قد تزينت ومن نفس امارة بالسوء
الا ما رحم ربي فانظر الى هذا الدعاء كيف خرج عند ذكر هؤلاء مخرج الاستغاثة
ولا يكون الاستغاثة الا ممن يخاف على نفسه من اشد الاعداء القهر و
الابتلاء ومن استسلم في قبض عدوه هلك لا محالة فعليك بالدعاء والتضرع و
واحياء الليلة لعلك تنجو من هلك المهالك قال بعض اصحابنا العدو
ضربان باطن لا يدرك ذاته بالحاسة وهو اثنان احدهما الشيطان و
هو اصل كل عدو يعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله غاية التحذير فقال
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الى غير ذلك من الايات والثاني
النفس الامارة المشار اليها بقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي وظاهر يدرك بالحاسة اعني الانسان وهو ضربان ضرب هو مضطغن
للعداوة قاصد الى الاضرار اما مجاهرة واما مساترة وذلك اثنان واحد يعادي

كل احد وهو كل احد بسبعى الطبع حيث الطينة مبغض لكل من لا يحتاج اليه
فى العاجل يغيض الى كل نفس يهارش كل من يخافه وهو الذى عنى الله
بقوله شياطين الانس والثانى عدو خاص العداوة وذلك اما السبب الفضيلة
والرذيلة كمعاداة الجاهل للعاقل واما السبب تجاذب نفع دينوى كالتجاذب
فى رياسته وجاه وجادة واما السبب لجمة او مجاورة مورثة للحسد كمعاداة
بنى الاعمام بعضهم لبعض وذلك فى كثير من الناس كالطبيعى قال رجل لبعض
من شبه انا والله احبك يا ابا معمر قال اشهد على صدقك وقال وكيف
ذلك قال لانك لست بجار قريب ولا بذى رحم نسيب ولا مشاكل فى صناعة
واكثر العداوة بين الناس يتوالد من شئ من ذلك وضرب عدو غير
مضطغن للعداوة لكن يؤذى حاله بالانسان الى ان يقع بسببه فى مثل
ما يقع من كيد عدوه فيسمى عدوا لذلك كالاولاد والازواج وعلى ذلك
قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله
عليه واله ليس عدوك الذى ان قتلته اجرك الله فى قتله وان قتلك ادخلت
الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وامرأتك التى تضاجعك
واولادك الذين من صلبك هذا والمراد بالمساء ما يقابل الصباح وهو
الشفق الذى يظهر فى افق المغرب بعد الغروب وهما متشابهان شكلا
ومتقابلان وصفا لان الصبح يبتدء اولا بضياء الضعيف الطولانى

ثم ينبسط

ثم ينبسط ذلك الضياء على الافق ثم تميل الى الحمرة الى ان يطلع الشمس والشفق
بالعكس لان بعد الغروب يظهر فى الافق حمرة منبسطة ثم بياض عريض
ثم بياض دقيق طولانى الى ان تنتفى بالكلية ووقايته من مرديات
الهوى اشارة الى طلب الستر والصيانة عن الاعداء الداخلة كالنفس التى تقتضيها
ايماء الى طلب الوقاية والاعانة الى الاعداء الخارجة وهو عطف على
جنة والظرف متعلق بالوقاية وهى الستر والصيانة وحفظ الشئ مما
يؤذيه ويضره يقال وقيت للشئ اقيه وقيا ووقاية اذا اصنته وحفظته
من الاذى قال الله تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم واضافة المرديات الى
الهوى اضافة الجرد الى القطيفة اى من اهوائى المردية المهلكة الموقعة فى قعر
بئر الخطيئة المرمية فى لجة بحر السيئة فيكون من قبيل قوله وهذه اهوائى
المضلة او يكون من باب خاتم فضة اى المرديات التى هى من جنس الهوى وقد
سبق شرح الردى والهوى والمراد بالوقاية الوقاية مما يترتب على الهوى
من السيئات وتبعاتها وهى الوقاية التى ليسالها حملة العرش ومن حوله للمؤمنين
بقولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو
الفوز العظيم ولما كان من شرائط اجابة الدعاء ومن ادابه اعتقاد الداعى
قدرة الله على فعل مطلوبه كما ورد فى الخبر عن سيد البشر يقول الله عز وجل
من سألنى وهو يعلم انى اضر وانفع استجيب له قال انك قادر على ما تشاء

اى طلبت منك ما طلبت لانك قادر على ما تشاء ان تعطيه لمن تشاء والقادر
من يصح منه الفعل والترك او الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدرة
التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان
هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفى العجز عنه واشتقاق
القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته او على ما تقتضيه
مشيئته وفيه دلالة على عموم قدرته تعـ وكونها شاملة لعامة الممكنات وهو
كذلك لان علة المقدورية وهى الامكان عامة فالقدرة عامة ففيه رد على
الثنوية والايصانية وسائر الفرق ما ثبت لنا فى هذا الاصل الذى هو من
اعظم الاصول الاسلامية ولذا اتى بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التاكيد
واما افعال العباد فهى وان كانت مقدورة له تعـ الا ان مشيئته الحقيقية لا
يتعلق بها لمنافاتها الحكمة والتكليف تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء كالدليل على قدرته تعـ ولذا ترك العاطف ومعناه انك تعطى منها ما تشاء
من تشاء وليسترق وكذلك قال صاحب الكشاف فيه وفى الحديث القدسى انا الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة
وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا
الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله صـ كما تكونون يولى عليكم وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء فى الدنيا

او الاخرة

او الاخرة او الاعم بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان يقال اعزه الله
اى جعله عزيزا منيعا لا يغلب ولا يقهر واعزه اقتضيا اكرمه واحبه وفى الحديث
الصحيح عنه صـ من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله وروى ثقة
الاسلام فى الصحيح عن ابى عبد الله عـ انه قال ان فى السماء ملكين موكلين
بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبى صـ ان التواضع
يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة
بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان فاذا هم يعنفون
بالناس ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف
حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى ما لك تنظر الى فقلت له
شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت
ما فعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى
الله حيث يترفع الناس واعزازه تعـ من يشاء عبارة عن جعله اياه معظما
موقرا بحيث تميل القلوب الى تعظيمه وتوقيره ومحبته واحتباب اذلاله
اهانته والاستخفاف به ظاهرا او باطنا والذل بالضم ضد العز ويعبر عنه
بالمهانة والضعة والحقارة وذلله تذليلا صيره ذليلا كاذله اذلالا قال
الجوهرى اذله وذلله وتذلل له كله بمعنى بيدك الخير انك على كل شئ قدير ذكر
الخير وحده لانه المقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض فان الشرور الذاتية

وهي الاعدام كما هي اعدام لا يستدعي صدا موجودا مؤثرا بل علتها عدم الوجود و
اما الشرور العرضية فهي وان استدعت علة موجودة الا ان هذا الاستدعاء
انما هو من حيث كونها شرورا مجعولة صادرة من المبدء الذي هو صرف الوجود
بالعرض والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه
كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك
باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار به فقط فيتناول الواجب
والممكن والممتنع وقد يخص بالممكن موجودا كان او معدوما كما هنا لتخصيص
اختصاص تعلق القدرة به اذ المراد بها التمكن من الايجاد والاعدام الخاص به
وذهب القاضي وجمع من الاشاعرة الى ان الشيء يختص بالموجود وان
المعدوم لا شيء ولا ذات ولا مهية وهو ايضا مذهب الحكماء قالوا الشيء اسم
لما هو حقيقة الشيئية ولا يقع على المعدوم والمحال ولا علم بالمحال اصلا
اذ لا شيئية له ولا ما هو مما يتمثل في ذهن او يتصور في وهم وانما المعلوم
المتصور المتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه وهو ممكن ما من
الممكنات ليس بازائه حقيقة من الحقائق وشيء من الاشياء ابدا والى
الاول ذهب المعتزلة وجماعة من الاشاعرة وقال الزمخشري والنيشابوري
الشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم و
الحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فمن

الاشياء ما لا يتعلق القدرة به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال القطب
العلامة كل من قال بان الوجود عين المهية مثل الاشعري واتباعه قال بان
المعدوم ليس بشيء لانتفاء المهية عند العدم ومن قال بان الوجود غيرها
فهم قد اختلفوا في ذلك والنزاع انما هو في المعدوم الممكن لا في المعدوم الممتنع
فانه ليس بشيء عند الفريقين انتهى وهذا لا يرد على ما صرح به الزمخشري و
النيشابوري لان كلامهما بحسب مفهومه لغة وما ذكره من النزاع انما هو في
الشيئية بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا في اطلاق لفظ الشيء على
مفهومه فانه بحث لغوي لا ينبغي ان يقع بين المحققين لان مرجعه الى
النقل والسماع هذا ومعنى كونه تعالى على كل شيء قدير ان قدرته لا تعجز عما
يمكن تعلق القدرة به من كل ما هية امكانية او شيئية تصورية واما الممتنعات
فلا ماهية لها ولا شيئية حتى يصح كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها
نقض على عموم القدرة كما سبق تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
هذه كسابقتها في البيان والدليل والولوج الدخول في مضيق وايلاجهما
ادخال احدهما في الاخر بالزيادة والنقصان كما في الصيف والشتاء او
المراد ايلاج كل في اخر حال ايلاج فيه في وقت واحد بحسب اختلاف الافاق
لانه في كل وقت ادخل الليل في النهار مثلا في بقعة من البقاع فقد ادخل نهارا
في الليل في مقابلها كالشمالية من خط الاستواء والجنوبية فان صيف احدهما

بعينه شتاء للآخر وقال الشيخ الجليل امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان
قيل في معناه قولان احدهما انه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة
في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك زيادة في الليل على قدر طول النهار
وقصره والآخر يدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا في مكانه وقال البيضاوي
ايلاج الليل في النهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقصان
وقال بعض اصحابنا انظر ايها العارف المتعمق في اسرار حكمة الله وجوده انه لو
لم يخلق هذه الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع به التفاوت بين الليل
والنهار بان تلج هذه من هذا في ذاك ومرة اخرى بالعكس ويقلد التعاقب
منها على نظام محكم ونسق مضبوط لما صلحت احوال الخلائق والبلاد و
لادت امزجة الحيوان والنبات الذي به قوامه الى الفساد اذا لم تر كيف
خلق الله تعالى اوضاع النيرات العلوية وضابط حركاتها ومدارات سيرها على
نحو ينتظم به احوال الكائنات وينتفع به السفليات فلو ثبتت انوارها او
تحركت ولكن لزمت دائرة واحدة لاثرت بافراطها فيما يقابلها وتفريطها فيما
ذلك ولو لم يكن لها حركة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم يكن تارة
سريعة وتارة بطيئة ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة وسموتها مائلة عن سمت
الحركة السريعة لما مالت تلك الانوار الى التوجه شمالا وجنوبا فلم تنتشر آثارها
وضاع ضوئها على بقاع الارض ولولا حركة الشمس على هذا المنوال من

مخالفة

مخالفة سمت حركتها الذاتية لسمت حركتها العرضية كما حصلت الفصول الاربعة
التي يوجبها تفاوت ازمنة الليالي والايام ولولا حصولها لما تم النظام و
لا صلحت امزجة العباد وفسدت الحرث والنسل في البلاد وقد علمت ان نشأة
الآخرة من الدنيا وان الدنيا قنطرة الآخرة وفي فساد القنطرة قبل العبور بطلان
العبور والحرمان عن الوصول الى دار السرور فاذن قد تبين عند اولي
الالباب غاية الحكمة في اختلاف الليل والنهار وتوالجهما على هذا الوجه المؤدي
للنتائج والآثار تذنيب كلما انقص من الليل زاد في النهار وبالعكس واطول
ما يكون في النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون
النهار حينئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وهو اقصر ما يكون من
الليل ثم يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة الى ثامن عشر ايلول
وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فليستوي الليل والنهار ويسمى
الاعتدال الخريفي فيصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم ينقص النهار ويزيد
الليل السابع عشر من كانون الاول عند حلول الشمس آخر القوس فيصير
الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيكون الليل في غاية الطول
والنهار في غاية النقصان ثم يأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة
الى سادس عشر اذار عند حلول الشمس آخر الحوت فيستوي الليل و
النهار ويصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ويسمى الاعتدال الربيعي ثم

ليستانف الدور ويرجع الى الاول ثم كلما ازداد البلد عرضا عن خط الاستواء
ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد ينتهي
طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا
كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا و
نصفها الاخر ليلا فيكون السنة كلها يوما وليلة وذلك اذا صار قطب الفلك
الاعظم محاذيا لسمت الرأس ولا عمارة هناك ولا فيما يقرب اذ لا يتم بر النضج لشدة
البرد اللازم من انخفاض الشمس ولا يصلح المسكن للحيوان ولا يتهيأ فيه شيء
من اسباب المعيشة واما البلاد التي هي تحت خط الاستواء فالليل والنهار
فيها في جميع السنة متساويان كل منهما اثنتي عشرة ساعة متساوية فلا يتصور
فيها ايلاج احدهما في الاخر الا بالتعقيب ولا بالزيادة والنقصان وتخرج الحي
من الميت وتخرج الميت من الحي اخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها او اماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه واخراج المؤمن
من الكافر وبالعكس عقبه ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز و
ايتاء الملك ونزعه وفيه وفيما سبقه عكس وتبديل وهو ان تقدم في الكلام
جزءا ثم يعكس فتقدم ما اخرت وتؤخر ما قدمت وهو على وجوه منها ان
يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كما وقع بين الحي والميت حيث قدم الاول و

اخر الثاني

اخر الثاني ثم عكس وهما متعلقان بفعلين في جملتين ومثله ما سبقه وترزق من
تشاء بغير حساب بغير طلب وكسب او بغير ان يعرف سبيل رزقه ويجعله محسوبا
في عداد وجه معاشه او بغير تقدير وتقتير او بما لا يأتي عليه الحساب فيوسع
في الدنيا على من يوجب الحكمة التوسعة عليه اما استدراجا او ابتداء والمراد
انه يعطي ولا يحاسب نفسه بما اعطاه او يعطي العبد ولا يحاسبه عليه وذلك اما
لاختلاف استعداد الاشخاص او العلم بانه اصلح لشأنهم كما يشير اليه وان من
عبادي من لا يصلحه الا الغناء ولو افقرته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا
الفقر ولو اغنيته لافسده او في كلام بعض الفقهاء طالب العلم المتقي لا
يحتاج الى كسب الرزق فانه يأتيه من عند الله بغير كسب من حيث لا يحتسب وفي
الكشاف عن الاصمعي قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال
من الرجل قلت من اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن
قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفي السماء رزقكم قال
حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه
وقوسه فكسرها وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف
لي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ
السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل
غير ذلك فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح فقال يا سبحان الله

وفي التخصيص بطن نفيهم من عموم
ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب

من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف لم يصدق قوله بقوله حتى الجاؤه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها انفسها والارزاق نوعان ظاهرة للابدان كالاقوات وباطنة للقلوب كالمعارف والعلوم والرزق بالكسر اسم للمرزوق وفى الصحاح انه ما ينتفع به واما الخلاف فى ان الحرام رزق كما هو مذهب الاشاعرة ام لا كما هو مذهب المعتزلة فليس هنا موضع ذكره وتقرير دليله فليطلب من موضع اخر لا اله الا انت فى كتاب التوحيد باسناده المتصل الى ابن عباس عن النبى صلعم انه قال ما من الكلام كلمة احب الى الله عز وجل من قول لا اله الا الله وما من عبد يقول لا اله الا الله يمد بها صوته فيفرغ الا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما يتناثر ورق الشجر تحتها اقول وانما صارت هذه الكلمة احب الكلمات الى الله عز وجل لانها اعلى كلمة واشرف لفظة ينطق بها فى التوحيد دالة على وجوده تعالى مفهوما وعلى وحدته منطوقا وعلى استجماعه جميع صفات الكمال وتنزيهه عن جميع النقايص وليس فى الاذكار ما يدل على ذلك ودونها لانها اما تمجيد او تنزيه بخلاف هذه الكلمة فانها جامعة بينهما منطبقة على جميع مراتب التوحيد توحيد الذات والصفات والافعال او يقال لما كان الشريك وهو من يمنع صاحبه ان يتصرف فيما اشتركا فيه على ما يريد وهذا ينافى السلطنة والملك ابغض الاشياء اليه تعالى ولذا لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كان احب الاشياء نقيضه وهو التوحيد المدلول

عليه

عليه بلا اله الا الله فكانت احب الكلمات اليه تعالى ويما قررناه ظهر وجه ما فى خبر اخر نبوى ما قلت ولا قال القائلون قبلى مثل لا اله الا الله وفى اخر عنه صلعم قال الله عز وجل لموسى يا موسى لو ان السموات وعامريهن والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهن لا اله الا الله وفى اخر عنه صلعم وآله ايضا الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وفى اخر علوى ما من عبد يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف لا يمر بشىء من سيئاته الا طلستها حتى تنتهى الى مثلها من الحسنات فتقف وفى اخر باقرى ما من شىء اعظم ثوابا من شهادة ان لا اله الا الله وفى اخر صادقى قول لا اله الا الله ثمن الجنة ونظائرها فى الاخبار وبالجملة احسن افرادها الذكر قول لا اله الا الله لانها اساسها فينبغى الاكثار من قولها وقد وردت فى فضلها وشرفها واسرارها وخواصها من طرق الخاصة والعامة ما لا يكاد يحصى ولذا اختاره اهل السلوك لتزكية السالكين وتهذيب المريدين وقد جمعت بين نفى الوهية ما سوى الله واثبات الوهيته وهى متعلقة بالجنان واللسان وتتفاوت فيه فمنها ما يكون باللسان وحده من غير حضور القلب وهى اضعف المراتب ومنها ما يكون به مع استقرار واستيلاء بحيث يغفل عما عدا المذكور وهى المرتبة العليا والدرجة القصوى واليه الاشارة بقوله تعالى

وكذكر الله اكبر ثم لا يذهب عليك ان قوله صلعم والرحيل بها صوته يدل على
صحة مذهب من قال بان تطويل المدة في لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن
لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع ما سوى الله من الاضداد
والانداد وينفيها ثم يعقب ذلك بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى
الكمال والاخلاص ومن الناس من يقول باولوية ترك التحديد مستدلا
بانه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال الى الا اقول وهذا القول
مع كونه مخالفا لقواعد التحديد ومناقضا لصريح الرواية مدفوع بان من
مات في زمن التلفظ بلا قبل الوصول الى الا لا شك انه مات مؤمنا لانه
عقد بهذه الكلمة قبلته ثم اراد ان يخبر بما في ضميره ليكون ذلك دليلا عليه
فلم يجد مهلة فلم يلزم منه كفره وخاصة اذا كان المتلفظ بها مؤمنا وانما
يلزم كفره او عدم انتقاله منه الى الايمان ان لو وجد من الفرصة ما امكنه
ان يقول الا الله ثم لم يقل ومات واما ما فضله الفخر الرازي واستحسنه
الصدر الشيرازي واثنى عليه في رسالته المعمولة لتفسير اية الكرسي من ان
المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها لينتقل من الكفر الى الايمان فترك
التحديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان باسرع الوجوه
وان كان مؤمنا وانما يذكرها للتجديد فالتمديد اولى لتحصل
في زمانه صورة الاضداد في الخاطر بنفسها ثم يعقبها بقوله الا الله فيكون

الاقرار

الاقرار بالالهية اصفى واكمل فهو مع كونه غير واقع لما سبق من اولوية ترك التمديد
فيما ذكره من اولويته معارض به وانما يدفعه ما ذكرنا المخالف لمذهبه فان
الانتقال من الكفر الى الايمان على مذهبه قد حصل بمجرد التصديق القلبي
كما هو مذهب الاشاعرة وهو منهم وانما جعل اللسان على الجنان دليلا
فهو على مذهبه كاشف عن ايمانه السابق على زمن التلفظ بهذه الكلمة
لا مصحح له ومتمم له نعم ما ذكره يصح على مذهب من قال التصديق وحده ليس
بايمان بل الايمان هو التصديق بالقلب مع الاقرار بالشهادتين كما هو
المنقول عن ابي حنيفة واليه قال صاحب التجريد وبالجملة فالتمديد بها
مطلقا كما هو ظاهر الرواية حيث رتب تناثر الذنوب على قول لا اله
الا الله لا مطلقا بل مقيدا بمد الصوت بها ليشعر بعليته للحكم
مندوب بل الظاهر عندي ان الغرض من التمديد مجرد تجويد اللفظ
وتحسينه على ما يقتضيه القوانين التجويدية لا لاستحضار المذكور
فان المتلفظ بالكلمة ان كان عالما بوضع الفاظها يستحضر الاضداد و
ينفيها ويثبت الاله الحق بمجرد التفاته الى معانيها مد صوته في لا ام لا
وان لم يكن عالما او كان ولم يكن ملتفتا لم يتيسر له الاستحضار مد ام لم
يمد فان المدة لا يوجب الاستحضار كما لا يخفى على ذوي الابصار واعلم
ان ترتب الثواب على قول لا اله الا الله مشروط بشروط لا يتحقق بدونها

منها ان يكون قلبه مواطئا للسانه كما ورد في خبر اخر نبوي ان لا اله الا الله
كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصا استوجبه الجنة ومن قالها
كاذبا عصمت ماله ودمه وكان مصيره الى النار فمن امن بالله وباليوم الاخر
وبما جاء به الرسل ثم قال لا اله الا الله ترتب عليه ثوابها فالمطلق مقيد
او العام مخصص وهذا مما انعقد عليه اجماع الامة ودل عليه الكتاب و
السنة قال الله تع ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه قيل له اليس لا اله
الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له
اسنان فتح لك والا لم يفتح ومنها الولاية لاهل الولاية كما يدل عليه قول الرضا ع
بعد ان روى عن جده عن جبرئيل عن الله عز وجل لا اله الا الله حصني فمن
دخل حصني امن من عذابي بشروطها وانا من شروطها وقال ابو سعيد الخدري
كان رسول الله ص ذات يوم جالسا وعنده نفر من اصحابه فيهم علي بن ابي طالب اذ
قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال رجلان من اصحابه فنحن نقول لا
اله الا الله فقال رسول الله ص انما يقبل شهادة ان لا اله الا الله من هذا وشيعته
الذين اخذ ربنا ميثاقهم وفي الكافي عن ابان بن تغلب عن الصادق ع قال يا ابان
اذا قدمت الكوفة فاروِ هذا الحديث من شهد ان لا اله الا الله مخلصا وجبت
له الجنة قال قلت انه ياتيني كل صنف من الاصناف افاروي لهم هذا الحديث

قال نعم

قال نعم يا ابان انه اذا كان يوم القيمة وجمع الله الاولين والاخرين فيسلب لا
اله الا الله منهم الا من كان على هذا الامر ومنها ومن نظائرها يظهر ان من
لم يكن مواليا لصاحب الدعاء جعلت له الفداء ومن بعده من الائمة سلام الله
عليهم ليسلب عنه ثمرة لا اله الا الله ويكون توحيده وتهليله في الدنيا بمجرد تحريك
لسان لا ينتفع به في الاخرة فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار المطلقة
الدالة على ان من قال لا اله الا الله فله الجنة ودخل الجنة وامثالها والدالة
على عدم دخول مخالفينا الجنة وان بذلوا جهدهم وبالغوا في العبادات بين
الركن والمقام حتى صاروا كالشن البالي فانهم ليسوا من اهل التوحيد المنتفعين
بتوحيدهم في الاخرة لما فاتهم من الولاية الشديدة الحاجة اليها في تحقق الايمان
الموجب لدخول الجنة فالمطلق بهذا الوجه ايضا مقيد ومنها ان يكون
الموحد تاركا للدنيا وزاهدا عنها مغن حذيفة عن النبي عليه واله السلام
قال لا يزال لا اله الا الله ترد غضب الرب جل جلاله عن العبادة ما كانوا لا يبالون
ما انتقص ما انتقص من دنياهم اذا سلم دينهم فاذا كانوا لا يبالون ما انتقص
من دينهم اذا سلم دنياهم ثم قالوها ردت عليهم وقيل كذبتم ولستم بها صادقين
وهذا بعينه حال ابناء دهرنا هذا نعوذ بالله منهم اجمعين ومنها الموافات
على التوحيد كما تدل عليه رواية ابي ذر عن النبي ص ما من عبد قال لا اله الا الله
ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وبالجملة المراد بالموحد الذي لا يعذب بالنار

اذا كان محسنًا بان يكون توحيده محجزه عمّا حرّم الله وهو على اقسام اخلاصه او يدخل
الجنّة ولو بعد تعذيب برزخيّ اذا كان مسيئًا هو من كان مواليًا ثمّ مات على
ذلك والّا فتسلب عنه فوائد لا اله الّا الله والاخبار المطلقة الواردة في هذا
الباب كقوله صم من مات ولم يشرك بالله شيئًا احسن او اساء دخل الجنّة و
قول الصّادق ع انّ الله حرّم اجساد الموحّدين على النّار وما شاكل ذلك
مقيّدة بما ذكرنا فلا اشكال ولا تدافع ثمّ لمّا كان مبدء الكمالات وجوب
الوجود كما انّ منشأ النّقائص امكان الوجود فالمعبود بالحقّ هو الّذي يثبت
له وجوب الوجود وانتفى عنه الامكان فمعنى لا اله الّا الله انّه لا واجب الوجود
الّا الله فح يصحّ تقدير الممكن والموجود في خبر لا النّافية للجنس امّا الاوّل
فلانّ مفهومه انّ الله يمكن ان يكون واجب الوجود فح يندفع فساده المشهور
وهو انّ اللازم امكان وجوده تعالى لا ثبوت وجوده فلا يتمّ التّوحيد بانّ
ما يمكن ان يكون واجب الوجود فهو واجب الوجود والّا يكون امّا ممتنع
الوجود او ممكنه وعلى التقديرين لا يكون واجب الوجود والّا لزم الانقلاب
وامّا الثّاني فلانّ فساده وهو انّ اللازم نفي وجود الشّريك لا نفي امكانه
مندفع بانّ نفي وجوب الوجود عمّا سواه يستلزم نفي امكان وجوب الوجود
عنه ايضا والّا لثبت له نقيضه وهو امكان وجوب الوجود له فثبت له
وجوب الوجود لما سبق هذا خلف واما ما قيل من عدم الحاجة الى الخبر

وانّ

وانّ الّا الله مبتدء وخبره لا اله اذ كان الاصل الله اله فلمّا اريد الحصر زيد
لا والّا ومعناه الله معبود بالحقّ لا غيره ففيه انّه مع كونه مخالفًا لما عليه
النّحاة من وجوب تقدير الخبر يرد عليه انّ الاعتراض باق على حاله اولا
معنى لرفع ذات الاله بل لا بدّ من نفي وجوده او امكانه ومنهم من قال انّ
هذه الكلمة نقلت شرعًا الى نفي الامكان والوجود عن اله سوى الله مع
الدلالة على وجوده تعالى وان لم يدلّ عليه لغةً وفيه انّ هذه الكلمة تسمّى
بكلمة التّوحيد فمن قالها فهو موحّد وان لم يعلم او يثبت عنده الحقائق الشرعية
وكذا تقدير مستحقّ للعبادة لا يدلّ على نفي التعدّد مطلقا بل على نفي المستحقّ
فقط والصّوفيّة لمّا ارادوا الاتيان مفهومًا على وجود غيره تعالى وراموا التفصّي عنه
اوّلوها بحمل كلمة الّا على معنى الغير وجعلوها بدلا عن محلّ اله المنفي فصار
المعنى انتفى غيره تعالى مطلقا لا في صحّة الالوهيّة وهذا هو التوحيد العالي الذي
هو نفي الشّرك الاعظم الجلي المثبت بالدّليل المعقول والمنقول قالوا
والمناقشة بانّه لا يلزم من انتفاء غيره ثبوته مندفعة اذ لا شكّ في وجود
موجود ما ما ذهب اليه السّوفسطائيّة من انّه لا موجود في الحقيقة بل هو
خيال او وهم فهو خيال موهوم وامر بطلانه معلوم وانت وكلّ من له ادنى بصيرة
اذا اصغى بصيرته نحو هذا الكلام يعرف انّ الغرض منه نفي الوهيّة ما سوى
الله واثبات الوهيّته لا نفي ما سواه بالكلّيّة واثبات وجوده فقط وهل

يليق بالحكيم العليم ان يقول فى كتابه العزيز الى رسوله الكريم اعلم انّه لا اله الا
الله ويريد به وحدته فى الوجود وهو يفيد وحدته فى الالوهيّة وهم
بمثل هذا التّاويل المستكره يضلون ويضلون فطوبى للّذين هم كما قال رسول
الله صلعم يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال
المبطلين وتاويل الجاهلين وعلى تاويلهم هذا فعلى كون هذه الكلمة كلمة
التّوحيد انمّا تفيد ان الوجود واحد ويلزم منه ان يكون الاله واحدا فيكون
دلالتها على وحدة الوجود مطابقة وعلى وحدة الاله التزاما وهذا كما ترى
صرف الكلام عن وجهه بل ابطال له بالكلية وانمّا صرفوه الى ذلك وهم يعلمون
قطعا انّه ليس المراد به ذلك لتغرير النّاس فى دعوتهم الى مذاهبهم الفاسدة
واراءهم الكاسدة فنزلوا القران على طبق رايهم ومذهبهم وفسّروه باهوائهم
واشتهائهم على علم منهم قطعا انّه غير مراد به فذرهم وما يشتهون ومنهم
من رام ان يصرف عنه ويذب عما يرد عليه وهو يقول بالوحدة فقال اعلم
ان الذّكر القلبى من اعظم علامات المحبّة لانّ من احبّ احدا ذكره دائما او
غالبًا وان اصل الذّكر عند الطّاعة والمعصية سبب لفعل الطّاعة وترك
المعصية وهما سببان لزيادة ورسوخه وهكذا يتشاولان الى ان يستوى
المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه فالذّاكر يحبه حبّا
شديدًا ويغفل عن جميع ما سواه حتى نفسه اذ الحبّ المفرط يمنع عن

مشاهدة

مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمّى مقام الفنى فى الله والواصل الى هذا
المقام لا يرى فى الوجود الّا هو وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى انّه تعالى متّحد
مع الكلّ لانّه محال وزندقة بل بمعنى انّ الموجود فى نظر الفانى هو لا غيره
لانّه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه فافهم انتهى ولنا على
ابطال وحدة الوجود رسالة مفردة وجيزة نقلنا فيها زبدة اقوالهم وعمدة
ما تشبّثوا به عليها واشرنا فيها الى ما فيه وعليه فليطلب من هناك سبحانك
اللّهمّ وبحمدك انزّهك تنزيها عمّا لا يليق بجناب قدسك وعزّ جلالك
واثبت لك ما يليق بك سبحان مصدر كغفران وسلطان بمعنى التّنزيه
عن النّقايص ولا يستعمل الّا محذوف الفعل منصوبا على المصدر بمحذوف
من جنسه ومتعلّق الجار فى بحمدك هو العامل المحذوف والتّقدير سبّحتك
تسبيحا وسبحانا وسبّحتك بحمدك او بمعنى والحمد لك نظير ما انت بنعمة
ربّك بمجنون اى والنّعمة لك على انّه حال والعامل فيه اما معنى النّفى فانّه
بمعنى انتفى عنك الجنون او مجنون ولا يمنع الباء منه لانّها زائدة مؤكّدة
وفى مجمع البيان وقيل معناه ما انت بمجنون والنّعم بك كما يقال سبحانك
اللّهمّ وبحمدك اى والحمد لك انتهى وهو مضاف الى المفعول وربّما جوّز
كونه مضافا الى الفاعل بمعنى التّنزه والواو امّا حاليّة والتّقدير وانا متلبس
بحمدك على التّوفيق لتنزيهك والتّاهيل لعبادتك كانّه لمّا اسند التّسبيح الى

الى نفسه او هم ذلك فرحًا وسرورًا فعقب بهذه الجملة الحالية لنزول على قياس
ما قالوا فى اياك نعبد واياك نستعين او اعتراضية ومدخولها جملة مقدرة
والحمد قائم مقامها والتقدير اسبحك سبحانًا وبنعمتك التى توجب على حمدك
اسبحك وتلك النعمة وهى حولك وقوتك التى ملكتنيها او زائدة والجار
بمجروره فى محل النصب على الحالية والتقدير متلبسًا بحمدك او عاطفة تعطف
الجملة الاسمية او الفعلية المقدرة على الفعلية المضمرة فى سبحانك فان جعلت
الباء فى بحمدك للمصاحبة فاضافة الحمد الى الضمير اضافة المصدر الى المفعول وان
جعلتها للاستعانة فاضافته اليه اضافة المصدر الى الفاعل ولعل المراد بالحمد
التوفيق عليه والتقدير اسبحك سبحانًا واسبحك مستعينًا بتوفيقك اياى
على حمدك والى ذلك اشار الشهيد الثانى بقوله الواو فى وبحمده قيل زائدة
والباء للمصاحبة والحمد مضاف الى المفعول ومتعلق الجار عامل المصدر اى
سبحت الله حامدًا اى نزهته عما لا يليق به واثبت له ما يليق به ثم قال ويحتمل
كونها للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل اى سبحته بما حمد به نفسه اذ
ليس كل تنزيه محمودًا وقيل ان الواو عاطفة ومتعلق الجار محذوف اى وبحمده
سبحته وذكر بعضهم ان المعنى وبمعونتك التى هى نعمة توجب على حمدك سبحتك
لا بحولى وقوتى فيكون مما اقيم المسبب مقام السبب انتهى وقال العلامة الطبرسى
امين الاسلام انه صار فى الشرع علمًا لاعلى مراتب التعظيم الذى لا يستحقها الا

هو سبحانه ولذلك لا يستعمل فى غيره وان كان منزهًا عن النقايص ولعله ناظر
الى ما قيل ان التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلثة انواع تنزيه الذات عن نقص
الامكان الذى هو منبع السوء ومشربه الصفات عن الحدوث بل عن كونها
مغايرة للذات وزائدة عليها وتنزيه الافعال عن القبح والعبث وعن كونها جالبة اليه
نفعًا او دافعة عنه ضرًا كافعال العباد ثم التسبيح يدل على كونه مبرًا فى ذاته وصفاته
عن النقايص والافات والحمد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسنًا الى
الخلق منعمًا عليهم رحيمًا بهم فالتسبيح اشارة الى كونه تامًا والتحميد على كونه فوق
التمام فالوجه فى تقديمه عليه ظاهر والغرض من هذه الجملة التسبيحية الرد على
من توهم انه عرفه سبحانه بحسب صفاته او علمه بكنه ذاته وذلك لان معرفة ذاته اما
بالبديهة وهو باطل بالبديهة واما بالنظر وهو اما بالحد والحد يستلزم الجنس
والفصل المستلزمين للتركيب او بالرسم وهو لا يفيد الحقيقة لان المعلوم منه
سبحانه اما السلوب او الاضافات وذاته مغايرة لهما اذ المعلوم من قدرته مثلا
انها امر مستلزم للتاثير فحقيقتها مجهولة والمعلوم منها ليس الا هذا اللازم
فتبين ان صفاته كذاته غير معلومة وان المعلوم منها ليس الا السلوب والاضافات
ولما ثبت ان العلم بما لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت انا لا نعلم ذاته ولا صفاته
التى هى عين ذاته واليه اشار بقوله من ذا يعرف قدرتك فلا يخافك ومن ذا
يعلم ما انت فلا يهابك يعنى لو كان لقدرته تعالى حد محدود يعرف به لكان يمكن

ان يكون فوقه مراتب اخرى فصاحب تلك المرتبة الفوقانية لعله عارف قدرته
ووجد بها دون قدرته ساغ له ان لا يخافه لكن لا حدّ لقدرته تقف عنده فلا يتصور
فوقها قدرة بل كان قدرة هي دونها ويد الله فوق ايديهم فالخوف منه لازم لكل
عارف به وانما لا يخافه من لا يعرف قدرته وكذا لو كانت له ماهية معلومة بكنهها
فمن علمها وعلم انها ليست بمنشاء آثار غريبة وافعال عجيبة كان له ان لا يهابه
لكنه سبحانه لا ماهية له فلا ماهية له معلومة لغيره ولذا لما سئل كليم الله على
نبينا وآله وعليه السلام عن حقيقته حيث قيل وما رب العالمين من اجاب عنه
بذكر خاصته فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تنبيها على
ان حقيقة ذاته لا تعلم الا بذكر مقوماته ولا مقوم له اذ لا تركيب فيه ولو نبه السائل
الجاهل بذلك اولج وعند ولذا قال لمن حوله الا تستمعون اني سألته عن حقيقة
رب العالمين وهو اجابني بذكر صفاته فلم يتعرض موسى لبيان غلطه وفرط جهله
فذكر صفاته اخرى ابين من الاولى فقال ربكم ورب آبائكم الاولين ليتنبه على
غلطه وجهله فلم يتنبه ونسبه الى الجنون فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون فلم يلتفت اليه الكليم وذكر صفات اخرى اظهر من الاولى واشار الى
ان السؤال عن حقيقته ليس من آداب العقلاء فقال رب المشرق والمغرب وما
بينهما ان كنتم تعقلون واذا ثبت انه ليست له حقيقة معلومة لغيره فكيف
لا يهابه ولا يوقره واحتمال الضرر بذلك قائم ودفعه واجب وفيه تحقيق لشأنه

لأن كلمة

لأن كلمة من في الاصل وان كانت للاستفهام الا انها هنا استعملت لمجرد التحقير
كما في قولك من هذا وكذا في ايراد المسند اليه باسم الاشارة الدال على القرب تحقيره
لان القرب كما قد يطلق على قرب المرتبة ودناءة المحل فيقال فلان قريب المحل
داني المرتبة اجراء للامور العقلية مجرى الامور المحسوسة كذلك قد يطلق اسم
الاشارة الدال عليه ويراد به ما يلابس القرب غالبا وهو التحقير الرتبي وما
في الموضعين مبتداء ومن كذلك خبره مقدم عليه لاقتضائه صدر الكلام في الجملة
الفعلية صفة له لكونه نكرة والمضاف محذوف اي مقدار قدرتك وحقيقة ذاتك
ويحتمل ان يكون من للاستفهام الانكاري واذا اسم موصول بمعنى الذي
والمراد ان كل من عرف قدرتك يخافك وكل من علم ما انت يهابك فلا جاهل
يعرف قدرتك فلا يخافك ويعلم ما انت فلا يهابك وكلمة ما على الاول طالبة
للحقيقة وعلى الثاني شارحة للاسم تامل والمعرفة يقال للادراك الجزئي والبسيط
والعلم للكلي والمركب وايضا فان الاول يقال لادراك الشيء بآثاره والثاني
لادراكه بذاته ولذا يقال عرفت الله دون علمته لان ذاته جزئي بسيط معروف
بآثاره وصفاته لا بذاته وقيل هي عبارة عن الادراك التصوري والعلم هو
الادراك التصديقي ومن ذهب الى هذا القول جعل العرفان اعظم رتبة من
العلم فان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر
معلوم بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق الطاقة البشرية

لانّ الشّيء ما لم يعرف لم يطلب ماهيّته فعلى هذا كلّ عارف عالم من دون عكس كلّي
ولذلك كان الرّجل لا يسمّى عارفاً الّا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقّى
من مطالعها الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطّاقة البشريّة وقيل
هي ادراك الشّيء بعد توسّط نسيانه فلذلك يسمّى الحقّ تعالى بالعالم دون العارف
هو اشهر الاقوال في تعريف المعرفة وفيه نظر فقد ورد في رواية رواها محمّد بن
يعقوب في الاصول في باب النّسبة من قول ابي عبد الله ع قل هو الله احد
نسبة الله الى خلقه احداً صمداً ازليّاً صمديّاً لا ظلّ له يمسكه وهو يمسك الاشياء
باظلّتها عارف بالمجهول معروف عند كلّ جاهل ومن العجب انّ بعضهم ادّعى
الاجماع على انّ اطلاق العارف عليه تع غير جائز لعدم وروده في الشّرع مع
ايهامه النّقص ولعلّه ع اشار بذلك الى انّه تع لو كان يعلم بكنه ذاته فانّما كان
يعلم اذا كان كلّيّاً مركّباً من الجنس والفصل ولمّا كانت القدرة جزئيّاً من جزئيّات
صفاته خصّ المعرفة بها تنبيهاً على هذه الدّقيقة تامّل فيه والخوف والخشية
ان كانا مترادفين في اللّغة الّا انّهم فرّقوا بينهما بانّ الخوف تالّم النّفس من
العقاب المتوقّع بسبب ارتكاب المنهيّات والتّقصير في الطّاعات وهو
يحصل لاكثر الخلق وان كان مقولاً بالتّشكيك والخشية حالة تحصل عند
الشّعور بعظمة الخالق وهيبته وهذه الحالة عزيزة المنال لا تحصل الّا
لمن اطّلع بجلال الكبرياء وذاق بلذّة القرب ولذا قال عزّ من قائل انّما يخشى الله

من عباده

من عباده العلماء الفت بقدرتك الفرق هذا وما عطف عليها كالبيان و
الدّليل على انّ قدرته لا يعرف بحقيقتها وانّما يعرف باثارها وما شاكلها ولعلّه
لذلك ترك العاطف فتامّل وتوق الفت بينها تاليفاً اذا وقع الالفة والتاليف
والتّركيب بمعنى هو جعل الاشياء المتعدّدة بحيث يطلق عليها اسم واحد
وقد تفرق بينهما بانّ التّاليف من الالفة فلا بدّ ان يكون بين اجزائه مناسبة
بخلاف التّركيب فهو اعمّ منه والفرق بالكسر الطّائفة من النّاس والقسم من
كلّ شيء والجمع فرق وكذا في القاموس والمراد انّه تع الف بقدرته بين المتباينات
وجمع بين المختلفات والمتضادّات كما في المركّبات المجتمعة من الاستقصاب
المتداعية الى الانفكاك وفي تاليفها مع تنافرها طبعاً ثمّ احتياج بعضها
الى البعض في قوامها وانتظامها وانتظامها دلالة واضحة على وحدة مؤلّفها و
مدبّرها كما انّ في ارتباط اجزاء الشّخص بعضها ببعض وانتظام اعضائه دلالة
على وحدة مدبّره وفي خطبة لصاحب الدّعاء جعلت له الفداء في التّوحيد ضادّ
النّور بالظّلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالبرد مؤلّف بين
متضادّياتها مقارب بين متبايناتها مقرّب بين متباعداتها مفرّق بين متدانياتها
دالّ بتفريقها على مفرّقها وبتاليفها على مؤلّفها وذلك قوله عزّ وجلّ ومن كلّ
شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون او المراد انّه تعالى الف بين قلوب طوائف
مختلفة مع تخالف طبائعهم وتباين سلائقهم وتضادّ اهوائهم وتضادّ آرائهم

كما اشار اليه بقوله هو الّذى الّف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا
ما الّفت بين قلوبهم ولكنّ الله الّف بينهم انّه عزيز حكيم ومن الظاهر بل الاظهر
منه انّ الالفة من اعزّ المطالب شرعا وعرفا لاقتضائها اصلاح حال الدّنيا
والاخرة لانّ الانسان مدنى بالطّبع فلا غناء له فى تعيّشه من التمدّن و
هو اجتماعه مع بنى نوعه لافتقاره فى تحصيل مآربه الى معاونتهم ومشاركتهم اذ
لا يمكن للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الضّروريات التى لا
بقاء له بدونها وتلك المعاونة والمشاركة لا يتمّ الّا بالايتلاف والاجتماع والمعاشرة
ولا يستقيم ذلك الّا بتحقّق الرّوابط بينهم وهى لا تتمّ الّا بنفى الضّغائن و
الاحقاد والحسد وذلك مستلزم للاجتماع على الالفة والانس بعضهم ببعض
فيستقيم امورهم بتعاونهم وقد قال العلماء انّ سلوك سبيل الله لسائر
وجوه الاوامر والنّواهى لا يتمّ الّا بها ولذلك عظّم الله المنّة بايقاع الالفة
بين اهل الملّة وذلك انّهم بالالفة يكونون بمنزلة عبد واحد فى طاعة مولاه
ولاجلها شرع الله اجتماع الخلق على الصّلوة فى المساجد كلّ يوم خمس مرّات
وفى كلّ اسبوع مرّة فى المسجد الاعظم وفى كلّ سنة مرّتين فى الاعياد وفى
العمر مرّة بمكّة لاجتماع البلدان النائية كلّ ذلك ليتاكّد باجتماعهم الالفة و
الاتّحاد ويقع نسبة المحبّة والوداد والاخبار فى هذا المعنى كثيرة جدّا وفلقت
برحمتك الفلق فلقت الشّى فلقا من باب ضرب شققته والفلق بالسّكون الشّقّ.

وهو الفائق

وهو الفائق الّذى فلق الارحام فانشقّت عن الحيوان وفلق الحبّ والنّوى
فانفلقت عن النباتات وفلق الارض فانفلقت عن كلّ ما يخرج منها وفلق
الظّلام عن الصّباح والسّماء عن القطر وفلق البحر لموسى فكان كلّ فرق كالطّود
العظيم والفلق بالتّحريك الصّبح نفسه وقد يقال فلق الصّبح لضوئه وانارته
والمراد انّه تعالى شقّه واضائه وانارته واظهر بياضه بقرب طلوع النيّر الاعظم
اذ لولاه لبطل امر العالم ولا يمكن النّاس ان يسعوا فى امور معاشهم ومعادهم و
لم يكونوا يتهيّئون بالعيش مع فقدهم لذّة النّور وروحه فكونه من الرّحمة
ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب ومن الظاهر انّ المفلوق ليس هو الفلق
بل هو ظلمة وهى الغبش فى اخر اللّيل وكان الافق كان بحرا مملوّا من الظّلمة
ثمّ انّه تعالى شقّ ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النّور فالمعنى فلقت
ظلمة الفلق بنور الفلق وحسن الحذف للعلم به وانر بكرمك دياجى الغسق
الانارة الاضاءة والباء سببيّة والكرم الجود والسّخاء يقال رجل كريم اذا
كان جوادا سخيّا وكونه من الكرم بيّن اذ اللّيل لو امتدّ مثلا مقدار ما يأتى
ساعة لكان يعوق اصناف الحيوان عن الحركة والتّصرّف فى طلب المعاش
حتّى يموت جوعا ويحجبه الحرارة الطّبيعيّة من النّبات حتّى يتعفّن ويفسد
كالّذى تراه يحدث على النّبات اذا كان فى موضع لا يطلع عليه الشّمس مع انّ
الحرّ والبرد يدبغان الابدان وينضجانها ولولاهما لفسدت او هزلت

فجعل النهار بكرمه مبصرا لتبتغوا فيه من فضله ولتتسببوا الى رزقه وليرجوا في
ارضه طلبا لما فيه نيل العاجل من دنياهم ودرك الآجل في اخريهم قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا
تسمعون والدجى ظلمة الليل وكان النجوم بين الدجى سنن لاح بينهن ابتداع
يقال دجى الليل اذا تمت ظلمته والبس كل شيء ومنه ليل داج والغسق محركة
الظلمة اول الليل ومن شر غاسق اذا وقب اى الليل اذا دخل كذا في القاموس
فالتجريد لا تم او الاضافة لامية وفيه مبالغة او بيانية وقيل غسق الليل
منتصفه لا ظلمة اوله كما قاله بعض اللغويين ثم استشهد عليه بما رواه في الكافي
بسند صحيح عن الباقر ع انه قال فيما بين دلوك الشمس الى غسق الليل اربع صلوات
الى ان قال وغسق الليل انتصافه وعليه فلا حاجة الى التجريد ولعله ع خص
منتصفه بالذكر لكونه اشد ظلاما ما بعد الشمس من الافق الغربي ووصولها
الى دائرة نصف النهار تحت الارض فاهل هذه الاقاليم وقته يكونون
في وسط مخروط ظلها فوق الارض في اشد الظلام والمراد انه تعالى بكرمه
جعل الاهوية المظلمة منورة لا الظلمات نفسها فانها لا تتصف بالنور
والحق ان تكيف الهواء بالنور في الجملة مما لا ينبغي الشك فيه وان منع منه
من جعل اللون شرطا في التكيف به فارادته ع بها الاهوية المظلمة لا مانع
منه ويجوز ان يراد به الاجسام المظلمة غير الهواء وهذا ليس فيه كثير بعد

لاستغنائه

لاستغنائه عن تجشم الاستدلال على قبول الهواء الضوء في محالها وهذا مبني
بان الظلمة كيفية وجودية كما ذهب اليه طائفة قيل وهذا وان كان الاكثر على
بطلانه الا ان دلائلهم عليه ليست بهذه القوة فهو باق على اصل الامكان الى ان
يذب عنه قاطع البرهان وانهرت المياه من الصم الصياخيد عذبا واجاجا
الانهار الاجراء والاسالة والصب بكثرة ومنه النهر بالفتح والسكون المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والماء الذي يشرب
والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام واصله موه بالتحريك والصم اصله صلابة
حاصلة من اكتناز الاجزاء وانضمامها ومنه قيل حجر اصم اى ليس فيه تجاويف و
قناة صماء اى رمح مصمت غير مجوف كالقصب وصمام القارورة بكسر الصاد ما يشد
به ثم سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا
تجويف فيه ليشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والجمع الصم افانت تسمع
الصم ولو كانوا لا يعقلون صم بكم عمي فهم لا يرجعون وكلمة من بظاهرها مشعرة
بان تلك المياه في الاصل احجار انقلبت مياها وهذا كما يقال من النطفة كان
انسان بمعنى انها خلقت صورتها وليست صورته فهي ابتدائية والظرف في محل
النصب على الحالية اى اجريتها حال كونها مبتداة منها والصيخود الصخرة الشديدة
والجمع الصياخيد والياء زائدة يقال صخرة صيخود وصيخاد اى شديدة و
الصلابة والعذب الطيب الذي لا ملوحة فيه وفي القاموس العذب من الطعام

وسلامته عن شوب الخلاف
او المراد بانارتها اعدامها
باحداث الضوء ص

والشراب كل مستاغ والاجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وهما منصوبان اما على الحالية او المصدرية او التميزية
وهو الاظهر ولعل المراد انه تعو شق تلك الاحجار فانشقت انشقاقا بالطول او
العرض فنبعت منها المياه لا انها انقلبت مياها كما يقيده الظاهر فان قلت كيف جوز
ان يكون عذبا واجاجا حالين من المياه والحال يجب ان يكون مطابقة لذيها
في التذكير والتانيث وهنا قد انعدمت حيث لم يقل عذبة واجاجة قلت معنى
الكلام انه تعو اجرى المياه من الاحجار الشديدة الصلبة حال كونها عذبا بعضها
واجاجا بعضها كما في قول امرئ القيس الشاعر كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي حيث لم يقل رطبة ويابسة لكن ظاهره يقتضي
حذف الفاعل وابقاء رافعه ولا يجوزه البصريون ولا بعض الكوفيين الا ان
يقال تفصيل الحال لفظا يستدعي تفصيل ذيها وهو يجوز ترك تانيثها فان
العذوبة بالنسبة الى بعض والاجوجة بالنسبة الى اخر والاظهر ان يقال قسما
عذبا وقسما اجاجا والاولى ان يحمل نصبهما على التميزية لعدم حاجة الى التاويل
فانه يكون مفردا وان كان متميزه مثنى او مجموعا اذا كان جنسا يتشابه اجزائه
ثم يقع مجردا عن التاء ويطلق على القليل والكثير كالماء والتمر ونحوهما
الماء اذا كان لطيفا خفيفا ورشد لقلة ما يخالطه من الارضية وعدم ما يجاوره
من اوساخ المدنية والكيفيات المعدنية الموجبة لفساده جاريا على تربة نقية

بعرقابلة

غير قابلة للعفونة وخاصة الماء الجاري الى المشرق لان الرياح المشرقية معتدلة
بين الحرارة والبرودة مائلة الى اليبوسة فيكون مصلحة له وسيما الماء المنحدر الى
اسفل فان حركته اسرع فيزيده لطافة وخاصة اذا بعد المنبع لانه يكون الطف
لكثرة حركته بطول المسافة برقة لزوقته ولطافته رطوبة الفم وليسيدها وينفذها
في جرم اللسان وهو خال عن الطعوم وبذلك يحصل العذوبة لان طعم هذه الرطوبة
مائل الى العذوبة كالبلغم الطبيعي والعذوبة اول درجات الحلاوة ولذلك
يخيل لشاربه انه حلو والا فالماء البسيط لا طعم له ولا لون بل لا لون كما ثبت
في محله وانزلت من المعصرات ماء ثجاجا من ابتدائية وهي بمجرورها في موضع
النصب على الحالية من الماء وثجاجا صفة له وانما قدم على ذيها الضرورة
رعاية الفاصلة مع كونها ظرفا والمراد انه تعو انزل ماء ثجاجا لكونه مبتداء و
ناشيا من المعصرات وهي السحاب اذا عصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح
فتمطر كقولك اخو الزرع اذا حان له ان يحرم ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض ويمكن ان يراد بها السموات لان الماء ينزل من السماء الى السحاب ومنه
الى الارض فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه قال صاحب
الدعاء جعلت له الهذاء السحاب غربال المطر لولا ذلك لافسد كل شيء وقع عليه
ولا التفات الى ما يزعم الطبيعيون اذ لم يقيموا على ما زعموه من سبب حدوث
المطر برهانا يعتمد عليه او دليلا تركن النفس اليه بل الظاهر انه لا مجال للقول

بانّ جميع الماء النازل من السّماء هو الّذي صعد من الارض بمخالطة الهواء المتصاعد
بسبب استيلاء الحرارة ولا للقول بانّ الصّاعد هو جزء من الف من النّازل
فيكون الصّاعد عندهم معدا لانقلاب الهواء ماء فيكون حدوث معظمه في السّماء
ويجوز ان يراد بها الرّياح وذات الاعاصير لان الرّياح هي الّتي تنشئ السّحاب وتبدّده
اخلافه فصحّ ان يجعل مبدء الانزال وقد جاء انّ الله تعالى يبعث الرّياح فيحمل
الماء من السّماء الى السّحاب فان صحّ ذلك فالانزال منها ظاهر وعن سيّدنا الصّادق
انّ لله رياح رحمة لواقح ورياح يهيج السّحاب فيسوقه ورياح تحبس السّحاب
بين السّماء والارض ورياح تعصره فتمطره باذن الله ورياح تفرق السّحاب
الحديث وماء ثجّاجا منصبا بكثرة ثجّه وثجّ بنفسه وفي الحديث افضل الحجّ
العجّ والثّجّ اي رفع الصّوت بالتّلبية وصبّ دماء الهدي تنبيه السّبب الاكثري
في كبر حبات الامطار الصّيفيّة وصغر حبات الشّتويّة انّ الابخرة الصّيفيّة
في الاكثر لا تخلو عن الادخنة الّتي هي مادة الرّيح الموصلة بتموّجها تلك القطرات
بعضها ببعض فتكبر وفي الشّتاء يكون الهواء ساكنا فلا اتصال ان قلت
الفلاسفة انّ الشّمس اذا اشرقت على المياه والارض الرّطبة تحلّل منها اجزاء
هوائيّة ومائية ذهبا اجزاء صغارا مائيّة لا تميز بينهما في الحسّ لفرط الصّغر و
الاختلاط والمركّب منهما يسمّى بخارا وهو اذا صعد وبلغ في صعوده الى الطّبقة
الزّمهريريّة تكاسف بواسطة البرد فان لم يكن قويّا اجتمع وتقاطر للثّقل الحاصل

من التكاسف

من التّكاسف والانجماد فالمجتمع السّحاب والمتقاطر المطر وان كان قويّا
فامّا ان يصل الى اجزاء السّحاب قبل اجتماعها او بعده فان كان الاول نزل
السّحاب ثلجا لانّ تلك الاجزاء الصّغيرة انعقدت وانضم بعضها ببعض وهو
الثّلج الّذي يهبط كالقطن المحلوج وان كان الثّاني نزل بردا وامّا اذا لم يبلغ
في صعوده لقلّة حرارته اليها فان كان كثيرا فاذا اصابه برد ينعقد سحابا ماطرا
كما حكاه رئيسهم انّه شاهده وقد صعد من سافل بعض الجبال صعودا يسيرا و
تكاسف حتّى كانّه مكبّة موضوعة على وهدة فكان هو فوقها مشمسا وكان
من تحته من اهل القرية يمطرون وقد يتكوّن السّحاب من انقباض الهواء بالبرد
الشّديد فيحصل معه للاقسام ثمّ انّ البخار المنعقد بردا ان كان بعيدا من الارض
كان صغير الحبّ مستديرا لذوبان زواياه بالحركة السّريعة الخارقة للهواء
وان كان قريبا كان بالعكس والسّبب في كثرته في البلاد الباردة في الرّبيعين
دون الشّتاء انّ الاجزاء البخاريّة اذا تمّت لكاثفها احاطت بها حرارة الهواء
او ريح حارّة انحفظ البرد الى باطن السّحاب دفعة فاستمسك البخار وجمد
دفعة واحدة لئلّا تتحلّل الحرارة فيها ولذا كان الحارّ من الماء اسرع جمودا من
البارد فهذا جملة احوال الكائنات الهوائيّة على ما زعموه واكثرها لا يخالف
ما ورد في الشّريعة المطهّرة على صادعها واله السّلام الا بضرب من التّاويل
وجعلت الشّمس والقمر للبريّة سراجا يستضيئون بضوء ما به فانّه مع الحاجة

الى الظلمة لهذا الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في ان يكون الليل
ظلمة واجبة لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس الى
العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الاعمال بالنهار او لشدة الحر وافراط
فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وقطع الخشب او ما اشبه ذلك
فجعل ضوء القمر معونة لهم على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين
وفي تصرف القمر خاصة في تهلله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه
على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون
فتبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وانما سمي قمرا
لبياضه فان الاقمر هو الابيض او لانه يقمر الكواكب اي يغلبها بزيادة النور
وقد اضطربوا في انه الى كم يسمى هلالا ومتى يسمى قمرا فقال الجوهري الهلال اول
الليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر وزاد الفيروزابادي فقال الهلال غرة القمر
او الى ليلتين او الى ثلث او الى سبع ولليلتين من اخر الشهر ست وعشرين وسبع
وعشرين وفي غير ذلك قمر وقال بعضهم يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا
يسمى هلالا الى ان يعود في الشهر الثاني وقال اخرون يسمى هلالا ثلث ليال
ثم يسمى قمرا وقال اخرون يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيق
ثم يقال قمر وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمر و
هذا يكون في الليلة السابعة ولعل في وصفه بالسراجية تاييد لهذا القول و

جعله مجازا بالمشارفة من باب ما يؤول اليه الشيء سمح والبرية الخلق يقال
براه الله يبريه خلقه ويجمع على البرايا والبريات من البرى التراب والسراج معروف
ويقال له النبراس ايضا وهو المشبه به وهذا التشبيه يسمى تشبيه التسوية
وهو ان يكون المشبه متعددا دون المشبه به كقوله صدغ الحبيب وحالي
كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وادمعي كاللآلي فان قلت المشبه به واجب ان
يكون اقوى وازيد في وجه الشبه من المشبه به قلت يجوز عند ارادة الجمع بين
شيئين في امر كمطلق اللون مثل التشبيه ايضا كتشبيه الصبح بغرة الفرس
متى ازيد ظهور منير في مظلم اكثر ذلك المنير من غير قصد الى المبالغة في وصف
غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلالؤ اذ لو قصد شيء من ذلك
لوجب جعل الغرة مشبها والصبح مشبها به لانه ازيد في ذلك ويمكن ان يكون
هذا التشبيه من باب تشبيه احاد من الجمل باخرى مثلها بان يشبه كل
من النيرين بالسراج المنير ويشبه من يستضيء بنورهما وينتفع بهما من
البرية بمن يستضيء بنوره وينتفع به وازالتهما الظلمة واظهارهما الاشياء
مع ظهورهما بنفسهما بازالته الظلمة واظهاره الاشياء وظهوره بنفسه
الى غير ذلك من الاعتبارات ويمكن ان يكون من باب تشبيه الهيئة الحاصلة
من احاد جمل باخرى مثلها مثل قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن
على بساط ازرق فانه يمكن فيه اعتبار كل من التشبيهين وان كان الثاني احسن

ولما كان السراج في الاصل مصدرا لم يثنه او يقال لما كان اتصاف احدهما بالسراجية
في وقت لم يجامع وقت اتصاف الاخر بها افرد تنبيها على ذلك او هو جنس يطلق
على الواحد والمثنى او حذف في احدهما للظهور اى جعلت الشمس للبرية سراجا
والقمر ايضا نورا او سراجا من غير ان تمارس فيما ابتدعته لغوبا ولا علاجا كلمة
غير وضعت للمغايرة وهي مستلزمة للنفي فتارة يراد بها اثبات المغايرة كما في
المغضوب عليهم ولا الضالين فيكون اثباتا في حكم النفي لتضمنه اياه فيجوز
تاكيده بلا واخرى يراد بها النفي كقولك انا غير ضارب زيد اى لست ضاربا له
لا انى مغاير لشخص ضارب له فلفظة لا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي و
مارسه عالجه وزاوله كذا في القاموس والابتداع الاختراع لا على مثال
سابق وكل خلق لا على مثال سبق فهو مبدع بفتح الدال وخالقه مبدع بكسرها
وفي كلامه لصاحب الدعاء جعلت له الفداء مذكور في اصول الكافي في باب
جوامع التوحيد ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكل صانع
شئ فمن صنع شئ والله لا من شئ صنع ما خلق والغرض انه تعالى خلق الخلق الاشياء
واوجده ابتداء من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر لان الصانع البشرية
انما تحصل بعد ان ترسم في الخيال صورة المصنوع وتلك الصورة تحصل
تارة عن مثال خارجي يشاهده الصانع ويحذو حذوه وتارة بمحض الالهام فانه
كثيرا ما تفاض على اذهان الاذكياء صور اشكال لم يسبقهم الى تصورها غيرهم

فيصورونها

فيصورونها في الخارج وكيفية صنع الله عز وجل منزهة عن الوقوع على هذين
الوجهين اما الاول فلانه تعالى كان ولم يكن معه شئ ولا قبله فلا يكون خلقه
مسبوقا بمثال من صانع اخر صنع هو مثل صنعه واما الثاني فلان الفاعل على
نحو ما الهم وان كان مبتدعا ومخترعا في الظاهر لكنه في الحقيقة ليس هو المبتدع
وانما المبتدع هو مفيض تلك القوة وملهمها وهو مفتقر في الحقيقة الى الغير
الذى الهمه وافاض على ذهنه صورة ما ابتدعه ظاهرا والله سبحانه منزه عن الافتقار
والاحتياج فلم يكن صنعه بهذا الوجه ايضا وفي بعض النسخ فيما ابتدات به بالهمزة
والمراد به الابتداء الدهري والزماني لو كان له معنى واذا لم يوجب ابتداء الخلق من
غير مادة نصبا ولا تعبا فبان لا توجبه الاعادة لسبقها بالمادة اولى افعيينا بالخلق
الاول بل هم في لبس من خلق جديد واللغب واللغوب النصب والتعب والاعياء
والعلاج العمل بالجوارح تقول عالجت الشئ معالجة وعلاجا اذا زاولته والمراد
انه صدرت منه تعالى تلك الافاعيل العظيمة وظهرت عنه هذه الاثار العجيبة الغريبة
المتحيرة فيها اذهان الاذكياء من غير ان يزاولها ويعالجها بالاعضاء كما توهمه
الكفرة الفجرة المجسمة والمشبهة ومن نحى نحوهم ومن دون ان يتحمل فيها نصبا
ولا تعبا كما هو شان القوى المادية الجسمانية فانها تعجز او تكل عند تكثر الافعال
وتوارد الاعمال لتاثرها وانفعالها فهى لا تقدر على افعال غير متناهية بخلاف
القوى المجردة عنها وخاصة القدرة القديمة الواجبة فهو سبحانه ابتدع بقدرته

الخلق ابتداعا واخترعهم اختراعا وكوّنهم بارادته تكوينا واحدثهم بحكمته احداثا على مشيّته
من غير مزاولة بالاعضاء والمعالجة بالجوارح ومن غير ان يمسّه فيما فعله نصب ولا
تعب واليه يشير قوله عزّ من قائل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستّة
ايّام وما مسّنا من لغوب تذنيب روى رئيس المحدّثين في كتاب العلل باسناده
عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء في حديث طويل انّه قام رجل من اهل الشام
فقال يا امير المؤمنين انّي اسئلك عن اشياء فقال سل تفقّها ولا تسئل تعنّتا
فاحدق الناس بابصارهم فقال اخبرني عن اوّل ما خلق الله تع تبارك فقال خلق
النور قال ثمّ خلق السموات قال من بخار الماء قال فمم خلق الارض قال من زبد
الماء قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج والحديث طويل اخذنا منه موضع
الحاجة ونقل عن ناليس المسلطي انّ اوّل ما ابدعه الله تع من الاجسام هو الماء
لانّه قابل لكلّ صورة ثمّ حصل الارض منه بالتكثيف والهواء والنار بالتلطيف
اذ الماء اذا لطف صار هواء وتكوّنت النار من صفوة الماء والسماء تكوّنت
من دخان النار ويقال انّه اخذه من التورية لانّه جاء في السفر الاوّل منها
انّ الله خلق جوهرا فنظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء ثمّ ارتفع
منه بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد فخلق
منه الارض ثمّ ارساها بالجبال ونقل صاحب الملل والنحل عن ناليس المسلطي
انّه قال انّ المبدع الاوّل ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات و

المعدومات كلّها فانبعث من كلّ صورة موجودة في العالم على المثال الذي
في العنصر الاوّل فمحلّ الصورة ومنبع الموجودات هو ذات العنصر وما من
موجود في العالم العقلي والعالم الحسّي الا وفي ذات العنصر صورة ومثال منه
ثمّ قال ومن العجب انّه نقل عنه انّ المبدع الاوّل هو الماء ومنه ابدع الجواهر
كلّها من السماء والارض وما بينهما فذكر ان من جموده تكوّنت الارض و
من انحلاله تكوّن الهواء ومن صفوة الهواء تكوّنت النار ومن الدخان و
الابخرة تكوّنت السماء ومن الاشتعال الحاصل من النار الاثير تكوّنت الكواكب
فدارت حول المركز دوران المسبّب على السبب بالشوق الحاصل اليه ثمّ
قال ان ناليس المسلطي انّما تلقّى مذهبه من المشكاة النبويّة يعني ما نقل
عن التورية اقول ظاهر ما نقل عنها وصريح ما نقل ناليس الملطي يفيد ان
ذلك الجوهر او ذاك الماء اوّل ما ابدعه الله من الجواهر الجسمانيّة فلا
منافاة بينه وبين الروايات من العامّة والخاصّة انّ العقل اوّل مخلوق
ابدعه الله تع فمنها ما في الكافي عن سماعة عن ابي عبد الله الصادق ع قال
انّ الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو اوّل خلق من الروحانيّين عن يمين
العرش من نوره والظاهر انّ المراد بالعقل في هذه الروايات هو النفس
المجرّدة وتسميتها بالعقل من باب تسمية المحلّ باسم الحالّ اذ العقل
باصطلاح اهل الشرع غريزة نفسانيّة ملكة لما فيه صلاح النفس في

فی النشأة الاخرة ولیس المراد به ما اصطلح علیه الفلاسفة من العقول العشرة
اذ العقل باصطلاحهم جوهر مجرّد فی ذاته وفعله والروایة الصحیحة الواردة
فی الطرفین صریحة فی انّ المراد به امّا النفس او قوّة قائمة بها حیث قال ولا
اکملنّك الّا فیمن احبّ امّا انّی ایّاك امر وایّاك انهی وایّاك اعاقب وایّاك
اثیب وقوله ع ثمّ قال له اقبل فاقبل ثمّ قال له ادبر فادبر محمول امّا علی الاستعارة
التمثیلیة بتشبیه الهیئة الحاصلة من القاء اوامر الله ونواهیه الی النفس وتلقّیها
ایّاها بالقبول بالهیئة الحاصلة من امر السیّد عبده المطیع له فیما یأمره وینهاه
فتارة یأمره بالاقبال فیقبل واخری بالادبار فیدبر او علی الاستعارة التبعیة
فالاقبال استعارة عن الاتیان بالاوامر والادبار عن الانتهاء عن النواهی فان
قلت قد ورد عن النبیّ علیه واله السلام انه قال اوّل ما خلق الله نوری وفی خبر اٰخر
روحی وفی اخری اوّل ما خلق الله القلم فکیف التوفیق بین هذا الخبر وهذه الاخبار
قلت اوّل ما خلقه الله نفس النبیّ صلعم ومن حیث انّها تدرك الاشیاء کما هی عقل
ومن حیث انّها یهتدی بها نور ومن حیث انّها باعث حیوة الخلق بالمعرفة
والعبادة روح ومن حیث انّها مظهر الحقائق والدقایق قلم واما قول بعض
الحکماء انّ النفوس حادثة بحدوث البدن فغیر مسلّم وکثیر من الروایات ناطقة
بخلافه منها صحیحة بکیر بن اعین عن الباقر ع المذکورة فی الکافی خلق الله ارواح
شیعتنا قبل ابدانهم بالفی عام ولا استبعاد فیه اذ کما یجوز تعلّق الارواح بعد

خراب هذه الابدان بابدان مثالیة جاز تعلّقها بها قبل تعلّقها بهذه الابدان
کما دلّ علیه کثیر من الاخبار منها قول ابی جعفر ع انّ الله خلق الخلق ثمّ فرّقهم
فی الظلال قال السائل قلت وایّ شیء الظلال قال الم تر الی ظلّك فی الشمس
ولیس بشیء هذا ولما دلّت الفقرات السابقة علی انّه تعالی واجب الوجود لذاته
متوحّد فی فعله غالب علی غیره اذ صدور تلك الافاعیل العظام وخاصّة ابتداء
الخلق وابتداعه من غیر لغوب من القدرة الممکنة غیر ممکن ولا کلام فی انّ من هذا
شانه فهو باق بعد انه قاهر علی غیره فرّع علیه قوله فیا من توحّد بالعزّ والبقاء تفرّد وطلب
من نفسه ان تکون واحدا والعزّ خلاف الذلّ والعزّة فی الاصل القوّة والشدّة
والغلبة والرفعة والامتناع یقال عزّ یعزّ بالکسر اذا صار عزیزا وعزّ یعزّ بالفتح
اذا اشتدّ والعزیز المنیع الذی لا یغلب ویقال من عزّ بزّ ای من غلب سلب وعزّة
تعالی عبارة عن قدرته وغلبته علی الممکنات وبقی الشیء من باب رضی بقاء بالمدّ
فهو باق لم ینفد ما عندکم ینفد وما عند الله باق والبقاء صفة الوجود وهو
استمراره او هو وجود مخصوص فانّه وجود مستمرّ وبقاؤه تعالی عین ذاته فاستحال
ان یسبقه عدم او یلحقه انقطاع بل هو باق ازلا وابدا وان مرّت الدهور والاعوام
ومضت الازمان والایّام اذ لا غایة له من الزمان ینتهی الیها ولا مدّة مضت وبقی
منه یقف علیها کما یکون للزمانیات من زمانها لانّ الدهور والاعوام و
الازمان والایّام من جملة مخلوقاته ووجوده تعالی وان کان مساوقا لوجود الزمان

بمعنى انه معه فى الوجود اذ كان هو موجده وخالقه الا ان مساوقة الزمان لا
يقتضى الكون فى الزمان كالعالم فانه مع الحركة لا فيها واذا كان تعالى ليس
فى الزمان لم يكن له غاية منه يقف عندها فثبت انه تعالى باق دائم على مر الدهور
والازمان والشهور لان الواجب بالذات ممتنع العدم دائما فان كل ما كان
واجب الوجود لذاته فى وقت فهو واجب الوجود فى جميع الاوقات ازلا
وابدا مادام الذات لان الواجب بالذات ما كان مجرد ذاته كافيا فى كونه واجبا
وكل ما كان مجرد ذاته كافيا فى كونه واجبا وجب وجوده فى كل وقت اذ لو وجب
فى وقت دون وقت لزم اما الترجيح بلا مرجح او الوقوع لسبب وهو قد فرض
والباقى من اسمائه تعالى بما لا سبيل عليه للفناء او الذى لا يعرض له عوارض الزوال
ولا ينتهى تقدير وجوده فى الاستقبال ويعبر عنه بانه ابدى الوجود لان
بقاءه غير متناه ولا محدود وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار و
دوامهما لان بقاءه ابدى ازلى وبقاءهما ابدى غير ازلى وليس المراد ببقائه استمرار
وجوده من حيث انتسابه الى الزمان الثانى كما هو المشهور فى تفسيره و
جوزه بعض الفضلاء المتاخرين المائلين الى القول بالزمان الموهوم كما اشرنا
اليه نعم يمكن تصحيح المعنى المشهور على القول بالزمان التقديرى كما اومانا
اليه فى بعض رسائلنا المعمولة لتحقيق الدهر فليطالع من هناك وقهرهم
بالموت والفناء القهر الغلبة والقهار من صفاته تعالى والعباد جمع عبد و

الكثر ما

اكثر ما يطلق على المملوك وقد يطلق على الانسان حرا كان او رقيقا قال صاحب
المحكم يذهب بذلك الى انه مملوك لباريه عز وجل قال سيبويه هو فى الاصل
صفة قالوا رجل عبد ولكنه استعمل استعمال الاسماء وقال الجوهرى واصل
العبودية الخشوع والذل وللعبد عشرون جمعا اشهرها عباد وعبيد واعبد
وجعل بعضهم العباد لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين والمراد بالعباد هنا
جميع ما سوى الله تعالى لاشتراك الكل فى الامكان المصحح لطريان العدم يعنى
انه تعالى يجعلهم مقهورين مغلوبين باماتتهم وافنائهم وتبصر وهو بالبقاء
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام والتعبير بصيغة الماضى
للدلالة على تحقق وقوعه كانه امر وقع وتحقق ومن لا يقول باعادة المعدوم
بعينه بل بتفرق اجزاء الجسم وخروجها عن حيز الانتفاع يأوله بان ما سواه تعالى
دائما فى التغير والتبدل وفى معرض الزوال والفناء وهو تعالى من حيث الذات
والصفات باق ازلا وابدا من حيث لا يلحقه شائبة تغير اصلا فكل شىء فان
الا ذاته تعالى وهذا مضمون رواية صحيحة رواه ثقة الاسلام فى اصول الكافى و
جماعة من المتكلمين على ان الموت فعل من الله او من الملك يقتضى زوال حيوة
الجسم من غير جرح وجمهور المعتزلة القائلين بان النفس جسم لطيف بخارى
يتكون من الطف اجزاء الاغذية وينفذ فى العروق والضوارب والحيوة
عرض قائم بالنفس وحال فيها قالوا وكيفية قبض ملك الموت للنفس انه

يلج في فم الانسان الى قلبه لانه جسم لطيف هوائي لا يتعذر عليه النفوذ في
المخارق الضيقة فيخالط النفس التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف
بخاري ثم يخرج من حيث دخل والنفس معه وانما يكون ذلك في الوقت الذي
ياذن الله تعالى فيه وهو حضور الاجل وهؤلاء نافون للنفس المجردة واما
المثبتون لتجردها كاعاظم الحكماء الالهيين واكابر الصوفية العارفين وجمع
من المتكلمين كفقهاء اصحابنا الامامية مثل ابن بابويه والمفيد والمرتضى وبني
نوبخت والغزالي والفخر الرازي وغيرهم فحقيقة الموت عند هؤلاء انقطاع
تعلق النفس بالبدن وتصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به وكيفية قبض
ملك الموت لها انه يتولى افاضة العدم على قوى هذا البدن حال انقطاع تعلق
النفس به وعلى هذا فيكون خروج النفس عن ابدانها كما ورد في بعض الآيات
والروايات كناية عن مفارقتها لها وانقطاع تعلقها بها ولما كانت النفس
منغمسة منغمرة في عوارض البدن وعلائقه المادية وملاحظتها اياه دائما
لا تنفك عن الالتفات اليه ما دامت متعلقة به لسعيها في مصالح هذا المزاج و
اصلاحه واعدادها اياه لتمام التصريف والاستعمال كانت كانها حالة فيه
حلول الساكن في الدار القائم بمصالحها فعبر عن القائها اياه وطرحها له وتخليها
عنه بالخروج عنه فالموت عند الاولين من المتكلمين كما سبق وجودي واستدلوا
عليه بكريمة خلق الموت والحيوة ليبلوكم فان المعدوم لا يوصف بالخلق والحق ان

المراد به احداث اسبابه على حذف المضاف وله اسباب منها ما به يفسد مزاج
القلب من البرد الشديد او كيفية مفرطة من الكيفيات المعلومة او كيفية غريبة
سمية او احتباس مادة النفس والبرسمون في الاكثر يموتون لعدم النفس
هذا وفني المال نفي من باب تعب نفد ويتعدى بالهمزة فيقال افنيته
والقول بان الله خلق الفناء فيفني به الاجسام جميعا لكونه ضدا لها ليس
لشيء لانه لو كان قائما بذاته كان جوهرا ولو كان قائما بغيره فاما جوهر او شيء
وعلى التقديرين لا يكون ضدا للجوهر فلا ينافيه تبصرة قال بعض المحققين
اعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا
تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الآلة التي الضيقة
وان الروح باقية بعده كما شهدت البراهين العقلية والاخبار النبوية
المتواترة ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع
به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج الى آلة فهي معطلة عنه بعد مفارقة
البدن الى ان تعاد اليه في القبر او يوم القيمة وما كان لها بنفسها من غير آلة
فهو باق معها تتنعم به وتفرح او تحزن من غير حاجة الى هذه الآلة في بقاء
تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة التي
سميناها بالموت مثل فقيل كما ان بعض اعضاء المريض يتعطل بحسب فساد
مزاج يقع فيه او بحسب شدة تعرض للاعصاب فيمنع نفوذ الروح فيها

فيكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصر عليها منها فكذلك
الموت عبارة عن استعصار جميع الاعضاء وتعطلها وحاصل هذه المغايرة
يعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والالات والتعينات الدنيوية
من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن
الانسان او يسلب هو عنها اذا كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب
مال الرجل وسبى ذرّيته وقد يحصل بسلبه ونفيه عن اهله وماله فالموت بالحقيقة
هو سلب الانسان عن اموال الدنيا عاجلة الى عالم اخر فان كان له فى هذا العالم شيء
يانس به ويستريح اليه فيقدر عظم خطره عنده تعظم تحسّره عليه فى الاخرة ويكون
سبب عظم خطره عنده ضعف تصوّره لما اعدّ للابرار المتقين فى الاخرة مما
يستحقر فى القليل منه اكثر نفائس الدنيا فامّا ان كان عين بصيرته مفتوحة
حتّى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلى
بينه وبين محبوبه فقطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف
له هناك ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما يشاهد
المستيقظ ما راه فى النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولذلك كان الموت
راحة للمؤمنين ومحبوبا للمتقين كما اشار اليه سيد المرسلين صلوات الله عليه
واله اجمعين ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله صلى الله على محمد علم منقول من
اسم المفعول المضعف سمى به نبينا الهاما من الله وتفؤلا بانه يكثر حمد الخلق له

والانقياد

والانقياد المتنزهين عما يشغل سرهم عن الاقبال عليك والمتبتلين بسرائرهم
اليك وهذا هو التقوى الحقيقى المعنى بقوله تع واتقوا الله حق تقاته وقد سئل
بعض اهل البيت سلام الله عليهم عن معناه فقال هو ان لا يراك الله حيث نهاك ولا
يفقدك حيث امرك فالتقى من يجتنب المنهيات باسرها ويرتكب المامورات باسرها
وقد يراد به من يتوقى من العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك فله ثلث مراتب والمعروف
باسم التقوى فى عرف الشرع هو المرتبة الثانية والتقوى فى اللغة بمعنى الاتقاء
وهو ايجاد الوقاية من المحذورات وعند اهل الحقيقة هى الاحتراز بطاعة الله
عن عقوبته وقيل هى وقاية النفس عما تضره فى الاخرة من اعتقاد وعمل وخلق
وقال بعض العلماء التقوى بحسب العرف الشرعى تعود الى خشية الحق سبحانه
المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها
وتنحيه ما دون وجهه القصد وقيل ان خيرات الدنيا والاخرة جمعت تحت
لفظة واحدة وهى التقوى انظر الى ما فى القران الكريم من ذكرها فكم علق عليها
من خير ووعد لها من ثواب واضاف اليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية
ولنذكر من خصالها واثارها الواردة فيه اثنتى عشرة خصلة الاولى المدح و
الثناء قال تع وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور الثانية الحفظ
والحراسة قال تع وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الثالثة التاييد
والنصر قال تع ان الله مع الذين اتقوا الرابعة النجاة من الشدائد والرزق

الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامسة
صلاح العمل قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم
السادسة غفران الذنوب قال تعالى ويغفر لكم ذنوبكم السابعة محبة الله قال تعالى
ان الله يحب المتقين الثامنة قبول الاعمال قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين
التاسعة الاكرام والاعزاز قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم العاشرة البشارة
عند الموت قال تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا و
في الاخرة الحادية عشر النجاة من النار قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا الثانية عشر
الخلود في الجنة قال تعالى اعدت للمتقين فقد ظهر لك ان سعادة الدارين
منطوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير انتهى
والاتقياء جمع تقي وهو المجتنب عن المعاصي وقال الشهاب الفيومي رجل تقي
زكي وقوم اتقياء وتقي يتقي من تعب تقاة واتقاء والاسم التقوى واصل التاء
واو لكنهم قلبوا انتهى واصل تقي وقي قلبت الواو تاء كما في تخمة وتراث واسمع
ندائي سماع قبول واجابة والا فهو سبحانه سميع لا يشغله صوت عن صوت ولا
شأن عن شأن وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت و
النطق والسكوت فيكون المراد بالسماع الاجابة والقبول وهو في الاستعمال
شائع يقال فلان سامع اي سامع لما يؤمر به كانما كان سمع طاعة وقبول
ومنه قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا وقال بعض العلماء اصل السماع الاصغاء

لكنهم استعملوه في الاجابة وقبول الامر كثيرا كما تقول سمع فلان ما قلت له ومنه
قولهم سمع القاضي البينة اي قبلها انتهى ومن هذا القبيل قوله صلعم اذا سمعوا خيرا
ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وقول الاخر صم عن الشيء الذي لا اريد
واسمع خلق الله حين اريد والمشهور في الاستدلال على كونه تعالى سميعا قطع
النظر عما علم ضرورة من دين نبينا عليه واله السلام من كونه سميعا ان كمال الحي
ولا سيما كونه مع كمال التجرد يقتضي ادراك المسموعات وليس سمعه تعالى من صفات
الفعل المتعلقة بالموجود العيني ليكون حادثا بعد الوجود بل هو من صفات الذات
فيكون قديما يمكن تعلقه بالمعدوم كسائر العلوم وبعد وجود المسموع يتعلق
من حيث الوجود والحضور ولا تفاوت بين حضوره باعتبار الوجود وعدمه
فيما يرجع الى هذه الصفة نعم لما كان هذا النوع من الادراك في الانسان مثلا
مشروطا بشرائط لا يتصور في المعدوم لم يكن تعلقه به ولا يشترط شيء منه في
سماعه تعالى فلا يستحيل تعلقه بالمعدوم وقال المحقق الطوسي لما كان السمع والبصر
الطف الحواس واشدها مناسبة للعقل عبر بهما عن العلم ولاجل ذلك وصف
البارى تعالى بالسميع والبصير دون الشام والذائق واللامس وعنوا بهما العالم
بالمسموعات والمبصرات واستجب دعائي اجب واستجب بمعنى ولعله اراد الايماء
بذلك الى قوله تعالى ادعوني استجب لكم وللاجابة شرائط واداب من طرف الداعي
اذا اختل واحد منها لم يجبه منها اخلاص النية وحضور القلب والاستكانة

والخشوع والصدق والالحاح وحسن الظن بالله وتعلق القلب به وقطعه عن
الاسباب ومن اسبابه الصلوة على رسول الله صلعم واهل بيته عليهم السلام فلا
ينبغي له الترك واليأس بل الواجب عليه اصلاح سره وحاله ليكون مطابقا لمقتضى
الحكمة والمصلحة فيجيبه وقد يجيب ويؤخر لضرب من المصلحة ولو لم يستجبه يعوضه
اما في الدنيا او الآخرة كما اشار الى ذلك صاحب الدعاء جعلت له الفداء في
وصيته لابنه الحسن عليهما السلام حيث قال ولا يقنطنك ابطاء اجابته فان
العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل
واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا
او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك
لو اوتيته فانظر كيف عد عليه السلام لتأخر الاجابة اسبابا لئلا يحصل اليأس للسائل
عند تأخرها فلا يقنط من رحمته تعالى واما ما يقال اي فائدة في الدعاء لان المطلوب
منه ان كان مقدرا اوجب وقوعه وان لم يدع له وان لم يكن مقدرا امتنع وقوعه
وان كثر فيه دعائه فجوابه معلوم لانه تعالى اذا قدر شيئا ان لا يقع الا بالدعاء
امتنع وقوعه الا بالدعاء وعدم دعائه دليل على عدم كونه مقدرا له وقد جاء
في الخبر عن سيد البشر انه سئل انحن في امر فرغ منه او في امر مستانف فقال
نحن في امر قد فرغ منه وفي امر مستانف واما من دعائه لا يلزم من دعائه ان يصل
اليه ما قدر وصوله اليه بالدعاء فان الدعاء وحده ليس بسبب موجب بل

يحتاج

يحتاج وصوله اليه الى شرائط اخر كما سبق هذا والدعاء بالضم والمد والنداء
متقاربان بل مترادفان لان الدعاء لغة النداء والاستدعاء يقول دعوت
فلانا اذا ناديته وصحت به لان اصله الصياح والدعوة المرة واصطلاحا
طلب الادنى للفعل من الاعلى على جهة الخضوع والاستكانة وقيل هو الرغبة
الى الله تعالى وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع وقد يطلق على
التمجيد والتقديس لما فيه من التعرض للطلب سئل عطاء عن معنى قول النبي صلعم
خير الدعاء دعائي ودعاء الانبياء من قبلي وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
وليس هذا دعاء وانما هو تقديس وتمجيد فقال هذا امية ابن الصلت يقول في
ابن جدعان اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء فيعلم ابن جدعان
ما يراد منه بالثناء عليه ولا يعلم رب العالمين ما يراد منه بالثناء عليه وحقق
بفضلك املي ورجائي امر من حق بمعنى ثبت اي اجعله محققا مقضيا او من
حق الامر بمعنى تحققه فالمقصود حينئذ انه اجعله متحققا متيقنا بحيث لا يكون
مشكوكا لي والفضل الزيادة والسعة واصله ان يبقى من الشيء زيادة لا يحتاج
اليه وفضله تعالى افاضة جوده وكرمه ابتداء من دون سابقة استحقاق فاذا عرف
العبد سعة رحمته وفيضه ولطفه ورأفته واحسانه وجوده ولمشاهدته احراز
نعمه عليه ظاهرة وباطنة جلية وخفية صورية وعنصرية منذ كونه جنينا

فى وطن امنه بلا سبق واستحقاق ولا تقدم استيهال كان ذلك موجبا لسكون نفسه
اليه باعثا على رجائه دليلا على توقع قضاء حاجته منه واسعافه بمأموله فلا جرم جعل
ذلك سببا للسؤال والامل محركة الرجاء فالعطف تفسيرى يا خير من دعى لكشف
الضر والمأمول صرف الداعى للتعميم لانه تعالى يدعوه ويساله من فى السموات والارض
كما اشار اليه فى كتابه الكريم والكشف وهو المدعو له كالضرب رفع الشىء عما يواريه
ويغطيه وبعبارة اخرى رفع الستر والحجاب عن الشىء ومنه الكشاف واضافة
المصدر الى المفعول اى لكشفه الضر وفيه استعارة بالكناية وترشيح او استعارة
تمثيلية مرشحة بان شبه الهيئة الحاصلة من احاطة الضر بالمضطر واصطحاب احدهما
الاخر بالهيئة الحاصلة من احاطة الستر المستور واصطحاب احدهما الاخر ومن
اسمائه تعالى كاشف الضر معناه المفرج الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف عنه
السوء والضر بفتح الضاد خلاف النفع وبالضم الهزال وسوء الحال وضره واضره
بمعنى والاسم الضر والمأمول معطوف على الكشف اى لحصوله وقضائه وانجاحه
ففيه اشارة الى انه تعالى مدعو لامرين دفع الضر وجلب النفع لكل عسر ويسير
صعب وسهل وجليل وحقير لانه ينبغى للعاقل ان يرجع فى كل حوائجه الى ربه
وينزلها به جليلة كانت او حقيرة ولا يأنف من رفع المحقرات اليه فانه غاية التوكل
عليه يا موسى سلنى كلما تحتاج اليه حتى علف شاتك وملح عجينك والعسر ضد
اليسر وهو الضيق والشدة والصعوبة فاليسر هو السعة والرخاء والسهولة قال

اسحق بن بهلول القاضى فلا تيأس وان اعسرت يوما فقد ايسرت فى دهر طويل بل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل وان العسر يتبعه يسار وقول الله
اصدق كل قيل اعلم ان من اسباب اجابة الدعاء ان لا يعتمد الداعى على غير الله تعالى
اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون
له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل له شيئا الا اعطاه يا عيسى
سلنى ولا تسأل غيرى فيحسن منك الدعاء ومنى الاجابة والى ذلك اشار بقوله
بك لا بغيرك انزلت حاجتى لانه ليس لانجاح بغيتى واسعاف طلبتى قادر سواك
فتقديم الظرف لافادة التخصيص والحصر وذلك لانه تعالى لما كان له خزائن السموات
والارض وكان امرها بيده لا معطى ولا مانع الا هو وقد امر بالدعاء وتكفل بالاجابة
وكانت له القدرة التامة التى لا يعجزها شىء والجود الذى لا يخل فيه والغنى الذى
لا فقر معه لا ينقصه عطاء ولا يضره منع لا جرم من طلب اصلاح خلته وجبر فاقته
من عنده ورام صرف الفقر عن نفسه به طالب الحاجة من موضعها الذى يعلم
انها فيه وقصد ما طلبه من جهته التى يقصد منها فكان حريا بالنجح لما سال
وجديرا بالظفر بما طلب واما من توجه بحاجته الى احد من المخلوقين واناخ مطايا
الرجاء والطلب فى ساحة فقير عاجز مثله او جعله سببا لنجاحها والظفر بها معتمدا
عليه دون الله فقد تصدى للمنع وفوت الاحسان منه تعالى اذ لم يأت حاجته
من الوجه الذى ينبغى ان يأتيها منه ولم يطلبها من محلها الذى هى فيه ومن

النمس الشيء من غير محله واتاه من غير جهته لم يظفر الا بالحرمان ولم يحصل الا على نيل المطلب روى ان اباعبدالله ع قرا في بعض الكتب ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مومل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ايومل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد اذني فمالي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي ما لم يسالني ثم انتزعته منه فلم يسالني رده وسال غيري افتراني ابدا بالعطاء قبل المسئلة ثم اسال فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي اوليست انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني في هذا المعنى

احاديث

احاديث اخر ورتها العامة والخاصة لا يتوقف العالم عالم الاسباب فكيف نذم من رجع الى الغير لظنه انه سبب لانا نقول الذم باعتبار ان قلبه تعلق به واعتمد عليه واما من لم يركن اليه ولم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر انه غير مذموم والاولى مع ذلك ان يرجع الى الله فان شاء ان يكون قضاء حاجته على يد احد جعله وسيلة له شاء او لم يشأ هذا وانزل بالمكان حل به والمراد بانزل الحاجة به تم عرضها عليه واستدعاء انجاحها منه فهو في الكناية والترشيح لان الحاجة عرض لا يتصف بالنزول لان الصعود والنزول والحركة والسكون وما شاكلها من صفات الاجسام فلا يتصف بها الا ما تحيز بالذات والغالب ان النزول موصول بالى او على الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب نزل به الروح الامين على قلبك ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا فاجعل اللهم صباحي هذا نازلا علي بضياء الهدى ان الله تعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا اي رحمته والطافه او ملائكته فلعل الوجه ان استعمال النزول معهما انما يكون اذا كان النازل في جهة عالية والمنزول عليه على خلافها كما في الاية والرواية واما اذا كان الامر بالعكس فلا بد من وصلها بالباء لتدل على نحو من المقاربة حقيقة او حكما ومنه نزلت بك وانت خير منزول به والا فليس له تعالى منزل ومكان ليتصور النزول به حقيقة فهو مجاز عن القرب الحاصل بالتبتل والانقطاع عن غيره والتوكل عليه او هو مبني

على الكناية والترشيح بتشبيهه تع عن ذلك تعظيم لشدّ اليه الرّحال وينزل عليه الرحال
ولمّا حصر طرائق انجاح مطالبه ومسالك افاضته مسائله وما به عليه تعو
هو جلّ ذكره كريم لا ينبغي له ان يرد الطالب والسائل عن بابه خائبا كيف وقد قال
في كتابه العزيز واما السائل فلا تنهر فرّع عليه قوله فلا تردّني من سني مواهبك
خائبا السني فعيل من السناء وهو الرفعة ومنه بشّر امتي بالسناء اي بارتفاع
المنزلة والقدر عند الله تع وقد سني يسنى سناء اي ارتفع وامّا السّنى بالقصر
فهو الضوء اي من مواهبك الرفيعة فالافاضة من باب جرد قطيفة والهبة
العطية الخالية عن الاعواض يقال وهبت له شيئا وهبا وهبة والاسم الموهوب
والموهبة بالكسر وخائبا حال عن ضمير المفعول وقد مرت الخيبة مفسرة والظرف
مع المضاف اليه متعلق به اي لا ترجعني في حال خيبتي من عطيائك السنية
وعن الباقر ع ما بسط عبد يديه الى الله عز وجل الا استحيى الله ان يردها صفرا
حتى يجعل فيها من فضله ورحمته ما يشاء فاذا دعا احدكم فلا يرد يده حتى
يمسح بها على راسه ووجهه وفي دعائهم عليهم السلام ولم ترجع يد طالبة صفرا
من عطائك وخائبة من نحل هباتك يا كريم يا كريم ثلثا قيل اذا عيّن ذكر
لعدد مخصوص فلا ينبغي ان يتجاوز الداعي العدد المنصوص عليه ولا ينقص منه
فان الظاهر ان الثواب والاثر المترتب على عدد معين لا يترتب على الاكثر منه او
اقل به صرح ابن طاوس وغيره وقد مثل له بانه اذا قال لك الصادق القول على

ما نزل

من هذا المقام عشرة اذرع فحيث انتهى كان فيه كنز فلا شبهة في انه لا يمكن تحصيله
فيما فوق العشرة ولا دونها انتهى والكرم يطلق على ضد اللؤم ويطلق على الجود و
هو المراد هنا قال ابن الاثير من اسمائه تع الكريم وهو الجواد المعطي الذي لا ينفد
عطاؤه ولما كان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته لم يخيّب سائلا عن حاجته
وان عظم خطره وجلّ قدره اذ لا اثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده بل جوده
غير متناهية وكرمه غير محدود وحكي ابو القاسم الدمشقي قال كنت واقفا على حلقة
الشبلي في جامع المدينة فوقف سائل على حلقته وجعل يقول يا الله يا جواد
فناداه الشبلي وصاح فقال كيف يمكنني ان اصف الحق بالجود ومخلوق يقول
في مثله تعوّد بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله تراه اذا ما
جئته متهللا كانك تعطيه الذي انت امله ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد
بها فليتق الله سائله هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والبر ساحله
ثم بكى وقال بلى يا جواد انت الجواد فانك اوجدت تلك الجوارح وبسطت
تلك الهمم ثم مننت بعد ذلك على قوم بالاستغناء عنهم وعما في ايديهم فانت
الجواد كل الجواد فانهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حدّ له ويفتقرون
اذا اعطوا ولا تفتقر من العطاء ولا تعجز عن الجزاء فيا جوادا يعلو كل جواد وبه
جاد من كل جاد هذا والكريم الكثير الخير ونخلة كريمة اذا طاب حملها او كثر
والعرب تسمي الذي يدوم ويسهل منا وله كريما ومن كرمه تع انه يبتدئ بالنعمة

بالنعمة من غير استحقاق ويغفر الذنوب ويعفو عن المسيء وقيل الكريم المعطي و
قيل انه الصفوح وقيل معناه العلي الرتبة ومنه كرائم المواشي لنفائسها وقال الكلوذي
الكريم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه فالله تعالى كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه
والقران كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء اولئك لهم مغفرة ورزق كريم هو نعيم
الجنة المقرون بالدوام واللذة وقيل الكريم العزيز كما تقول فلان اكرم على من
فلان اي اعز وقوله تعالى انه لقران كريم اي عزيز وقيل اي كثير الخير دال على انه من
عند الله والجواد هو المنعم المحسن الكثير الانعام والاحسان والفرق بينهما ان
الكريم هو الذي يعطي مع السؤال والجواد هو الذي يعطي من غير السؤال وقيل بالعكس
والمراد تعالى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله
بقدر ما يقبله وهذا من باب تعليق الامر على الوصف ليدل على علية وذلك انه تعالى
لما كان كريما والكريم اذا وعد وفا وهو سبحانه قد وعد الاجابة للدعاء فقال ادعوني
استجب لكم فليس الا اتقاء بوجه الكريم وفضله الجسيم ان يرد سائله من عطائه
العميم واحسانه العظيم فلا تردني من سني مواهبك يا كريم برحمتك يا ارحم الراحمين
الذي سبقت رحمته غضبه وهو الذي كتب على نفسه الرحمة والباء للاستعطاف
او للسببية اي فلا تردني خائبا بسبب رحمتك التي وسعت كل شيء لا باستحقاق
مني وتعقيب الدعاء بهذا النداء توقعا للحصول للمطلب واستعطافا بوصفه
الدال على انه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا مضرة يدفعها عنه

وكل رحيم

وكل رحيم سواه فرحمته لغرض من الاغراض اما ثناء دنيويا او اجزاء اخرويا
او للرقة الناشية من الجنسية او نحو ذلك على ان تلك الرحمة ايضا يتوقف
على داعية يخلقها الله تعالى فيه والافات والالام التي تراها في هذا العالم لا تنافي
رحمته تعالى لان كلها مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية
في الوجود لاشتمالها على خيرات اكثر من الشرور ومما يناسب ايراده هنا ما رواه
بعضهم انه اوقف على صبي في بعض الغزوات ينادي عليه بمن يزيد في يوم صائف
شديد الحر فبصرت به امراة وهو ينادي عليه فعادت مسرعة اليه واخذته والصقته
الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء واجلسته على بطنها تقيه الحر فتقول ابني ابني
فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلعم حتى وقف عليهم فاخبروه فقال
اعجبتم من رحمة هذه ابنها ان الله ارحم بكم من هذه بابنها فتفرق المسلمون وهم
فرحون مستبشرون وروى انه سبحانه لما نفخ في ادم من روحه وصار بشرا فعندما
استوى جالسا عطس فالهم ان قال الحمد لله رب العالمين فقال الله تعالى يرحمك الله
يا ادم فكان اول خطاب توجه منه اليه بالرحمة وحين ارسل موسى الى فرعون
ليتوعده قال له اخبره اني الى العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة و
روى انه لما استغاث بموسى حين ادركه الغرق ولم يستغث بالله فاوحى الله
يا موسى لم تغث فرعون لانك لم تخلقه لو استغاث بي لاغثته وروى ان يونس
بن متى لما صار الى البحر الذي فيه قارون قال للملك الموكل به ما هذا الدوي والهول

الذى اسمعه قال هذا يونس الذى حبسه الله فى بطن الحوت فجالت به البحار المسجّر
حتى صار الى هذا البحر فهذا الدوى لمكانه قال افتأذن فى كلامه فقال قد اذنت لك
فقال له قارون يا يونس الا تبت الى ربك فقال له يونس ع الا تبت انت الى ربك
قال له قارون ان توبتى جعلت الى موسى وقد تبت اليه فلم يقبل وانت لو تبت
الى الله لوجدته عند اول قدم ترجع بها اليه او لا تنظر الى حسن صنعه بعباده وكيف
تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم والرحمة النعمة وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين اى نعمة عليهم ويقال للقران رحمة وللغيث رحمة اى نعمة ويقال للرقيق
القلب من الخلق رحيم لكثرة وجود الرحمة منه لسبب الرقة واقلها الدعاء لكم
والتوجع له واطلاق الراحم عليه تعو وعلى غيره انما هو من باب الاشتراك اللفظى اذ لا
شركة بينه وبين غيره فى المعنى اصلا فان رحمته تعو شانه ذاته المقدسة ورحمة غيره
رقة انعطاف يقتضى الشفقة واللطف بالخلق وليست فى حقه تعو بمعنى الرقة
بل معناها ايجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه لا التذ والرحمة الشاملة التى وسعت
الخلق فى ارزاقهم واسباب معاشهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح وغيرهم
من الموجودات خذ الغايات واحذف المبادى وقد مرت فى فواتح الدعاء مبسوطة
مشروطة فليتذكر وصلى الله على خير خلقه سيدنا سيد ولد ادم بل ادم ومن دونه
تحت لوائه بل كان نبيا وادم بين الماء والطين وهو المشرف بخطاب لولاك لما خلقت
الافلاك وفى اضافة المصدر المقيدة للعموم دلالة على انه اشرف المخلوقات واكمل الموجودات

وهو كذلك

وهو كذلك لقوله انا سيد من خلق الله وقوله تعو خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك
لاجلى ولانه اول من تشرف بعناية الله وصار مظهر جلاله وجماله وقد تقرر فى موقعه
ان اول خلق الله اشد مناسبة بذاته تعو اذ لا واسطة بينه وبين خالقه ولما استدل
صاحب الكشاف فيه بكويمة انه لقول رسول كريم على افضلية جبرئيل منه صع حيث قال
وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة جبرئيل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته
لمنزلة افضل الانس محمد اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين
قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وبين
قوله وما صاحبكم بمجنون انه تعو كشح البيان فى هذا المكان عن ذكر نعوته اما لكونه
اجل من ان يمدح فى عرض مدح غيره وان كان جبرئيل او لان المخاطبين بهذه الاية
لما زعموا انه لمجنون وان القران مما القاه الشياطين الى الكهنة اقتضى المقام
ان لا ينعته بصفات الكمال لئلا يزيدهم انكارا ولذا اخرج الكلام على طريق
التلطف بهم والمداراة معهم حيث اضيف صع الى انفسهم وعلى من جملتهم تنبيها
على ان شانكم ان تفتخروا به على كافة البرايا حيث ان الله اصطفى من انفسكم من
بلغ تلك المرتبة العظمى لا ان تنسبوه الى ما يرجع اليكم نقصا ويسلب عنكم عزا
هذا وهذا الكلام منه ع خبر وقع موقع الانشاء اما للتفاؤل بلفظ الماضى
على انه من الامور الحاصلة التى حقها ان يخبر بافعالها ماضية او لاظهار الحرص فى
وقوعه لان الطالب اذا عظمت رغبته فى شىء كثر تصوره له فربما يخيل اليه حاصلا

فيورده بلفظ الماضي وهذا معنى قولهم ان الدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الامرين
وروى ابن المغازلي عن سلمة بن كهيل قال دخل علي بن ابيطالب على رسول الله وعنده
عايشة فقال يا عايشة اذا سرك ان تنظري الى سيد العرب فانظري الى علي بن ابي
طالب فقالت انت سيد العرب فقال انا امام المسلمين وسيد المتقين واذا سرك
ان تنظري الى سيد العرب فانظري الى علي بن ابيطالب وعن سعيد بن جبير عن عايشة
قال اقبل علي بن ابيطالب فقال النبي من سره ان ينظر الى سيد شباب العرب فلينظر
الى علي بن ابيطالب فقال الست سيد شباب العرب فقال انا سيد ولد ادم وعلي
سيد العرب وفي رواية اخرى قال رسول الله ص انتهيت ليلة اسرى بي الى سدرة
المنتهى فاوحى الي في علي ثلث انه امام المتقين وسيد الوصيين وقائد الغر
المحجلين الى جنات النعيم والسيد عند بعض اهل اللغة المسن من المعز وقال الجوهري
وفي الحديث عنه ص ثني من الضان خير من سيد من المعز وقد يقال للملك القوم
عظيمهم سيد وساد فلان قومه يسودهم سوددا بالضم وسيادة اذا صار رئيسهم
وقال الزجاج السيد الذي يفوق في الخير قومه وقال بعض اهل اللغة السيد
المالك او من في حكمه الذي يجب طاعته ولذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد
الثوب وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى وكف
الاذى وقال النبي ص علي سيد العرب فقالت عايشة يا رسول الله الست سيد
العرب فقال انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب فقالت وما السيد قال من

افترضت

افترضت طاعته كما افترضت طاعتي فعلى هذا الحديث السيد هو الملك الواجب الاطاعة
وقد يطلق السيد على الرب والشريف والفاضل والكريم والحليم والمتحمل اذى
قومه والمقدم والزوج ومنه الفيا سيدها لدى الباب واصله سيود قلبت
الواو لاجل الياء الساكنة قبلها ياء ثم ادغمت محمد واله الطاهرين بتطهير الله
اياهم من كل رذيلة واذهابه عنهم دنس كل كبيرة وصغيرة والطهارة النقاء من الدنس
والنجس والطاهر النقي منهما وفي اصطلاح ارباب العرفان الطاهر من عصمه الله
عن المخالفات وهو ينقسم الى طاهر الظاهر وهو من عصمه الله عن المعاصي والى
طاهر الباطن وهو من عصمه الله عن الوسواس والهواجس وطاهر السر وهو من لا
يذهل عن الله طرفة عين وطاهر السر والعلانية وهو من قام بتوفيقه صفوف
الحق والخلق جميعا لسعيه برعاية الحقين ولا خفاء في ان المراد به هنا ما يعم
جميع هذه الاقسام وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين الحق ونفس الواقع كيف
لا وهم الذين قال الله تعالى في شانهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وما احسن واصدق ما قال الجاحظ فيهم هم سنام العالم
وصفوة الامم وغرة العرب ولباب البشر ومصاص بني ادم وزينة الدنيا وحلية
الدهر وطينة البيضاء والمغرس المبارك والنصاب الوثيق ومعدن المكارم و
ينبوع الفضائل واعلام العلم واعيان الايمان صلوات الله عليهم اجمعين واما
قول القاضي البيضاوي وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما

لما روى انه عم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم ضعيف اما الاول فلان القران انما نزل على الاساليب المنطوية عليها لغة العرب بقوله قرانا عربيا ومن عادة فصحائهم وبلغائهم في كلامهم انهم يذهبون من خطاب الى خطاب ثم يعودون اليه ومن ذلك ما وقع لامرء القيس الشاعر من الفصل بين لذتي الحرب والبؤس بلذة الدعة في قوله كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ولم اسبي الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال ففصل بين لذتي البؤس وكما قوله كاني لم اركب آه وقوله لم اقل لخيلي آه بلذة الدعة وهي قوله ولم اتبطن الى قوله الروي من غير ضرورة داعية من محافظة على وزن او قافية اذ كان له ان يقول كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال ولم اسبي الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال فكون ما قبل الاية وما بعدها في ازواج النبي لا يمنع كون وسطها فيهم اذ الخروج من حكم الى اخر في القران كثير جدا فكثيرا ما نزل الاية اولها في شيء واوسطها في شيء اخر واخرها في اخر ولو اريد بالوسط النساء لقيل عنكن ويطهركن

دون عنكم

دون عنكم ويطهركم فهذا قرينة على المراد والقول بالتغليب يسقطه ضعفه واما الثاني فلما قال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وعائشة وام سلمة وغيرهم ان الاية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام وقول النبي صلعم في جواب ام سلمة ادخلني معك ومعهم في الكساء انت بخير والى خير وانما نزلت هذه الاية في هؤلاء خاصة وفي خاص بالباب وفي تفسير الثعلبي عن ام سلمة ان النبي كان في بيتها فاتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة وهو وهم على منام واحد له على دكان تحته كساء خيبري قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله تعالى انما يريد الله ليذهب الاية قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك الى خير وباسناده قال مجمع دخلت امي على عائشة فسالتها امي ارايت خروجك يوم الجمل قالت انها كانت قدرا من الله فسألتها عن علي فقالت تسالين عن احب الناس كان الى رسول الله وزوج احب الناس كانت الى رسول الله لقد رايت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجمع رسول الله بثوب عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت

فقلت يا رسول الله انا من اهلك قال تنحى انك الى خير وروى الترمذى فى
الجامع عن عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله قال نزلت انما يريد الله الاية فى
بيت ام سلمة فدعا النبى صـ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف
ظهره ثم قال هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة
وانا معهم يا رسول الله قالت انت على مكانك وانت على خير وفى رواية شهر بن
حوشب فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدى وقال انك على خير
وفى رواية اخرى فقالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم فقال رسول الله
مكانك فانك الى خير انشاء الله وفى صحيح ابى داود السجستانى وهو كتاب
السنن قالت ام سلمة وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل
البيت فقال انك الى خير انك من ازواج النبى فهذه وامثالها الكثيرة الواردة
فى طرق القاضى يقتضى بكونهم المراد باهل البيت دون غيرهم من ازواج النبى ونساء
المذكورات فيما قبل الاية وما بعدها وبالجملة ما ذكروه واحتملوه من التغليب
وكون الاية تعليلا لامرهن ونهيهن على الاستيناف ومن كون الحكم عاما
وتخصيص الشيعة اهل البيت بهؤلاء والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون
اجماعهم حجة ضعيفا الى غير ذلك كلام فى مقابل النص الصحيح والبيان الصريح
الواردين فى الطرفين فلا يسمع ذلك منهم نعم لولا ورود الروايات الصحيحة
من الجانبين فى بيانها لكان لما ذكروه واحتملوه وجه واذا ثبت ان المراد

اهل البيت فى الاية هؤلاء المذكورون ثبت ان اجماعهم بل قول كل منهم ايضا
حجة لان اذهاب الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم العصيان والمخالفة
لاوامر الله ونواهيه ومن وقوع الخطاء منهم مامون فالاقتداء بهم والاخذ
بقولهم وفعلهم وتقريرهم دون من لم يؤمن وقوعه منه وتطرق الرجس اليه
واجب ومن العجبات ان هذا القاضى يجوز فى حكمه فيقضى على خلاف ما ورد عليه
من طرقه فيذكر منه ما يقبل التاويل الحايط بتوديته وهواه ويوافق مذهبه
واشتهاه ويترك ما يتناسى مما هو نص بالباب والله يهدى من يشاء الى
الصراط السوى والطريق الصواب ولنذكر نبذا مما ورد على ذلك فى طرق الشيعة
ففى كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالى عن صاحب
الدعاء جعلت له الفداء انه قال فى اثناء كلام له فى جمع من المهاجرين والانصار
فى المسجد فى ايام خلافة عثمان ايها الناس تعلمون ان الله عز وجل انزل
فى كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فجمعنى
وفاطمة وابنى حسنا وحسينا والقى علينا كساء وقال اللهم ان هؤلاء اهل
بيتى ولحمى يؤلمنى ما يؤلمهم ويحزننى ما يحزنهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله فقال انت او انك الى خير انما انزلت
فىّ وفى اخى وفى ابنتى وفى ابنىّ وفى تسعة من ولد ابنى الحسين خاصة ليس معنا
فيها احد غيرنا فقالوا كلهم نشهد ان ام سلمة حدثتنا بذلك فسالنا رسول

الله ص فحدثتنا كما حدثتنا ام سلمة وفي علل الشرايع باسناده الى عبد الرحمن بن
كثير قال قلت لابي عبد الله ع ما عنى الله عز وجل بقوله انما يريد الله ليذهب
الآية قال نزلت هذه الآية في النبي وامير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة
عليهم السلام فلما قبض الله نبيه كان امير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين
ثم وقع تاويل هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
وكان علي بن الحسين ثم جرت في الائمة من ولده الاوصياء فطاعتهم طاعة الله
ومعصيتهم معصية الله عز وجل وفي الاحتجاج عن علي بن الحسين عليهما السلام
في حديث طويل يقول فيه لبعض الشاميين فهل تجد لنا في سورة الاحزاب
حقا خاصة دون المسلمين فقال لا قال ع اما قرات هذه الآية انما يريد الله
الآية والاخبار في ذلك من الطريقين اكثر من ان تحصى وفيما اوردناه كفاية لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومنه يظهر ان العصمة وان كانت من
الامور الممكنة الحصول لغيرهم الا انها في هذه الامة انحصرت فيهم وحصت
بهم واليه يشير قول صاحب التجريد ولوجوب العصمة وانتفائها عن غيرهم
وفي معاني الاخبار عن علي بن الحسين عليهما السلام الامام منا لا يكون الا
معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف بها فلذلك لا يكون الا
منصوصا وفي مجمع البيان استدلت الشيعة باختصاص الآية بهؤلاء
الخمسة بان قالوا انما لاثبات ما يذكر بعده ونفي ما سواه واذا تقرر هذا فلا
ارادة

في الآية

في الآية اما ارادة محضة او ارادة يتبعها التطهير واذهاب الرجس لا سبيل
الى الاول لانه تعـ قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص
لها باهل البيت ولان هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم ولا مدح في الارادة
المجردة فثبت الثاني وفي ثبوته عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح وقد
علمنا ان من عدا ما ذكرنا من اهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت ان الآية
مختصة بهم انتهى ولعل السبب في ذلك الاختصاص علم الله بقبول المحل
له دون غيره واليه يشير قوله الله يعلم حيث يجعل رسالته ويجوز ان يكون ذلك
من انفسهم بحيث لا يختارون المعصية مع قدرتهم عليها لوفور عقلهم وكثرة
علومهم ومداومتهم على التفكر والنظر وملازمتهم على الطاعات ومواظبتهم
على العبادات والحاصل انهم من حيث هم بشر متعلقون بمجلابيب ابدانهم
البشرية وقوابلهم الناسوتية وان كانوا مائلين الى المعايب والامور الدنيوية
وما هو من مقتضى الطبيعة النوعية واللوازم البشرية الا انه حصل لهم
بطهارة انفسهم القدسية وكمالها في نفسها بثبات قوتها المفكرة واستقامتهما
وهمها منقادا تحت قلم العقل سواء في ذلك صغيرهم وكبيرهم لما ثبت من
امامة الجواد والقائم عليهما السلام بالسنة المتواترة القاطعة في حال الصبا
من الغاية الازلية ما يمنعهم عن ذلك لمجتبة عالم القدس والتشبه بالمبادي
العالية والملائكة المقربين والتخلق باخلاق الله رب العالمين وهذا معنى

قولهم العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة و
ارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك وامكان صدور خلافهما عنه وبالجملة المعصومون
من البشر لهم جهتان ناسوتية ولاهوتية فبالاولى يقع عليهم ما يقع على غيرهم من
الاحوال المشتركة واللوازم البشرية كالاكل والشرب والنوم والحركة وغيرها
من التناكح والتناسل وبالثانية يقهرون قوى انفسهم المتضادة واهوائها
المشاغبة المتداعية الى الشهوة والغرور وبذلك يكونون افضل من الملائكة
اذ لهم امور مضادة للعقل العقلية وشواغل من الطاعات العملية كالسهو و
الغضب وسائر الحاجات الشاغلة والموانع الخارجية والداخلة فالمواظبة
على الطاعات والمداومة على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة
على ما يضاد القوة العقلية يكون احمز وابلغ في استحقاق الثواب ولا معنى
للافضلية الا زيادة استحقاق الكرامة والثواب وقد سبق ان هذه الجهة
انما يحصل بدوام الفكر وقصر النظر في معرفة كماله وصفات جلاله وجماله
وحقائق مخلوقاته وبدائع مصنوعاته وخواص صنعاته وبالجملة التبتل عن دار
الغرور والتوصل الى عالم النور واليه يشير قول صاحب الدعاء جعلت له
الفداء وقد سأله اعرابي بم نلت ما نلت فقال قعدت على باب قلبي فلم ادع ان يدخله
سوى الله عليه من الصلوات افضلها ومن التحيات اكملها تذنيب وسط
عليه السلام والدعاء لنفسه بالدعاء للنبي صلى الله عليه وآله لوجوه احدها انه من اعظم اسباب

اجابة الدعاء فيكون معه الدعاء اقرب الى محل الاجابة حيث وقع بين المستجابين
فانه سبحانه اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط قال الصادق عليه السلام من
كانت له الى الله حاجة فليبدء بالصلوة على محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم
بالصلوة على محمد وآله فان الله لا يحجب عنه وعن صاحب الدعاء عليه صلوات الله ما دامت
الارض والسماء اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلوة على
النبي ثم تسئل حاجتك فان الله اكرم من ان يسئل حاجتين فيقضي احديهما
ويمنع الاخرى وذلك من باع امتعة صفقة واحدة فان المشتري لا يسوغ
له اخذ الصحيح ورد المعيب بل اما ان يرد الجميع او يقبل الجميع فهذا الداعي
خرج لنفسه بدعاء غيره من النبي صلى الله عليه وآله وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي
الجلال والاكرام فهو سبحانه اجل واكرم من ان يرد المعيب ويقبل الصحيح كيف
وقد نهى عن ذلك عباده ولا يليق بكرمه جل شانه رد الجميع لان بعضه مقبول
البتة فلم يبق الا قبول الجميع وفيه المطلوب الثاني ان النبي وآله عليهم السلام
وسائط بين الله سبحانه وبين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم وهم ابواب
معرفته عز وجل فلا بد من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء عليه وقبوله لديه
وذلك كما اذا اراد احد من الرعية اظهار حاجته على السلطان توسل بمن
يعظمه ولا يرد قوله وعن سلمان المحمدي رضي الله عنه قال سمعت محمدا يقول ان الله
عز وجل يقول يا عبادي اوليس من له اليكم حوائج كبار لا يجودون بها الا ان

يتحمّل عليكم باحبّ الخلق اليكم نقضوا لها كرامة لشفيعهم الا فاعلموا انّ اكرم الخلق
علىّ وافضلهم لدىّ محمّد واخوه علىّ ومن بعده من الائمة هم الوسائل الى الله الا
فليدعنى من همته حاجة يريد نفعها او دهته داهية يريد كشف ضررها
بمحمّد واله الطيبين الطاهرين اقضها له باحسن ما يقضيها من يستشفعون
باعزّ الخلق عليه فقال له قوم من المشركين والمنافقين وهم مستهزؤن به يا
باعبد الله فما لك لا يفزع على الله بهم ان يجعلك اغنى اهل المدينة فقال سلمان
دعوت الله وسألته ما هو اجلّ وانفع وافضل من ملك الدنيا باسرها سألته
بهم ص ان يهب لى لسانا ذاكرا لتحميده وثنائه وقلبا ذاكرا لالائه وبدنا على الدواهى
الداهية صابرا وهو عزّ وجلّ قد اجابنى الى ذلك وهو افضل من ملك الدنيا
بحذافيرها وما يشتمل عليها من خزائنها مائة الف الف مرّة وعن الصادق ع لا
يزال الدعاء محجوبا حتّى يصلّى على محمّد وال محمّد وعنه ع من دعا ولم يذكر
النبى رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبى رفع الثالث انه صلّى الله عليه واله
اب معنوية لامته من حيث الشفقة والنصيحة فيجب الدعاء له على كل احد من امته
قضاء لحق تعليمه واداء لواجب تعظيمه وتكريمه وفى الحديث يا على انا وانت ابوا
هذه الامة وقد ثبت عند ارباب التحقيق انه ص ابو الارواح كما انّ ادم ع
ابو الاجساد وقال بعض اصحابنا المتأخرين انّ الارواح كلّها مخلوقة من
روح واحدة هى روح النبى ص فروحه اصل الارواح فكما انّ ادم كان ابا البشر

وخليفة الله

وخليفة الله فى الارض كان النبى ابا الارواح وخليفة الله فى عالم الارواح فالروح
خليفته ومجتمع صفاته تعالى الذاتية كالعلم والحيوة والقدرة والارادة والسمع
والبصر والكلام والبقاء والجسد خليفة الروح وهو مجتمع صفاته الفعلية
وذلك انّ الله تعالى لما خلق روح النبى كان الله ولم يكن معه شىء احرى
بنسب او يضاف اليه الروح غير الله بل كان روحه اوّل شىء تعلقت به القدرة الازلية
ولذلك شرّفه بتشريف الاضافة الى نفسه وهو روح النبى كما قال واذا سويته
ونفخت فيه من روحى ولم يقل نفخت فيه روحى بدون من ليكون فيه دلالة على
انّ الروح المنفوخ فى ادم ليس بعينه روح النبى ص بل كان روح ادم ع متولدا منه
فالنبى الاب الروحانى لاب البشر وسائر الانبياء وابو البشر الاب الجسمانى
للنبى وسائر البشر كما قال وانى وان كنت ابن ادم صورة فلى فيه معنى شاهد
بابوّتى وكذلك ارواح اولاد ادم مخلوقة من روح النبى لقوله تعالى ثمّ جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ونفخ فيه من روحه وكذلك قال فى حق روح عيسى
ونفخنا فيه من روحنا فكانت النفخة لجبرئيل والروح من روح النبى ص
المضاف الى الحضرة الالهية ولاجل كون حقيقة الروح على هذه المنزلة والشرف
قصرت افهام الناس وتلاشت العقول عن دركها كما يتلاشى انوار الابصار
فى شعاع الشمس ولهذا قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فافهم
هذا المقال فانه مدرك عزيز المنال انتهى كلامه تتميم نفع عميم ما تضمنه الدعاء

من الاعتراف بالذنوب والمعاصى والاقرار بالخطايا والسيئات والمساوى
مع عصمة صاحب الدعاء وطهارته كما سبق محمول اما على تاديب الرعية وتعليمهم
كيفية الاقرار والاعتراف بالتقصير والذنوب والاستغفار عنها والتوبة
منها او على التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر فى مظنة المعصية و
ليسوا كالملائكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويؤيده
ما روى عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء انه من بقوم من اخلاط الناس
ليس فيهم مهاجرى ولا انصارى وهم قعود فى بعض المساجد فى اول يوم من
شعبان واذاهم يخوضون فى امر القدر وغيره مما اختلف فيه الناس قد
ارتفعت اصواتهم واشتدت فيه جدالهم فوقف عليهم فسلم فردوا عليه ووسعوا
له وقاموا اليه فسالوه القعود اليهم فلم يحفل بهم ثم قال لهم وناديهم يا معشر
المتكلمين الم تعلموا ان لله عبادا استكتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم
لفصحاء العقلاء الاولياء العالمون بالله وايامه ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله
انكسرت السنتهم وانقطعت افئدتهم وطاشت عقولهم وتاهت حلومهم اعزازا لله
واعظاما واجلالا فاذا افاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية
يعدون انفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم برآء من المقصرين والمفرطين
الا انهم لا يرضون لله بالقليل ولا يستكثرون لله الكثير ولا يدلون عليه بالاعمال
فهم اذا رايتهم يهيمون مرعوبون خائفون مشفقون وجلون فاين انتم

منهم يا

منهم يا معشر المتبدعين الم تعلموا ان اعلم الناس بالضرر اسكتهم عنه وان
اجهل الناس بالضرر انطقهم فيه ولهم فى ذلك تاخر يمنعنى عن ايرادها خوف
التطويل فاكتفيت فيه من نحو هذا القدر القليل والله الهادى الى سواء
السبيل جعلنا الله واياكم من العالمين بالضرر والساكتين عنه وخاصة
من امر القدر فانه من مزاليف الاقدام والخائض فيه لا يخلو عن الخطر ولذا
نهى عنه رسول الله صلعم وعترته المعصومون سادات البشر عليه وعليهم صلوات
الله وسلامه ما بزغت الشمس والقمر والحمد لله على توفيقه للاتمام والصلوة
على رسوله واله البررة الكرام خير البرية واشرف الانام والسلام
قد تمت الرسالة الشريفة الموسومة بشرح دعاء الصباح على يدى وانا اقل الخليقة بل لا
شئ فى الحقيقة العبد الظالم الخاطى الجانى ابن المرحوم المغفور الحاج
ملا محمد صالح الواعظ البيدگلى الكاشانى محمد تقى
البيكانى الاصفهانى فى ليلة الخمس والعشرين
من شهر ذيقعدة الحرام من شهور سنة ثمان
وخمسين ومايتين بعد الالف
من الهجرة النبوية على هاجرها
الالف التحية

[illegible marginal notes]

۱۲۶